

أزهار الرياض في أخبار عياض

وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض

تأليف

الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني

(٩٨٦ - ١٠٤١ هـ)

طبعة مزيّدة ومنقّحة

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعة المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الرابع

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

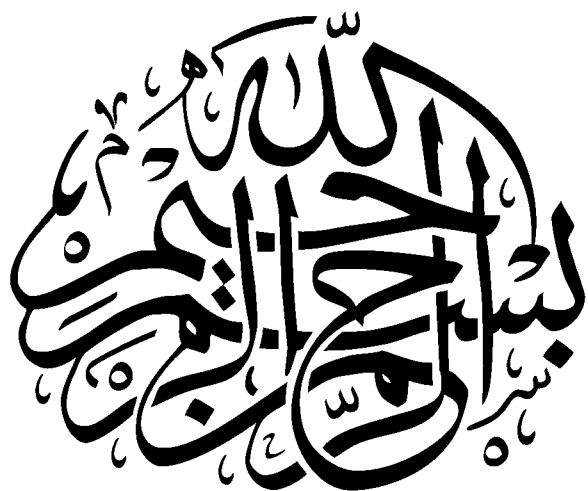
الطبعة الاولى
1431هـ-2010
حقوق الطبع محفوظة للناسر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد - القاهرة
25936277 / فاكس: 25938411-25922620
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

المقرى، احمد بن محمد احمد بن يحيى ، 1584-1631
ازهار الرياض فى اخبار عياض
تأليف : شهاب الدين احمد بن محمد المقرى التلمسانى ، تحقيق: على عمر
ط-1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2010
4 مج ، سم
تكمك : 6-498-341-977-978
1- المحققون المغاربة
2- القاضي عياض ، عياض بن موسى بن عياض
ا- عمر، على (محقق)
ب- العنوان

ديوى: 922.13

رقم الابداع: 16754



أقول: هذه الترجمة نذكر فيها نشره الفائق، ونظمه الرائق، قال الفتح فى قلائده^(١) - بعد أن حلاه بما قدمناه آنفا: وقد أثبت من كلامه البديع الألفاظ والأغراض، ما هو أسحر من العيون النجل والجفون المراض، فمن ذلك رقعة حملنيها تحية للرئيس أبى عبد الرحمن بن طاهر - رحمه الله وهى: عمادى أبا نصر، مثنى الوزارة ووحيد العصر، هل لك فى مئة تفوت الحصر؟ تخف محملاً، وتبلغ أملاً، وتُشكر قولاً وعملاً، شكراً تترنم به الحداة ثقيلاً ورَمَلاً، إذا بلغت الحضرة العلية مستلماً^(٢)، ولقيت الطاهر ابن طاهر فخر الوزارة مسلماً، وحللت من فنائ الأرحب حرماً، ولمست بمصافحته ركن المجد يندى كرماً فقف شوقى بعرفات تلك المعارف، وانسك شكرى بمشاعر تلك العوارف، وأطف إكبارى بكعبة ذاك^(٣) الجلال سبعا، وببؤى لودادى فى مقر ذاك الكمال ربعا، وأبلغ عنى بتلك الفضائل سلاماً، يلتئم بصريح الحب التثاماً، ويحسن عنى بظهر الغيب مقاماً، ويسير بأرجح الحمد إنجاداً وإتهاماً^(٤).

قال الفتح^(٥): وله فصل من رسالة فى جانبى: فى علمك، سدد الله على^(٦) حكمك، ما جمعه فلان من جلائل، تشذ عن الحصر، وفضائل،

(١) انظر فى ذلك: قلائد العقيان ص ٦٨٤.

(٢) فى القلائد: «مُسَلِّماً».

(٣) فى الأصول: «ذلك» والمثبت رواية القلائد التى ينقل عنها المصنف.

(٤) ص ٦٨٤ - ٦٨٥ من القلائد.

(٥) قلائد العقيان، ص ٦٨٥.

(٦) الأصل: «علا» والمثبت من القلائد الذى ينقل عنه المصنف.

يعترف له بها نبهاء العصر، يقول، فيختلس العقول، ويعن، فيذهل الألباب وَيَحِنُّ^(١)، إن نظم فعبيد أو لبيد^(٢) أو نثر فعبد الحميد أو ابن العميد^(٣) أو صال، فأبو نعامة^(٤)، أو أنال بن مامة^(٥)، وأن فاخر، فشجرة سيادة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، وإن ذاكر، فبحر معارف لا تكدره الدلاء إلى همة تصنع هامة الثريا، وعزة تمتن الفضل بن يحيى^(٦)، ولهجة تخرس العجاج، وبهجة ازرى بنصر بن حجاج^(٧)، ولو كنت ابن أبى هالة^(٨)، لما بلغت المنتهى له، على أنى لم أنبه لشأنه ذا جهالة، لكنه الكلام يطرد، والبداية حسبما ترد، واللسان ينطق ملء فيه، والجنان يرشح بما فيه.

قال الفتح^(٩): وله فصل من رسالة راجع بها: وصلت لمعظمى قرب الجلال، وزهيت به رتب الكمال، وحامت على مشرع مجده العذب طيور الآمال، وغصت أفنية جنبه الرحب بوفود الإقبال. لا غرو - أعزك الله - أن من لاحظ من آثار فضلك الرائقة لحظة، أو حظى من سماع محاسنك الرائعة ولو بلفظة، أن تسير به همته فى لقائك واحدا، وتعتسف الطرق إلى ورد

(١) فى الأصل: «ويجن» بالميم والمثبت رواية القلائد.

(٢) يعنى بهما: عبيد بن الأبرص، ولييد بن ربيعة.

(٣) يقال: بدئت الكتابة بابن العميد، وختمت بابن العميد.

(٤) كناية قطرى بن الفجاء فى الحرب.

(٥) هو كعب بن مامة الإيادى، يضرب به المثل فى الجود، وفى المثل: «جارٌ كجار أبى داود» يعنون كعب بن مامة.

(٦) هو أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى.

(٧) هو نصر بن حجاج وكان أحسن الناس وجهاً.

(٨) ربيب النبى ﷺ.

(٩) قلائد العقيان، ص ٦٨٨.

جلالك وافدا، حتى يشاهد الكمال لم يحوج إلى نقص، وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم فى شخص.

قال الفتح^(١): وله فصل من رسالة: لابد - أعزك الله - لكل حين، من بنين، يُحلّون عاطله، ويُجلّون فضائله، ولكل مجال، من رجال، يقومون بأعبائه، ويهيّمون فى كل واد بأنبائه، ولئن كانت جمرة الأدب خامدة، وجذوته هامدة، ولسانه حصيراً، وإنسانه حسيراً، فلن يخيله الله من هلال يطلع، فيشرق بسمائه بدرا، وزلال ينبع، فيغدق بفضائه بحرا وشبل يشدو، فيزار من غابه ليثا، وطل يبدو، فيمطر من ربابه غيثا.

قال الفتح^(٢) - سامحه الله: وخرجنا لنزهة، فلما انصرفنا أصاب غفارتى^(٣) شوك شقتها، فلما وصلت موضعى، أمر أن أبعثها إليه، مع أحد عبده المتصرفين بين يديه، فلما كان من الغد، تأخر صرفها، وحضرت الجمعة، فكتبت إليه معاتباً فى توقفها قد بقيت - أعزك الله - كالأسير، ولقيت التوحش بجناح كسير، إن أردت النهوض لم ينتهض، وليت من لا يريش لم يهض، وقد غدوت من المقام، فى مثل السقام، فلتأمر بردها، لعلنى أحضر الصلاة وأشهدها، لا زلت سرياً تطلق من يد الوحشة برياً - إن شاء الله.

فراجعنى: أدام الله - يا ولى - جلالك، وأبقى حلياً فى جيد الدهر خلالك، الغفارة عند من ينظر فيها، وقد بلغت غير مضيع تلافيها، ويرجى تمامها قبل الصلاة وإدراكها، وتصل مع رسولى وكأنا قد شراكها، وإن عاق

(١) قلائد العقيان، ص ٦٨٩.

(٢) قلائد العقيان، ص ٦٩٠.

(٣) الغفارة: رداء واسع يلبسه العلماء والأعيان.

عائق، فليس مع صحة الود مضائق، والعوض رائق لائق، وهو واصل،
وأنت بقبوله مواصل، والسلام - ما ذر شارق، وومض بارق.

انتهى ما أورده الفتح من نثر القاضى عياض - رحمه الله تعالى، وهو
نقطة من بحر. ولنذكر بعض ما وقفنا عليه مما لم يذكره، فيقول:

قال ابنه من جملة ترسيله - رضوان الله عليه - أنه تذاكر مرة مع جلة
زعماء، وقادة علماء، وسادة أدباء، تعاطوا بينهم كأس الأدب، حتى ذهبت
بهم فى التغلغل فيه كل مذهب، فتسابقوا فى ميدانه، وجرى كل ملء عنانه،
إلى أن قصدوا التعجيز، وسدوا باب المسامحة والتجوز، وقالوا الغاية
القصوى، المعربة عن كل مدح فى الأدب دعوى، - أن نكتب رسالة معربة
المعاني رائقة، ذات أصول ثابتة وفروع باسقة، فيلحق بين كل سطرين منها
زيادة توافق معانيها، ولا تخل بشئ من مبانيها، فتطاول لها - رحمه الله
تعالى عليه - وأزهار آدابه تنم، وقال: أنا لها وكل مهم، وعينت الرسالة
فكتب، وقد قدم بين يديها هذه القطعة:

قل للأماجد والحديث شجون ما ضر أن شاب الوقار مجون
الآبيات. وسنذكرها فى نظمه من هذا الباب - إن شاء الله. قال فى
آخرها:

وبعث الآن بها ليعلم أننى عين الزمان وسره المكنون
ووصله - رحمه الله بما نصه:

فارتقب السادة الجلة، أدام الله عزهم، بثبات قدم عميدهم، وأبقى
عليهم ظله، عند مجاراتنا إلحاق الكتاب، فكأنها كانت منى دعوى توجب

الارتباب، وكان الفقيه أبو فلان صديقنا، أعرف بالقصد إلى الزيادة في رسالة الوزير أبي القاسم بن الجد على إيجاز ألفاظها، واندماج أغراضها، وجلالة قائلها، واعتدال أواخرها وأوائلها، فلم أقدم تلك العيشة شيئا على تسويدها، وتذليل برودها، وإن كان المتحكك بذلك الطود العظيم، كمرقع الوشى بالأديم، ولكن بحكم الاضطرار، وقصد الاختيار للاختبار، وطرقنى لصاحبها من الحادج الكارث، ما شغل عن صقل وجودها، وأذهل عن توجيهها، وحين وجدت الآن فجوة، وأنست العيشة وإن لم تكن سلوة، وجهت بها شريطة رفع الدعوى، وامتحان البلوى، وصرف عين الانتقاد، وتحسين الظن والاعتقاد، وقد أعلمت على الزيادة بالحمرة، لتكون فصلا بين الكلامين وعبرة، ولم تمكّن مفارقة المنزل، مراعاة لحق من يقصد وينزل، وحذرا أن ينتقد، من لا يجد، فليكن الكل عندكم بالأمانة حتى نجتمع، والسلام عليكم يطول إعظاما لجلالكم ويتسع، ورحمة الله وبركاته.

قال جامع هذا التصنيف وفقه الله: وقد كتبت الزيادة بالقلم الغليظ من الحمرة، لتعذرها في الوقت، وبالله التوفيق.

قرن الله - يا سيدى - مطالبك بالنجاح، ومآربك بالإسماح، وأجرى أحوالك على حكم الاختيار، وأورى زندك فى مساعى الأبرار، ولا زلت سعيد الأيراد والأصدار، معلى القдах، مؤتى الأمانى والاقتراح، وردنى - يسر الله أملك، وسدد قولك وعملك - كتب خطير، بل روض من الترف مطير، وخطاب أثير، بل مسك من الثناء نشير فوقه زهر الحسن، لا زهر الحزن، وهب عليه نسيم السرو، لا نسيم الجو، جاده صيب العقل، لا منبت البقل، فترعت فى حديقه جده وهزله، وتمتعت برقيق لفظه وجزله، ونزهت

ناظرى فى رائق ألفاظه، ووجهت خاطرى لقبله معانيه وأغراضه، ونزهت
قولى وعملى عن رده واعتراضه، لا جرم أنه انفك لى منه معجون، حشوه
معجون، وطبيخ ضمنه توبيخ، إلا أن حقى من تركيبه، وذوقى لمعسول طيبه،
اعترضت دونه علل، ولم ييح لى منه ورد ولا علل، وأجدر أن يكون لى وله
نبأ عجيب، لو ساعده من طبيعتى مجيب، لكنه مجه مزاجى، ولم تحمله
أمشاجى، ولا غرو أن يزل طيب ولا يساعد حبيب، إن كلف هذا ما ليس
فى وسعه، وطولب بما يعلم عنه ضيق ذرعه، وتعاطى ذلك الآخر لرقيه لما لا
يجيب، أو إذا لم يصف له العلة لييب، وإن عذر بك بالجهل بصفة حالى لبين،
كما أن شكرك فى مواصلتى ومداخلتى متعين، فلئن لم تجدنى فى حاجتك
رفيقا، فقد اتخذتنى أخا شقيقا، وإن لم أكن لك بحكم الحال مسعدا، فقد
قمت بألحان شكرك مغردا، ولئن كان ظنك سهما أشوى، ونجما أخوى، لقد
أصاب موضع الشكوى، ومكان البلوى، وبودى، لو كان أربك عندى، حتى
أبادر به إليك، وأسقط به سقوط الندى عليك، وأسلم أعنة رغباتك فى
يديك. أجل، ولو كنت ممن ينبسط فى مقر ذلك الجلال، بحكم الإدلال،
لاستعملت فى الموعد، طاقة المجد المجتهد، ولم أصل العود، والعود أحمد،
وما كنت أريم إلا بلبانتك عند ذاك الحريم، وتخلقت فى مطلبك الكريم،
أخلاق الغريم، ولكنى من التبسط بمعزل، وفى أبعد منزل، وعلى حالى
لسائلى فى ذلك، ينتهى إلى حضرة جلالك، مبادرة إلى واجب حقك
وكمالك، ومساعدة لمنزرك فى جهتك ومرمى آمالك، حتى أبلغ نفسى
هنالك عذرا، وأقضى نذرا، وأرى لك صرف وجه المعول، على الشفيع
الأول، فتخاطبه فى الغرض موجزا، وتلاطفه مقصدا ومرتجزا، وللعدة
الجميلة مستنجزا، والله يسنى أوطارك، ويحمى أقطارك، والسلام عليك
عميما جزيلا، يصحبك رسيلا ونزيلا. انتهى ما ذكره ولده من هذه الرسالة.

وقد كتبه من أصل فيه بعض تصحيف وتحريف، وأثبتته هنا حتى يفتح الله فى مقابلته بأصل جيد، يصحح منه خلله، وتشفى عله، سهل الله وجوده، بجاه سيدنا محمد ﷺ.

ومن نثره - رحمه الله - رسالة بديعة، كتب بها إلى روضة سيد المرسلين وعمدة الأئمة، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وعلى آله وأصحابه المهتدين، صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين. نصها:

إلى سيد ولد آدم، وشفيع العالم، البشير النذير، السراج المنير الرسول الكريم، الرؤوف الرحيم ذى الخلق العظيم، والفضل الباهر الجسيم ودعوة أبيه إبراهيم وبشرى المسيح، وابن الذبيح، المنبأ - وآدم بين الجسد والروح، الصادق الأمين، الحق المبين المطاع عند ذى العرش المكين، نبي الرحمة، وهادى الأمة والعروة الوثقى والعصمة، وقدم الصدق، ودار العلم والحكمة، وسيلة الوسائل، وثمان اليتامى والأرامل، حبيب الله وخليفه، ومصطفاه ورسوله، المجتبى المنتخب من خيار الأخيار، وصميم الحسب النضار، الطاهر المطهر المختار، أبو القاسم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، منتهى الشرف ومنقطع الفخار - من الشائق إلى زيارته، الراجى فى دعوته، المدخرة فى شفاعته، المؤمن بنبوته ورسالته، المعترف بتقصيره فى طاعة الله وطاعته، عياض بن موسى.

بسم الله الرحمن الرحيم، وأفضل الصلوات وأزكى التسليم، على المصطفى محمد نبيه الكريم، سيد المرسلين، وإمام المتقين، وشفيع المذنبين، وقائد الغر المحجلين، وأكرم الآخرين والأولين، ورسول رب العالمين، ووسيلتهم إليه أجمعين، النور الساطع، والشفيع المشفع الشافع، صاحب

الحوض المورد، والمقام المحمود، والوسيلة والفضيلة والكوثر، ورافع لواء الحمد يوم المحشر، المرسل لى الأسود والأحمر، الآتى بالآيات والنذر، المتحدى بالمعجزات جميع البشر، المبعوث بجوامع الكلم، الشاهد على جميع الأمم، منير الأفئدة بأنوار الحكم، الذى شرح صدره، فملئ إيماننا وحكمة، من لم يجعل الله به علينا فى الدين من حرج، وأسرى به من الفرش إلى العرش وعرج واستسقى الغمام بوجهه فهمع، وانشق القمر لتصديقه ثم اجتمع، وعاد نور الشمس بدعائه لشروقه بعد الأفول ورجع، وانفجر الماء من بين أصابعه ونبع، وسجد البعير لهيبته وخضع، وسكن ثبير لركضته حين تزعزع، وحن الجذع حنين العشار لفرقته وخشع، المؤيد بروح القدس جبريل، المبشر به فى التوراة والإنجيل، المنزل عليه محكم الكتاب والتنزيل، الصادع بالحق كما أمر، المصدق فى جميع ما أخبر، المظلل بالغمام، الممدود بالملائكة الكرام، المنصور بالرعب، المطلع على الغيب، ومن أقسم الله بعمره ورفع ذكره مع ذكره، عليك من صلواتك الله وسلامه، وزلف بركاته وتحف إكرامه، كفاء محلك الشريف لديه وقدره، وعداد نجوم الأفق وقطره، وجزاء ما كابدت وقاسيت فى إظهار دين الله ونصره، وثواب ما دعوت إلى صراط الله وامتنال أمره.

وبعد: فإننى كتبت إليك، صلى الله عليك، يا خاتم الرسل، وهادى أوضح السبل، ورحمة العالمين، ونعمة الله على المؤمنين، وشارح القلوب والصدور، ومخرجها من الظلمات إلى النور، فإننى عبد من أهل ملتك، المتحملين لأمانتك، منهاجك وشرعتك، والملتزمين للحنيفية ملة أبيك إبراهيم، المؤمنين النجاة بالدعوة دعوتك التى خبأتها شفاعة لأمتك، ممن

أشرق فؤاده بشعاع أنوارك، واهتدى قلبه بعلم منارك، وتاه عقله بحسرة فوات رؤيتك وإبصارك، وهام قلبه فى حبك وتوفير عظيم مقدارك، وعدته العوادي عن التشفى بقصد قبرك ومزارك، وقطعت به القواطع عن التشرف بمشاهدة مشاهدك الشريفة وآثارك، مصافح بالإيمان بك وتصديقك، شاهد الجوارح بالتقصير عن أداء حقوق الله وحقوقك، فهو طليح ذنوب ومآثم، وأسير تباعات وخل آثم، أثقلت ظهره مع العصاين خطاياہ وآثامه، وانقطعت فى التمنى مع العادين لئاليه وأيامه، وقصرت به عن جد المخلصين أوزاره وأجرامه، فلا رجاء له إلا فى عفو الله واستشفاعك، ولا خلاص له إلا بالتعلق بحقوقك يوم يكون آدم ومن ولد تحت لوائك ومن أتباعك، فيما محمداہ، طال شوقى إلى لقائك، ويا أحمداه، ما كان أسعدنى لو متع المسلمون ببقائك، ويا نبياه، عليك منى أفضل الصلوات والبركات والتسليم. ويا حبيباه، اذكرنى عند ربك، فى مقامك المحمود الكريم، ويا شفيعاه، اشفع لى ولوالدى فى ذلك الموقف العظيم، اللهم إنى أسألك بحقه عليك الذى آتيتہ، وبقسمك بعمره الذى شرفته به وفضلته، وبمكانه منك الذى اخصصته واصطفيتہ، - أن تجازيه عنا بأفضل ما جازيت به نبياً عن أمته، وتؤتيه منا الفضيلة والوسيلة والدرجة الرفيعة فوق أمنيته، وتعظم عن يمين العرش نوره، بما يوريه من قلوب عبيدك، وتضاعف فى حضرة القدس حواره، بما قاسى من الشدائد فى الدعاء إلى توحيدك، وأن تجدد عليه من شرائف صلواتك، ولطائف بركاتك، وعوارف تسليمك وكراماتك، - ما تزيده به فى عرصات القيامة إكراما، وتعليه به فى عليين مستقرا ومقاما، اللهم وأطلق لسانى بأبلغ الصلاة عليه وأسبغ التسليم، واملاً جنانى من حبه وتوفية حقه العظيم، واستعمل أركانى بأوامره ونواهيہ فى النهار الواضح

والليل البهيم، وارزقنى من ذلك ما يبوئنى جنة النعيم، ويشعرنى رحماك
وفضلك العميم، ويقربنى إليك زلفى فى ظل عرشك الكريم، ويحلنى دار
المقامة من فضلك، ويزحزحنى عن نار الجحيم، ويقضى لى بشفاعته يوم
العرض، ويوردنى مع زمرته على الحوض، ويؤمننى يوم الفرع الأكبر، يوم
تبدل الأرض غير الأرض، وارفعنى معه فى الرفيق الأعلى، واجمعنى معه فى
الفردوس وجنة المأوى، واقسم لى أوفر حظ من كماله الأوفى، وعيشه المهنى
الأصقى، واجعلنى ممن شفى غليله بزيارة قبره وتشفى، وأناخ ركابه بعرصات
حرمك وحرمة قبل أن يتوفى، ثم السلام الأحفل الأكمل مرددا، عدد القطر
والحصى كثرة وعددا، عليك يا نبي الهدى، المنقذ من الردى، وعلى ضريحك
المقدس سرمدا، ويصعد إلى عليين مع روحك صعدا، ويمده رضوان الله
ورحماء مددا، ما تطارد الجديدان وتطاول المدى، ورحمة الله وبركاته أبدا،
تحية أدخرها عهدا عندك وموعدا، وأجدها - إن شاء الله تعالى - لعقبات
الصراط معتمدا، وفى عرصات الفردوس معهدا، وأخص بأثرها الخليفتين
ضجيعيك فى تربك، وأخص الناس فى محياك ومماتك بقربك، وكافة
المهاجرين والأنصار وعامة صحبك، الذين عزروك ونصروك، وآووك
ووقروك، وكان بعضهم لبعض ظهيرا، والطيبين ذريتك، والطاهرات أمهات
المؤمنين وأهل بيتك، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

أقول: هذا مقام طالما طمحت إليه همم الرجال، وتسابقت جياذ
أفكارهم فى مضمماره بالروية والارتجال، وسارت أرواحهم مع الرفاق، - وإن
أقامت الأشباح، وطارت قلوبهم بالأشواق، ولم لا وهو سوق تعظم فيه
الأرباح!

فممن حاز فى ذلك قصب السباق، وانتشى من حمياه، وأفنى عمره فى اصطباح واغتباق، - ذو الوزارتين ابن أبى الخصال، عليه من الله رحمة دائمة الاتصال، فإنه كتب إلى المقام النبوى، والحجرة الشريفة، - لا حرمننا الله من تفيؤ ظلالها الوريقة، بما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله، إلى الرؤوف الرحيم، الرسول الكريم، ذى الخلق العظيم، والحسب الصميم، والصفح الجميل، والمن المربى على التأمل، صريح الصريح، ورقوء دم الذبيح، المخصوص بالمقام المحمود، والحوض المورود، خطيب الأنبياء وإمامهم فى اليوم المشهود، المكين الأمين، الذى ليس على الغيب بضنين، النازل عن خير الظهور إلى خير البطون، والمتردد من الأب الأقصى إلى الأب الأدنى بين كل مصنونة ومصون، الذى تسلمه الآتى عن الماضى أمانة حملها من كل سلف خياره، ونورا عرضت فى جباه السؤدد سيماء وآثاره، إلى أن أذن الله سبحانه، فظهرت أسرار الكامنة إليه - صلوات الله عليه - الطاهرة آمنة، الذى جعلت له الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت له الغنائم وكانت حجرا محجورا، ونصر بالرعب شهورا، وأوتى جوامع الكلم فانتظمت لفظته سطورا، وبعث إلى الأحمر والأسود فضلا كان له مذخورا، ونسخت بملته الملل إما مؤمنا وإما كفورا، وأنزل عليه القرآن هدى ونورا فأحيا نفوسا وشفى صدورا، الذى وجبت نبوءته وستر الغيب عليه منسدل، وآدم - صلوات الله عليه - فى طينته منجلد، لبنة التمام، التى انعقد بها التأسيس، وبييمة النظام، التى لها ادخر الوضع النفيس، أمام وفد الرحمن، وفرط وراة الإيمان الذى نكلت عن بسالته الضراء، وسلمت له فى الخفر العذراء، واعترفت

لواقح الرياح ليمينه، واغترفت لوائح الصباح من نور جبينه، الآخذ بالحجرات، الوارد بالمعجزات، الذى سلم عليه الحجر، والتم إليه الشجر، وانشق لبرهانه القمر، وحن إلى حضرته الجذع المنقعر، وأنبأه بسورته السم المستعر، ونبع من بين أنامله الماء، وأجابت بدعوته ثم انجابت السماء أبو القاسم خيرة الخير، وسيد البشر، المصطفى من أكرم العتر، جاشم المجاشم، وذؤابة بنى هاشم، هامة العرب، ومنتهى فخر الأبعد والأقرب، الحاشر العاقب، ذو المجد الثاقب، وزهر المآثر والمناقب، الذى فاز المحسنون بطاعته، واستنقذ المذنبون بشفاعته. وَعَلَيْهِ السَّلَامُ حساب ما لديه، وكفاء ما يدنى منه ويقرب إليه، من عتيقه، المعلن بتصديقه، الداعى فى قربه، المستشفى بريح تربه، المستشفع به إلى ربه، المؤمن بما آمن به من رسله وكتبه. فلان. كتبه يا واضع الإصر والأغلال، ورافع رايات الهدى على الضلال، ومبدلنا بالظل من الحرور، ومخرجنا من الظلمات إلى النور، ومروينا من الرحيق المختوم، والحوض الذى آتيته بعدد النجوم، ومحظينا بالنظر إلى الحى القيوم عن دمع يسفح، ونفس يلفح، وصدر بأشواقه ملآن يطفح، وعرف عليك من الصلاة والسلام ينفع. وأسف إليك يتلهب، وزفرة بأحناء الضلوع تجىء وتذهب، وحشاشة بعوائق البعد عنك تنهب، وكيف لا أقضى حزنا، ولا أرسل دموع الوجد والتلهب مزنا، أم كيف ألد حياة، وأؤمل نجاة، ولم أعبر إلى زيارتك لجة ولا مومة، ولا أخطر فى قصدك نفسا أنت منقذها ومنجيها، ولا مثلت بمعاهدك المشهورة، ومشاهدك المطهرة أحييها، ولا نزلت عن الكور كرامة للبقعة المقدسة التى ثوبت فيها. فوا أسفا، ألا أحب إلى ثراك مقبلا، ولا أكب على مثواك مستقبلا، وألا أصافح من تلك العرصات، مدارس الآيات، ومهبط الوحى والمناجات، حيث قضى فرض الصوم والصلوات، وحيث

انتشر التزيل، وسفر بالوحى جبريل، وبرزت خبيثة الدهر، وأورثت بليلة خير من ألف شهر. أسفا لا يمحو رسمه، ولا يعفو ندبه ورسمه، إلا الوقوف بحرم الله وحرملك، والتوسل هناك إلى كرمه بكرمك. اللهم كما جعلتني من أمته، واستعملتني بسنته وشوقتني إلى آثاره، وشغلت قلبي بتذكره وتذكاره وأريتني تلك المعالم المنيفة خيالا، وخططت منها فى الضمير مثالا، وأريتنيها ملء السمع والفؤاد جمالا، فاشف بمرآها بصرا ضريرا، وبسناها يرتد بصيرا. واجعل لى فيها معرسا ومقيلا، وضع عنى من شوقها إصرا ثقيلا. اللهم أعدنى بالقرب على بعده، واجعلنى من المقتفين لهداه من بعده، واغمرنى بين قبره ومنبره، ومبدأه ومحضره، ومصلاه ومنحره. وأنخ هذه الشيبة، بباب بنى شيبة. واغسلها هناك من ذنوبها وخطاياها، وعج إلى خاتم أنبيائك صدور مطاياها، وهب لى عزمة من أطاع، وبسطة من استطاع. وادفع عنى الضرر والضرورة، ولا تمنى حلس البيت ضرورة، لو أوتيت يا رسول الله سولى، لسبقت إليك كتابى ورسولى لكن قل الوفى، واستقل السفر، وغادرونى حرضا، ولساهام الوجد والأسى غرضا. أتبعتهم نفسا لا يؤوب، وقلبا يستخفه القلق والوثوب، فأتشبت بهم تشبت الأسير بالطلق، وألحظهم لحظ السقيم للمفيق. فلم أملك يا رسول الله، إلا رقعة تشكو بث التبريح، وتحية خفيفة المحمل طيبة الريح، تتأرجح - يا رسول الله - بأرجائك، وتتضرج، إلى قبولك ورجائك، فأتوسل بك - يا رسول الله - إلى مصطفيك بالرسالة والوسيلة، ومختصك بالدرجة الرفيعة والفضيلة، ومؤتمنك على إقامة حقه، ومبتعثك بالنور والهدى إلى جميع خلقه، ليسعدنى بجوارك، ويكرمنى بحلول دار هجرتك وأنصارك. وأفى بعد حقوقه لحق من حقوقك، وألم بصديقك وفاروقك، وأعرج على الصهرين، أبى عمرو ذى

النورين، وأبى السبطين: الحسن والحسين، وأندب المقتول، وأعزى البتول، وأوقف بحواريك المودود، وبأسد الأسود، وبابن عبيد الله ذى الجود، وبالأمين حق الأمين، وبقرع دهره فى التقى والدين، وبسعيد ذى الفضل المين، وأقضى حق الأمهات. والأزواج الطاهرات، وسائر أهل الكرامات، وأتقرى منازل السعداء، ومشهد سيد الشهداء وأدعو ربك، فى جبل أحببته وأحبك، وأحط بوارث الرأى والرأية، وصاحب السقيا والسقاية، وحائز العقبى والغاية، وأعتمد عصمة الهلاك، وأبا أبى الأملاك، حبر العلم والتأويل، وفتح أغلاق التنزيل، وبحر الندى الجزيل، طالعك يا رسول الله - بنيتى، وأنزلت بك أمنيتى، وغير عزيز على من شفعتك يوم القيامة، وأقطعك دار المقامة، وأعطاك لواء الحمد والكرامة، أن يجمع لى بك بين الشفاعتين، ويؤتيني فى الدنيا بليكا، وفى الآخرة بسقياك، - الحسين، اللهم بلغ عنى الأمين، والرسول القوى المكين، ما أظهره من محبته وأبطنه، وأسره وأعلنه، اللهم أشهد بصلاتى عليه وسلامى، ومحبتى فيه وإلمامى. وصل اللهم عليه وعلى أصحابه أعلام الإسلام، ومصابيح الظلام، وعلى أهل قرباه، ومن نصره وآواه. وعلى أزواجه الصالحات، العابدات السائحات، صلاة تبارى وتفواح ثناءهم، وتغادى وتراوح فناءهم، يتضوع شذاها بقبورهم، ويسطع نشرها إلى يوم نشورهم، مشفوعا عقبها بالدوام والتمام، إلى دار السلام. ثم سلام الله عدد خلقه، ورضى نفسه، على نبي رحمة، المغفور له ما تقدم وتأخر من ذنبه، ورحمة الله وبركاته، وأنهاره وجناته، وروحه وريحانه، ومغفرته وضوانه، وسلم تسليما كثيرا.

انتهى ما كتبه ذو الوزارتين ابن أبى الخصال عن نفسه للمحل الشريف

النبوى .

ولنذكر رسالة كتبها - رحمه الله - عن رجل من أهل قرطبة، يقال له عبد الله بن عبد الحق الصيرفي، وكان عليل الجسم، ولما وصلت رسالته القبر الشريف، برئ من زمائته ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد.

إلى البشير النذير، والسراج المنير، المخصوص بالتعزير والتوقير، والبيت المقدس بالتطهير. خاتم النبيين، وسيد المرسلين، والشفيع إلى رب العالمين، من عتيق هداه، وزائره بمحبته وهواه، المستكشف ببركته لبلواه، المستشفع بشفاعته في دنياه وأخراه، - فلان.

كتاب وقيذ من زمائته مشفى

بقبر رسول الله أحمد مستشفى

له قدم قد قيد الدهر خطوها

فلم يستطع إلا الإشارة بالكف

ولما رأى الزوار يبتعدونه

وقد عاقه عن قصده عائق الضعف

بكى أسفا واستودع الركب إذ غدوا

تحية صدق تفعم الركب بالعرف

فيا خاتم الرسل الشفيع لربه

دعاء مهيض خاشع القلب والطرف

عتيقك عبد الله ناداك ضارعا

وقد أخلص النجوى وأيقن بالعطف

رجاك لضر أعجز الناس كشفه

ليصدر داعيه بما شاء من كشف

لرجل رمى فيها الزمان فقصرت

خطاها عن الصف المقدم والزحف

وإني لأرجو أن تعود سوية

برحمة من يحيى العظام ومن يشفى

وأنت الذى نرجوه حيا وميتا

لصرف خطوب لا تريع إلى صرف

عليك سلام الله عدة خلقه

وما يرتضيه من مزيد ومن ضعف

وممن سلك هذا الوادى، وأرسل - إذ غلبه الشوق - دموعه الغوادى،

ذو البيان الذى قل له الموازى، الشيخ أبو زيد الفازازى، فإنه كتب إلى الحرة

الطيبة، على ساكنها أفضل السلام والصلوات الواكفة الصيبة، بما نصه:

يا سيد الرسل المكين مكانه ومقدما وهو الأخير زمانه

والمصطفى المختار من هذا الورى فمحله عالى المحل وشأنه

ومن النبوة والطهارة والهدى شرف حواه فؤاده ولسانه

عنوان طرس الأنبياء وختمهم والطرس يكمل حسنه عنوانه
فالدهر خلق أحمد إصباحه والخلق جفن أحمد إنسانه
ناداك عبد آخرته ذنوبه والشوق تلفح قلبه نيرانه
وفدت عليك ركاب أرباب التقى والمذنب الخطاء كف عنانه
لما تخلف للتخلف مذنباً فى المذنبين وغره إمكانه
كتب الكتاب لعله إذا لم يزر باللحظ قبرك أن تزور بنانه
ووراء أضلاعى فؤاد قيده ألف الذنوب وسجنه أشجانه
لكن حبك شافع ومشفع يغشى محبك يمنه وأمانه
وعليك يا خير الأنام تحية كالروض صافح روحه ريحانه
ممن يزورك خطه وكلامه إن لم يزرك لذنبه جثمانه

وممن بلغ فى هذا غاية الآماد الكاتب ابن الغماد، فإنه قال يتشوق إلى
ذلك الجنب المنيع، ويترجى التيسير وحسن الصنيع:

شوقى إلى خير الخلق متصل يا ليت شعرى هل أدنو وهل أصل
وهل أزور ثراه وهو خير ثرى استنشق المسك منه ثم اكتحل
وهل أرى روضة حل الكمال بها من كل أرض إليها تجهد الإبل
ومنها:

فى كل عام أرجى زورة معكم

فتنهضون وشانى دونكم ثقل

لو خف ظهري لكان الجسم مرتحلا
لكن قلبي أمام الركب مرتحل
يحدو به وجدته والشوق سائقه
وكيف يدنو كلال منه أو ملل
واحسرتاه فاز غيرى بالوصال إلى
أرض الحبيب ودوني سدت السبل
متى ينادى بى الحادى يبشرنى
بشراك - يا مغربى - انزل فقد نزلوا
انزل بطيبة طاب العيش قد ظفرت
به يداك فلا خوف ولا وجل
عبد له أنا إن نادى وبشرنى
وأنت حر إذا بلغت يا جمل
قلبي بحب رسول الله مشغل
يا ويح قلب له عن حبه شغل
انتهى كلام ابن الغماد رحمه الله تعالى .

وممن أتى فى هذا الباب بما أربى عرفه على كل طيب، ذو الوزارتين
لسان الدين أبو عبد الله ابن الخطيب، صَبَّ الله عليه شآبيب الرضوان
والمغفرة، فقد كتب للروضة النبوية رسالتين عن السلطانين أبى الحجاج
يوسف، وابنه الغنى بالله أبى عبد الله محمد بن السلطان ابن نصر، كل
واحدة منهما متبلجة الصباح مسفرة نص الأولى :

إذا فاتني ظل الحمى ونعيمه

فحسب فؤادي أن يهب نسيمه^(١)

ويقنعني أنى به مستكنف

فزمزمه دمعى وجسمى حطيمه

يعود فؤادي ذكر من سكن الغضا

فيقعه فوق الفضا ويقيمه

ولم أر شيئا كالنسيم إذا سرى

شفى سقم القلب المشوق سقيمه

نعلل بالتذكار نفسا مشوقة

ندير عليها كأسه ونديمه

وما شفنى بالغور قد مرشح

ولا شاقنى من وحش وجرة ريمه

ولا سهرت عيني لبرق ثنية

من الثغر يبدو موهنا فأشميمه

برانى شوق للنبي محمد

يسوم فؤادي برحه ما يسومه

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ٣٥٤.

ألا يا رسول الله^(١) ناداك ضارع

على النأى محظوظ الوداد سليمه

مشوق إذا ما الليل مد رواقه

تهم به تحت الظلام همومه

إذا حديث عنك جاءت به الصبا

شجاء من الشوق الحثيث قديمه

أيهجر بالنجوى وأنت سميعها

ويشرح ما يخفى وأنت عليه

وتعوزه السقيا وأنت غياثه

وتتلفه الشكوى وأنت رحيمه

بنورك نور الله قد أشرق الهدى

فأقماره وضاحه ونجومه

لك أنهل فضل الله فى الأرض ساكبا

فأنواؤه ملتفة وغيومه

ومن فوق أطباق السماء بك أقتدى

خليل الذى أوطاها وكليمه

لك الخلق الأرضى الذى جل ذكره

ومجد فى الذكر العظيم عظيمه

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «يا رسول إله» وصوابه من نفع الطيب.

يجل مدى عليك عن مدح مادح

فموسر در القول فيك عديمه

ولى - يا رسول الله - فيك وراثه

ومجدك لا ينسى الذمام كريمه

وعندى إلى أنصار دينك نسبة

هى الفخر لا يخشى انتقالا مقيمه

وكان بودى أن أزور مـبـوأ

بك افتخرت أطلاله ورسومه

وقد يجهد الإنسان طرف اعتزامه

ويعوزه من بعد ذاك مـرومه

وعذرى فى تسويف عزمى ظاهر

إذا ضاق عذر العزم عمن يلومه

عدتنى بأقصى الغرب عن تربك العدا

جلالقة الثغر الغريب ورومه

أجاهد منهم فى سبيلك أمة

هى البحر يعيى أمرها من يرومه

فلولا اعتناء منك يا ملجأ الورى

لريع حماه واستبيح حريمه

فلا تقطع الحبل الذى قد وصلته

فمجدك موفور النوال عميمه

وأنت لنا الغيث الذى نستدره

وأنت لنا الظل الذى نستديمه

ولما نأت دارى وأعوز مطمعى

وأقلقنى شوق يشب جحيمه

بعثت بها جهد المقل معولا

على مجدك الأعلى الذى جل خيمه

وكلت بها همى وصدق قريحتى

فساعدنى هاء الروى وميمه

فلا تنسنى يا خير من وطئ الثرى

فمثلك لا ينسى لديه خديمه

عليك سلام الله ما ذر شارق

وما راق من وجه الصباح نسيمه

وإلى^(١) رسول الحق، إلى كافة الخلق وغمام الرحمة الصادق البرق،
الحائز فى ميدان اصطفاء الرحمن قصب السبق، خاتم الأنبياء، وإمام ملائكة
السماء، ومن وجبت له النبوة وآدم بين الطين والماء. شفيع أرباب الذنوب،

(١) نفع الطيب ج ٦ ص ٣٥٦.

وطبيب أدواء القلوب، ووسيلة الخلق إلى علام الغيوب: نبي الهدى الذى
 طهر قلبه، وغفر ذنبه، وختم به الرسالة ربه، وجرى فى النفوس مجرى
 الأنفاس حبه، الشفيع المشفع يوم العرض، المحمود فى ملائ السماء والأرض،
 صاحب اللواء المنشور، يوم النشور، والمؤمن على سر الكتاب المسطور،
 ومخرج الناس من الظلمات إلى النور، المؤيد بكفاية الله وعصمته^(١)، الموفور
 حظه من عنايته ونعمته، الظل الخفاق على أمته. من لو حازت الشمس بعض
 كماله ما عدت إشراقاً، أو كان للآباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم إشفاقاً.
 فائدة الكون ومعناه، وسر الوجود الذى بهر الوجود سناه، وصفى حضرة
 القدس الذى لا ينام قلبه إذا نامت عيناه. البشير الذى سبقت له البشرى،
 ورأى من آيات ربه الكبرى ونزل فيه ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى...﴾ [الإسراء]،
 من الأنوار من عنصر نوره مستمدة، والآثار تخلق وآثاره مستجدة، من طوى
 بساط الوحي لفقده، وسد باب الرسالة والنبوة من بعده، وأوتى جوامع الكلم
 فوقفت البلغاء - حسرى - دون حده الذى انتقل فى الغرر الكريمة نوره،
 وأضاءت لميلاده مصانع الشام وقصوره، وطفقت الملائكة تحييه وفودها
 وتزوره، وأخبرت الكتب المنزلة على الأنبياء بأسمائه وصفاته. وأخذ عهد
 الإيمان به على من اتصلت بمبعثه منهم أيام حياته. المفزع الأمانع يوم الفرع
 الأكبر، والسند المعتمد عليه فى أهوال المحشر، ذو المعجزات التى أثبتتها
 المشاهدة والحس، وأَقَرَّ بِهَا الجن والإنس: من جماد يتكلم، وجذع لفراقه
 يتألم، وقمر له ينشق، وحجر يشهد أن ما جاء به هو الحق، وشمس بدعائه
 عن مسيرها تحبس، وماء من بين أصابعه يتبجس، وغمام باستسقائه يصب،
 وطوى بصق فى أجاجها فأصبح ما وَّها وهو العذب الشروب. المخصوص
 بمناقب الكمال وكمال المناقب المسمى بالحاشر العاقب، ذو المجد البعيد المرامى

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «وعصته» وصوابه من نفع الطيب.

والمراقب، أكرم من رفعت إليه وسيلة المعترف المغترب، ونجحت لديه قربة البعيد المقرب. سيد الرسل، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الذى فاز بطاعته المحسنون. واستنفذ بشفاعته المذنبون، وسعد باتباعه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ﷺ ما لمع برق، وهمع ودق، وطلعت شمس، ونسخ اليوم أمس:

مِنْ عَتِيق^(١) شفاعته، وعبد طاعته، المعتصم بسببه، المؤمن بالله ثم به، المستشفئ بذكره كلما تألم، المفتتح بالصلاة عليه كلما تكلم، الذى إن ذكر تمثل طلوعه بين أصحابه وآله، وإن هب النسيم العاطر وجد فيه طيب خلاله، وإن سمع الآذان تذكر صوت بلاله، وإن ذكر القرآن استشعر تردد جبريل بين معاهده وخلاله. لإثم تربه، ومؤمل قربه، ورهين طاعته وحبه، المتوسل به إلى رضى الله به، يوسف بن إسماعيل بن نصر.

كتبه إليك يا رسول الله والدمع ماح، وخيل الوجد ذات جماح، عن شوق يزداد كلما نقص الصبر، وانكسار لا يتاح له إلا بدنو مزارك الجبر، وكيف لا يعيى مشوقك الأمر، وتوطأ على كبده الجمر، وقد مطلت الأيام بالقدوم على تربتك المقدسة اللحد، ووعدت الآمال ودانت بإخلاف الوعد، وانصرفت الرفاق والعين بنور ضريحك ما اكتحلت، والركائب إليك ما رحلت، والعزائم قالت وما فعلت، والنواظر فى تلك المشاهد الكريمة لم تسرح، وطيور الآمال عن وكور العجز لم تبرح، فيا لها من معاهد فاز من حياها، ومشاهد ما أعطر رياها، بلاد نيظت بها عليك التمايم، وأشرقت بنورك منها النجود والتهائم، ونزل فى حجراتها عليك الملك، وانجلى بضياء

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ٣٦١.

فرقانك فيها الحلك، مدارس الآيات والسور، ومطالع المعجزات السافرة
الغرر، حيث قضيت الفروض وحتمت، وافتتحت بسورة الوحي وختمت،
وابتدئت الملة الحنفية وتمت، ونسخت الآيات وأحكمت.

أما والذي بعثك بالحق هاديا، وأطلعك للخلق نورا باديا، لا يطفى
غلتي إلا شربك، ولا يسكن لوعتي إلا قربك، فما أسعد من أفاض من حرم
الله إلى حرمك، وأصبح بعد أداء ما فرضت عن الله ضيف كرمك، وعفر
الخد في معاهدك ومعاهد أسرتك، وتردد ما بين دارى بعثتك وهجرتك.
وإنى لما عاقتنى عن زيارتك العوائق - وإن كان شغلى عنك بك، وعدتنى
الأعداء فيك عن وصل سبى بسبك، وأصبحت بين بحر تتلاطم أمواجه،
 وعدو تتكاثف أفواجه، ويحجب الشمس عند الظهيرة عجاجة، فى طائفة من
المؤمنين بك وطنوا على الصبر نفوسهم، وجعلوا التوكل على الله وعليك
لبوسهم، ورفعوا إلى مصارختك رءوسهم، واستعذبوا فى مرضاة الله
ومرضاتك بؤسهم، يطيطون من هبة إلى أخرى، ويلتفتون والمخاوف عن
يمنى ويسرى، ويقارعون وهم الفئة القليلة جموعا كجموع قيصر وكسرى، لا
يبلغون من عدو هو الذر عند انتشاره، عشر معشاره، قد باعوا من الله الحياة
الدنيا، لأن تكون كلمة الله هى العليا. فيا له من سرب مروع، وصريخ إلا
منك ممنوع، ودعاء إلى الله وإليك مرفوع، وصبية حمر الحواصل، تخفق فوق
أوكارها أجنحة المناصل، والصليب قد تمطى فمد ذراعيه، ورفعت الأطماع
بضبعيه، وقد حجبت بالقتام السماء، وتلاطمت أمواج الحديد، والبأس
الشديد، فالتقى الماء، ولم يبق إلا الدماء، وعلى ذلك فما ضعفت البصائر
ولا ساءت الظنون، وما وعد به الشهداء تعتقده القلوب حتى تكاد تشاهده

العيون، إلى أن نلّقاك غدا - إن شاء الله - وقد أبلينا العذر، وأرغمنا الكفر، وأعملنا في سبيل الله وسبيلك البيض والسمر - استنبت^(١) رقعتي هذه لتطير إليك من شوقي بجناح خافق، وتسعد من نيتي التي تصحبها برفيق موافق، فتؤدى عن عبدك وتبلغ، وتعفر الخد في تربك وتمرغ، وتطيب برّيا معاهدك الطاهرة وبيوتك، وتقف وقوف الخضوع والخشوع تجاه تابوتك، وتقول بلسان التملق، عند التشبث بأسبابك والتعلق، منكسرة الطرف، حذرا بهرجها من عدم الصرف: يا غياث الأمة وغمام الرحمة، ارحم غربتي وانقطاعي، وتغمد بطولك قصر باعى، وقو على هيبتك خور طباعى، فكم جزت من لج مهول، وجبت من حزون وسهول، وقابل بالقبول نيابتي، وعجل بالرضا إجابتي، ومعلوم من كمال تلك الشيم وسجايا تلك الديم، أن لا يخيب قصد من حط بفنائها، ولا يظمأ وارد أكب على إنائها.

اللهم يا من جعلته أول الأنبياء بالمعنى وآخرهم بالصورة، وأعطيته لواء الحمد يسير آدم فمن دونه تحت ظلاله المشورة، وملكت أمته ما زوى له من زوايا البسيطة المعمورة، وجعلتني من أمته المجبولة على حبه المفطورة، وشوقتني إلى معاهده المبرورة، ومشاهده المزورة، ووكلت لسانى بالصلاة عليه، وقلبي بالحنين إليه، ورغبتني بالتماس ما لديه، فلا تقطع عنه أسبابي، ولا تحرمنى فى حبه أجر ثوابي، وتداركنى بشفاعته يوم أخذ كتابي.

هذه يا رسول الله وسيلة من بعدت^(٢) داره، وشط مزاره، ولم يجعل بيده اختياره، فإن لم تكن للقبول أهلا فأنت للإغضاء والسماح أهل، وإن كانت ألفاظها وعرة فجنايبك للقاصدين سهل، وإن كان الحب يتوارث كما أخبرت، والعروق تدس حسبما إليه أشرت، فلى بانتسابي إلى سعد عميد

(١) استنبت جواب «لما» التى وقعت قبل سطور عديدة.

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «وسيلة ن بعدت» وصوابه من نفع الطيب.

أنصارك مزية، ووسيلة أثيرة خفية، فإن لم يكن لى عمل ارتضيته فلى نية. فلا تنسنى ومن بهذه الجزيرة المفتحة بسيف كلمتك، على أيدى خيار أمتك، فإنما نحن بها وديعة تحت بعض أقفالك، فنعود بوجه ربك من إغفالك، ونستنشق من ريح عنايتك نفحة، ونرتقب من محيا قبولك لمحة، ندافع بها عدوا طغى وبغى، وبلغ من مضايقتنا ما ابتغى، فمواقف التمحيص قد أعيت من كتب وورخ، والبحر قد أصمت من استصرخ، والطاغية فى العدوان مستبصر، والعدو محلوق والولى مقصر، وبجاهك ندفع ما لا نطق، وبعنايتك نعالج سقيم الدين فيفيق. فلا تفردنا ولا تهملنا، وناد ربك فينا: ربنا ولا تحملنا، وطوائف أمتك حيث كانوا عناية منك تكفيهم، وربك يقول لك وقوله الحق: «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم»، والصلاة والسلام عليك يا خير من طاف وسعى، وأجاب داعيا إذا دعا. وصلى الله على جميع أحزباك وآلك، صلاة تليق بجلالك وتحق لكمالك، وعلى ضجيعيك وصديقيك وحيبيك ورفيقيك، خليفتك فى أمتك، وفاروقك المستخلف بعده على جلتك، وصهرك ذى النورين المخصوص ببرك وتجلتك، وابن عمك سيفك المسلول على حلتك، بدر سمائك ووالد أهلتك. والسلام الكريم عليك وعليهم كثيرا أثيرا، ورحمة الله وبركاته. وكتب بحضرة جزيرة الأندلس غرناطة - صانها الله ووقاها، ودفع عنها ببركتك كيد عداها.

ونص الرسالة الثانية المكتوبة عن الغنى بالله - سامحه الله :

دعاك بأقصى المغربين غريب وأنت على بعد المزار قريب^(١)
مدل بأسباب الرجاء وطرفه غضيض على حكم الحياء مريب

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ٣٦١.

يكلف قرص البدر حمل تحية
لترجع من تلك المعالم غدوة
ويستودع الريح الشمال شمائلها
ويطلب فى جوب الجنوب جوابها
وَيَسْتَفْهَم^(١) الكَفَّ الخُضيبَ ودمعه
ويتبع آثار المطى مشيعا
إذا أثر الأخفاف لاحت محاربا
ويلقى ركاب الحج وهى قوافل
فلا قول إلا أَنَّهُ وتوجع
غليل ولكن من قبولك منهل
ألا ليت شعرى والأمانى ضلة
أينجد نجد بعد شحط مزاره
وتقضى ديونى بعد ما مطل المدى
وهل اقتضى دهرى فيسمح طائعا
ويا ليت شعرى هل لحومى مورد
ولكنك المولى الجواد وجاره
وكيف يضيق الذرع يوما بقاصد
وما هاجنى إلا تآلق بارق

(١) هذا الصواب من نفح الطيب، وفى المطبوع: «وسيتفهم» ولا يستقيم به الوزن، والبيت

من الطويل.

ذكرت به ركب الحجاز وجيزة
 فبت وجفنى من لآلى دمه
 ترحنى الذكرى ويهفو بى الجوى
 وأحضر تعليلاً لشوقى بالمنى
 منائى لو أعطى الأمانى زورة
 فقول حبيب إذ يقول تشوقاً
 تعجبت من سيفى وقد جاوز الغضى
 وأعجب أن لا يورق الرمح فى يدى
 فيا سرح ذاك الحى لو أخلف الحيا
 ويا هاجر الجو الجديب تلبثا
 ويا قارح الزند الشحاح ترفقا
 أيا خاتم الرسل المكين مكانه
 فؤاد على جمر البعاد مقلب
 فوالله ما يزداد إلا تلهبا
 فليلته ليل السليم ويومها
 هواى هدى فىك اهتديت بنوره
 وحسبى على أنى لصحبك متم
 عدت عن مغانيك المشوقة للعدى
 أهاب بها نحو الحبيب مهيب
 غنى وصبرى للشجون سليب
 كما مال غصن فى الرياض رطيب
 ويطرق وجد غالب فأغيب
 يث غرام عندها ووجيب
 "عسى وطن يدنو" إلى حبيب
 بقلب فلم يسكبه منه مذيّب
 ومن فوقه غيث الشئون سكب
 لأغناك من صوب الدموع صبيب
 فعهدى رطب الجانبين خصب
 عليك فشوقى الخارجى شبيب
 حديث الغريب الدار فىك غريب
 يماح عليه للدموع قلب
 أبصرت ماء ثار عنه لهيب
 إذا شد للشوق العصاب عصب
 ومتسبى للصحب منك نسيب
 وللخزرجيين الكرام نسيب
 عقارب لا يخفى لهن ديب

حراس على إطفاء نور قدحته
 فكم من شهيد فى رضاك مجدل
 تمر الرياح الغفل فوق كلومهم
 بنصرك عنك الشغل من غير منة
 فإن صح منك الحظ طاوعت المنى
 ولولاك لم يعجم من الروم عودها
 وقد كانت الأحوال لولا مراغب
 فما شئت من نصر عزيز وأنعم
 منابر عز أذن الفتح فوقها
 تقود إلى هيجائها كل صاهل
 ونجتاب من سرد اليقين مدارعا
 إذا اضطرب الخطى حول غدیرها
 فعذرا وإغضاء ولا تنس صارخا
 وجاهك بعد الله نرجو وإنه
 عليك صلاة الله ما طيب الفضا
 وما اهتز قد للغصون مرنح
 إلى حجة^(١) الله المؤيدة ببراہین أنواره، وفائدة الكون ونكتة أدواره،
 وصفوة فرع البشر ومنتہى أطواره. إلى المجتبى وموجود الوجود لم يغن

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ٣٦٣.

بمطلق الوجود عديمه . والمصطفى من ذرية آدم من قبل أن يكسو العظام أديمه المحتوم فى القدم، وظلمات العدم، عند صدق القدم، تفضيله وتقديمه، إلى وديعة النور المنتقل إلى الجباه الكريمة والغرر، ودرة الأنبياء التى لها الفضل على الدرر، وغمام الرحمة الهامية الدرر، إلى مختار الله المخصوص باجتماعه، وحيبيه الذى له المزية على أحبابه، من ذرية أنبياء الله آبائه، إلى الذى شرح صدره وغسله، ثم بعثه واسطة بينه وبين العباد وأرسله، وأتم عليه إنعامه الذى أجزله، وأنزل عليه من الهدى والنور ما أنزله . إلى بشرى المسيح والذبيح، ومن له التجر الربيع، المنصور بالرعب والريح، المخصوص بالنسب الصريح . إلى الذى جعله فى المحول غماما، وللأنبياء إماما، وشق صدره لتلقى روح أمره غلاما، وأعلم به فى التوراة والإنجيل إعلاما، وعلم المؤمنين صلاة عليه وسلاما . إلى الشفيع الذى لا ترد فى العصاة شفاعته، والوجيه الذى قرنت بطاعة الله طاعته، والرءوف الرحيم الذى خلصت إلى الله فى أهل الجرائم ضراعتة، صاحب الآيات التى لا يسع ردها، والمعجزات التى أربى على الألف عدها: من قمر شق، وجذع حن له وحق، وبنان يتفجر بالماء، فيقوم برى الظمأ وطعام يشبع الجمع الكثير يسيره، وغمام يظل به مقامه ومسيره، خطيب المقام المحمود إذا كان العرض، وأول من تنشق عنه الأرض، وسيلة الله التى لولاها ما أقرض القرض، ولا عرف النفل والقرض، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، المحمود الخلال من ذى الجلال، والشاهدة بصدقه صحف الأنبياء وكتب الأرسال، وآياته التى أثلجت القلوب ببرد اليقين السلسال. ﷺ ما ذر شارق، وأومض بارق، وفرق بين اليوم الشامس والليل الدامس فارق، صلاة تتأرجح على شذى

الزهر، وتبليج عن سنى الكواكب الزهر، وتتردد بين السر والجهر، وتستغرق ساعات اليوم وأيام الشهر، وتدوم بدوام الدهر:

من عبد هداه ومستقرى مواقع نداء، ومزاحم أبناء أنصاره فى منتداه، وبعض سهامه المفوقة إلى نحور عداه، مؤمل العتق من النار بشفاعته، ومحرز طاعة الجبار بطاعته، الآمن باتصال رعيه من إهمال الله وإضاعته. متخذ الصلاة عليه وسائل نجاة، وذخائر فى الشدائد مرتجاة، ومتاجر بضائعها غير مزجاة، الذى ملأ بحبه جوانح صدره، وجعل فكره هالة لبدرة، وأوجب حقه على قدر العبد لا على قدره، محمد بن يوسف بن نصر الأنصارى الخزرجى، نسيب سعد بن عبادة من أصحابه، وبوارق سحابه، وسيوف نصرته، وأقطاب دار هجرته، ظلله الله يوم الفزع الأكبر من رضاك عنه بظلال الأمان، كما أثار قلبه من هدايتك بأنوار الهدى والإيمان، وجعله من أهل السياحة فى فضاء حبك والهيمنان.

كتبه إليك يا رسول الله، واليراع يقتضى مقام الهيبة صفرة لونه، والمداد يكاد أن يحول سواد جونه، وورقة الكتاب يخفق فؤادها حرصا على حفظ اسمك الكريم وصونه، والدمع يقطر فتتقط به الحروف وتفصل الأسطر، وتوهم المثل بملوك المقدس لا يمر بالخاطر سواه ولا يخطر، عن قلب بالبعد عنك قريح، وجفن بالبكاء جريح، وتأوه عن تبريح، كلما هب من أرضك نسيم ريح، وانكسار ليس له إلا جبرك، واغتراب لا يؤنس فيه إلا قربك وإن لم يقض فقبرك، وكيف لا يسلم فى مثلها الأسى، ويوحش الصباح والمساء، ويرجف جبل الصبر بعد ما رسا، لولا لعل وعسى، فقد سارت الركاب إليك ولم يقض مسير، وحومت الأسراب عليك والجنح كسير، ووعدت الآمال فاختلفت، وحلفت العزائم فلم تف بما حلفت، ولم تحصل النفس من

تلك المعاهدات ذات الشرف الأثيل، إلا على التمثيل، ولا من المعالم الملتزمة التنوير، إلا على التصوير، مهبط وحى الله ومنتزل أسمائه، ومتردد ملائكة سمائه، ومدافن أوليائه، وملاحد أصحاب خيرة أنبيائه، رزقنى الله الرضا بقضائه، والصبر على جاحم البعد ورمضائه من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى دار ملك الإسلام بالأندلس قاصية سيلك، ومسبحة رجلك يا رسول الله وخيلك، وأناى مطارح دعوتك، ومساحب ذيلك، حيث مصاف الجهاد فى سبيل الله وسبيلك قد ظللها القتام، وشهبان الأسنة أطلعها منه الإعتماد، وأشواق بيع النفوس من الله قد تعدد بها^(١) الأيامى والأيتام، حيث الجراح قد تحلت بعسجد نجيعها النحور، والشهداء تحف بها الحور: والأمم القرية قد قطعتها على المدد البحور، حيث المباسم المفتره، تجلوها المصارع البره، فتحييها بالعراء ثغور الأزاهر، وتندبها صوادح الأدواح برنات تلك المزاهر، وتحلى السحاب أشلاءها المعطلة من طلها بالجواهر، حيث الإسلام من عدوه المكاييد بمنزلة قطرة من عارض غمام، وحصاه من ثبير أو شمام، وقد سدت الطريق، وأسلم للفراق الفريق، وأغص الريق، ويئس من الساحل الغريق، إلا أن الإسلام بهذه الجهة المستمسكة بحبل الله وحبلك، المهتدية بأدلة سبلك سالم، - والحمد لله - من الانصداع، محروس بفضل الله من الابتداع، مقدود من جديد الملة، معدوم فيه وجود الطوائف المضلة، إلا ما يخص الكفر من هذه العلة، والاستظهار على جمع الكثرة من جموعه بجمع القلة، ولهذه الأيام - يا رسول الله - أقام الله أوده برا بوجهك الوجيه ورعيا، وإنجازا لوعدك وهو الذى لا يخلف وعدا ولا يخيب سعيًا، وفتح لنا فتوحا أشعرتنا برضاه عن وطننا الغريب، وبشرتنا منه تعالى بتغمد التقصير ورفع الثريب، ونصرنا - وله المنه - على عبدة الصليب، وجعل لألفنا الردينى ولأمننا السردي حكم

(١) هذا المثبت من نفح الطيب، وفى المطبوع: «لها».

التغليب وإذا كانت الموالى التى طوقت الأعناق مِنَّها، وقررت العوائد الحسان سيرها وسننها، تبادر إليها نوابها الصرحاء وخدامها النصحاء بالبشائر والمسرات التى تشاع فى العشائر، وتجلو لديها نتائج أيديها، وغايات مباديها، وتتاحفها وتهاديها، بمجانى جناتها وأزهار غواديها، وتطرف محاضرها بطرف بواديها. فبابك يا رسول الله أولى بذلك وأحق، ولك الحق الحق، والحر منا عبدك المسترق، حسبما سجله الرق، وفى رضاك من كل ما يلتمس رضاه المطمع، ومثواك المجمع، وملوك الإسلام فى الحقيقة عبيد سدتك المؤملة، وخول مثابتك المحسنات بالחסنات المجملة، وشهب تعشو إلى بدورك المكملة، وبعض سيوفك المقلدة فى سبيل الله المحملة، وحرسه مهادهك، وسلاح جهادهك، وبروق عهادك، وإن مكفول احترامك الذى لا يخفر، وربى إنعامك الذى لا يكفر، وملتحف جاهك الذى يحى ذنبه بشفاعتك إن شاء الله يغفر، يطالع روضة الجنة المفتحة أبوابها بمثواك، ويفتح صوان القدس الذى أجنك وحواك، وينشر بضائع الصلاة عليك بين يدى الضريح الذى طواك، ويعرض جنى ما غرست وبذرت، وبصدق ما بشرت به لما بشرت وأنذرت، وما انتهى إليه طلق جهادهك، ومصب عهادك، لتقر عين نصحك التى أنام العيون ساهر هجوعها، وأشبع البطون ورواها ظمؤها فى الله وجوعها، وإن كانت الأمور بمراى من عين عنايتك، وغيبها متعرف بين إفصاحك وكنائتك، ومجمله - يا رسول الله - ﷺ، وبلغ وسيلتى إليك، - هو أن الله سبحانه لما عرفنى لطفه الخفى فى التمهيص، المقتضى عدم المحيص، ثم فى التخصيص، المعنى بعناية عن التنصيص، وفق ببركاتك السارية رحماتها فى القلوب، ووسائل محبتك العائدة بنيل المطلوب، - إلى استفادة عظة واعتبار، واغتنام إقبال بعد إدبار، ومزيد استبصار، واستعانة بالله

وانتصار، فسكن هبوب الكفر بعد إعصار، وحل مخنق الإسلام بعد حصار، وجرت على سنن السنة، بحسب الاستطاعة والمنة، - السيرة، وجبرت بجاهك القلوب الكسيرة، وسهلت المآرب العسيرة، ورفع بيد العزة الضيم، وكشف بنور البصيرة الغيم، وظهر القليل على الكثير، وباء الكفر بخطة التعثير، واستوى الدين الحنيف على المهاد الوثير، فاهتبلنا - يا رسول الله - غرة العدو وانتهزناها، وشمنا صوارم عزة الغدو وهزناها، وأزحنا علل الجيوش وجهزناها.

فكان مما ساعد عليه القدر، والحظ المبتدر، والورد الذى حسن بعد الصدر، أننا عاجلنا مدينة بُرْغَه^(١)، وقد جرعت الأختين مالقة ورندة، من مدائن دينك، ومزاين ميادينك، أكواس الفراق، وأذكر مثل من بالعراق، وسدت طرق التزاور عن الطراق، وأسالت المسيل بالنجيع المرافق، فى مراصد المراد والمراق، ومنعت المراسلة مع هدى الحمام، لا بل مع طيف المنام، عند الإلمام، فيسر الله اقتحامها، وألحمت بيض الشفار فى زرق الكفار إلحامها، وأزل بَشْرُ السيوف من بين تلك الحروف اقتحاما، فانطلق المسرى، واستبشرت القواعد الحسرى، وعدمت بطريقها المخيف مصارع الصرعى ومشاقف الأسرى، والحمد لله على فتحه الأسنى، ومنحه الأسرى، ولا إله إلا هو منفل قيصر وكسرى، وفاتح مغلقاتها المنيعه قسرا، واستولى الإسلام منها على قرار جنات، وأم بنات، وقاعدة حصون، وشجرة غصون، طهرت مساجدها المغتصبة المكروهة، وفجع بحفظها الفيل الأفيال وأبرهة، وانطلقت بذكر الله الألسنة المدرهة، وفاز بسبق ميدانها جياذك الفرهة.

هذا - وطاغية الروم على توفر جموعه، وهول مرثيه ومسموعه، - قريب جواره، بحيث يتصل خواره، وقد حرك إليها الحنين حواره، ثم نازل

(١) برغه: بين مالقة ورندة.

المسلمون بعدها شجا الإسلام الذى أعيا النطاسى علاجه، وكرك^(١) هذا القطر الذى لا تطاول أعلامه ولا تصاول أعلاجه، وركاب الغارات التى تطوى المراحل إلى مكايده المسلمين طى البرود، وحجر الحيات التى لا تخلع - على اختلاف الفصول - جلود الزرود، ومنعص الورود، فى العذب المورود، ومقض المضاجع، وحلم الهاجع، ومجهز الخطب الفاجئ الفاجع، ومستدرك فاتكة الراجع، قبل هبوب الطائر الساجع، حصن آش^(٢)، - حماه الله - دعاء لا خبرا، كما جعله للمتفكرين فى قدرته معتبرا، فأحاطوا به أحاطه القلادة بالجيد، وأذلوا عزته بعزة ذى العرش المجيد، وحفت به الرايات يسمها وسمك^(٣)، ويلوح فى صفحاتها اسم الله واسمك، فلا ترى إلا نفوسا تتزاحم على موارد الشهادة أسرابها، وليوثا يصدق فى الله تعالى ضرابها، وأرسل الله عليها رجسا إسرائيليا من جراد السهام، تشذ آياته عن الأفهام، وسدد إلى الحيل النفوس القابلة للإلهام، من بعد الاستغلاق والاستبهاج، وقد عبث جوارح صخوره^(٤) فى قنائص إلهام، وأعيا صعبه^(٥) الجيش اللهم، فأخذ مسائغه النقض والنقب، ورغا فوق أهله السقب، ونصبت المعارج والمراقى، وفرغت المناكب والتراقى، واغتتم الصادقون مع الله الحظ الباقي، وقال الشهيد المسابق: يا فوز استباقى! ودخل البلد فألحم السيف، واستلب البحث والزيف، ثم استخلصت القصبه، فعلت أعلامك فى أبراجها المشيدة، وظفر ناشد دينك منها بالنشيدة، وشكر الله فى قصدها مساعى النصائح الرشيدة، وعمل ما يرضيك - يا رسول الله - فى سد ثلمها، وصون مستلمها، ومداواة ألمها، - حرصا على الاقتداء فى مثلها بأعمالك، والاهتداء بمشكاة كمالك، ورتب فيها الحماة تشجى العدو، وتصل فى مرضاة الله تعالى ومرضاتك برواحها الغدو.

(١) شبهه بحصن الكرك، وكان ذا شأن ومنعة فى الحروب الصليبية.

(٢) حصن آش، فى الجنوب الشرقى لحصن روطه، على ضفة رافد من روافد شنيل.

(٣) هذا الصواب من نفح الطيب ج ٦ ص ٣٦٩ والذى فى المطبوع: «ضخوره» بالضاد المعجمة.

(٤) هذا المثبت من نفح الطيب، والذى فى المطبوع: «صعبة».

ثم^(١) كان العزو إلى مدينة إطريرة^(٢)، بنت حاضر الكفر إشبيلية، التي أظلتها بالجناح الساتر، وأقامتها في ضمان الإمام للحسام الباتر، وقد وتر الإسلام من هذه المومسة البائسة بالوتر الباتر، وأحفظ منها بأذى الوقاح المهاتر، لما جرتة على أسرارته من عمل الخاتل الخاتر، حسب المنقول المقبول لا بل المتواتر، فطوى إليها المسلمون المدى النازح، ولم تشك المطى الروانح، وصدق الجدّ جدها المازح، وخفقت فوق أوكارها أجنحة الأعلام، وغشيتها أفواج الملائكة المسومة، وظلال الغمام، وصابت من السهام، ودق الرهام، وكاد يكفىء السماء على الأرض ارتجاج أجوائها بكلمة الإسلام، وقد صمّ خاطبٌ عروس الشهادة عن الملام، وسمح بالعزير المصون مبيع الملك العلام، وتكلم لسان الحديد الصامت وصمت إلا بذكر الله لسان الكلام، ورفعت الأوتار بالأوتار، ووصل بالخطى ذرع الأبيض البتار، وسلطت النار على أربابها، وأذن الله في تبار تلك الأمة وتبابها، فنزلوا على حكم السيف آلافاً، بعد أن أتلفوا بالسلاح إتلافاً، واستوعب المقاتلة كتافاً، وقرنوا في الجدل أكتافاً أكتافاً، وحملت العقائل والخرائد، والولدان والولائد، أركاباً من فوق الظهور وأردافاً، وأفلت منها أفلاك الحمول بدورا تضىء من ليالى المحاق أسدافاً، وامتألت الأيدي من المواهب والغنائم، بما لا يصوره حلم النائم، وتركت العوافى تتداعى إلى تلك الولائم، وتفتن من مطاعمها فى الملائم.

وشنت الغارات على حمص، فجلبت خارجها مغارا وكست كبار الروم

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ٣٦٩.

(٢) إطريرة Utrera مدينة تقع فى الجنوب الشرقى لإشبيلية، وقد ضبطت بكسر الهمزة وسكون الطاء.

بها صاغرا، وأجحرت أبطالها إجحارا، واستاقت من النعم ما لا يقبل الحصر استبحارًا.

ولم يكن^(١) إلا أن عدل القسم، واستقل بالقفول العزيز الرسم، ووضح من التوفيق الوسم، وكانت الحركة إلى قاعدة جيان، قيعه الظل الأبرد، ونسيجة المنوال المفرد، وكنائس الغيد الخرد، وكرسى الإمارة، وبحر العمارة، ومهوى هوى الغيث الهتون، وحزب التين والزيتون، حيث خندق الجنة تدنو لأهل النار مجانيه، وتشرق بشواطئ الأنهار أشراق الأزهار زهر مبانيه، والقلعة التي تختمت بنان شرفاتها بخواتم النجوم، وهمت من دون سحابها البيض سحائب الغيث السجوم، والعقيلة التي أبدى الإسلام يوم طلاقها، وهجوم فراقها، سمة الوجوم، لذلك الهجوم، فرمتها البلاد المسلمة فأفلاذ أكبادها الوادعة، وأجابت منادى دعوتك الصادقة الصادقة، وحيثها بالفادحة الفادعة، فغصت الربا والوهاد بالتكبير والتهليل، وتجاوبت الخيل بالصهيل، وانهالت الجموع المجاهدة في الله انهيال الكثيب المهيل، وفهمت نفوس العباد، المجاهدة في الله حق الجهاد، معانى التيسير من ربها والتسهيل، وسفرت الرايات عن المرأى الجميل، وأربت المحلات المسلمة على التأميل، ولما صبحتها^(٢) النواصى المقبلة الغرر، والأعلام المكتنفة الطرر، برز حاميتها مصحرين، وللهوذة المستباحة منتصرين، فكاثروهم من سرعان الأبطال رجل الدبا، ونبت الوهاد والربى، فأقحموهم من وراء السور، وأشرعت أقلام الرماح في بسط عددهم المكسور، وتركت صرعاهم ولائم للنسور، ثم اقتحموا ربض المدينة الأعظم ففرعوه، وجدلوا من دافع عن أسواره^(٣)

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ٣٧٠.

(٢) هذا المثبت من النفح، وفي المطبوع: «صحبته».

(٣) هذا الصواب من النفح، والذي في المطبوع: «وجدلوا من دوافع أسواره».

وصرعوه، وأكواس الحتوف جرعوه، ولم يتصل أولى الناس بأخراهم،
ويحمد بمخيم النصر العزيز سراهم، حتى خذل الكافر الصبر، وأسلم الجلد،
وأنزل المسلمون على النصر، فدخل البلد، وطاح فى السيل الجارف الوالد منه
والولد، وأتهم المطرف والمتلد، فكان هولا بعيد الشناعة، وبعثا كقيام الساعة،
أعجل المجانيق عن الركوع والسجود، والسالل عن مطاولة النجود، والأيدى
عن ردم الخنادق والأغوار والأكبش عن مناطق الأسوار، والنفوط عن
إصعاق الفجار، وعمد الحديد، ومعاول البأس الشديد، عن نقب الأبراج
ونقض الأحجار، فهيلت الكتبان، وأبيد الشيب والشبان، وكسرت الصلبان،
وفجع بهدم الكنائس الرهبان، وأهبطت النواقيس من مراقيها العالية،
وصروحها المتعالية وخلعت ألسنتها الكاذبة، ونقل ما استطاعته الأيدى
المجاذبة، وعجزت عن الأسلاب ذوات الظهور، وجلل الإسلام شعار العز
والظهور، بما خلت عن مثله سوائف الدهور والأعوام والشهور، وأعرست
الشهداء ومن النفوس المبيعة من الله نحل الصدقات والمهور، ومن بعد ذلك
هدم السور، ومحيت من محيطه المحكم - السطور، وكاد يسير ذلك الجبل
الذى اقتعدته المدينة ويدك ذلك الطور، ومن بعدما خرب الوجار عقرت
الأشجار، وعفر المنار، وسلطت على بنات التراب والماء النار، وارتحل عنها
المسلمون وقد عمتها المصائب، وأصمى لبيتها السهم الصائب، وظللتها
القشاعم العصائب، فالذئاب فى الليل البهيم تعسل، والضباع من الحذب
البعيد تنسل، وقد ضاقت الجُدُلُ عن المخانق، وبيع العرض الثمين بالدانق،
وسبكت أسورة الأسوار، وسويت الهضاب بالأغوار، واكتسحت الأحواز
القاصية سرايا الغوار، وحجبت بالدخان مطالع الأنوار، وتخلفت قاعتها
عبرة للمعتبرين، وعظة للناظرين، وآية للمستبصرين، ونادى لسان الحمية:

يا لثارات الإسكندرية! فأسمع آذان المقيمين والمسافرين وأحق الله الحق بكلماته
وقطع دابر الكافرين .

ثم كانت^(١) الحركة إلى أختها الكبرى، ولدتها الحزينة عليها العبرى،
مدينة أُبْدَة ذات العمران المستبحر، والربض الخرق المصحر، والمباني الشم
الأنوف وعقائل المصانع الجمّة الحلى والشنوف، والغاب الأنوف، بلدة التجر،
والعسكر المجر، وأفق الضلال الفاجر، الكذب على الله تعالى الكاذب
الفجر، فخذل الله حاميتها التى يعى الحساب عدها، وسجر بحورها التى لا
يرام مدها، وحقت عليها كلمة الله التى لا يستطاع ردها، فدخلت لأول
وهلة، واستوعب جمها - والمنة لله - فى نهلة، ولم يك للسيف من عطف
عليها ولا مهلة، فلما تناولها العفاء والخريب، واستباحها الفتح القريب،
وأسند عن عواليها حديث النصر الحسن الغريب، وأقعدت أبراجها من بعد
القيام والانتصاب، وأضرعت مساييفها لهول المصاب، انصرف عنها المسلمون
بافتح الذى عظم صيته، والعز الذى سما طرفه واشرب ليته، والعزم الذى
حمد مسراه ومييته، والحمد لله ناظم الأمر، وقد رأب شتيته، وجابر الكسر،
وقد أفات الجبر مفيته .

ثم كان الغزو إلى أم البلاد^(٢)، ومشوى الطارف والتلاد، قرطبة وما
قرطبة! المدينة التى على عمل أهلها فى القديم، بهذا الإقليم، كان العمل،
والكرسى الذى بعصاه رعى الهمل، والمصر الذى له فى خطة المعمور الناقة
والجمل، والأفق الذى هو لشمس الخلافة العبشمية الحمل، فخيم الإسلام

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ٣٧٢ .

(٢) نفح الطيب ج ٦ ص ٣٧٣ .

بعقوتها المستباحة، وأجاز نهرها المعين على السباحة، وعم دوحها الأشب بوارا، وأدار الكماة بسورها سوارا، وأخذ بمخنقها حصارا، وأعمل النصر بشجر نصلها اجتناء ما شاء واهتصارا، وجدل من أبطالها من لم يرض انجحارا، فأعمل إلى المسلمين إصحارا، حتى فرع بعض جهاتها غلابا جهارا، ورفعت الأعلام أعلاما بعز الإسلام وإظهارا، فلولا استهلال الغوادي، وأن أتى الوادي، لأفضت إلى فتح الفتوح تلك المبادي، ولقضى تفثه العاكف والبادي، - فاقتضى الرأى - ولذنب الزمان فى اغتصاب الكفر إياها متاب، تعمل ببشراه - بفضل الله - أقتاد وأقتاب «ولكل أجل كتاب»، - أن يراض صعبها حتى يعود ذلولا، وتعفى معاهدها الآهله فتترك طولولا، فإذا فجع الله بمارج النار طوائفها المارجة، وأباد بخارجها الطائرة والدراجة، خطب السيف منها أم خارجة^(١)، فعند ذلك أطلقنا بها ألسنة النار - ومفارق الهضاب بالهشيم قد شابت، والغلات المستغلاة قد دعا بها القصل فما ارتابت، وكأن صحيفة نهرها لما أضرمت النار حقا فى ظهرها ذابت، وحيته فرت أمام الحريق فانسابت، وتخلقت لغمام الدخان عمائم تلويها برءوس الجبال أيدى الرياح وتنشرها بعد الركود أيدى الاجتياح، وأغربت بأقطارها الشاسعة، وجهاتها الواسعة، - جنود الجوع، وتوعدت بالرجوع، فسلب أهلها لتوقع الهجوم منزور الهجوع، فأعلامها خاشعة خاضعة، وولدانها لثدى البؤس راضعة، والله يوفد بخبر فتحها القريب، ركائب البشرى، وينشر رحمته قبلنا نشرًا.

ثم تنوعت^(٢) يا رسول الله - لهذا العهد - أحوال العدو تنوعا يوهم إفاقة من الغمرة، وكادت فتنه تؤذن بخمود الجمرة، وتوقع الواقع، وحذر

(١) يعنى استباحها السيف بسرعة، وفى المثل: «أسرع من نكاح أم خارجة».

(٢) نفح الطيب ج ٦ ص ٣٧٤.

ذلك السم النافع، وخيف الخرق الذى يحار فيه الراقع! فتعرفنا عوائد الله - سبحانه - ببركة هدايتك، وموصول عنايتك، فأنزل النصر والسكينة، ومكن العقائد المكيئة، فثابت العزائم وهبت، واطردت عوائد الأقدام واستتبت، وما راع العدو إلا خيل الله تجوس خلاله، وشمس الحق توجب ظلاله، وهداك الذى هديت يدحض ضلاله، ونازلنا حصنى قبيل والحائر - وهما معقلان متجاوران يتناجى مهما الساكن سرارا، وقد اتخذنا بين النجوم قرارا، وفصل بينهما حسام النهر يروق غرارا، والتف معصمه فى حلة العصب وقد جعل الجسر سوارا، فخذل الصليب بذلك الثغر من تولاه، وارتفعت أعلام الإسلام بأعلاه، وتبرجت عروس الفتح المبين بمجلاه، والحمد لله على ما أولاه.

ثم تحركنا^(١) على تفتة^(٢)، تعدى^(٣) ثغر الوسطة على عدوه المساور فى المضاجع، ومصبحه بالفاجئ الفاجع، فنازلنا حصن روضة الآخذ بالكظم، المعترض بالشجا اعتراض العظم، وقد شحنه العدو مددا بئيسا، ولم يأل اختياره رأيا ولا تلبيسا، فأعيا داؤه، واستقلت بالمدافعة أعداؤه، ولما أتلع إليه جيد المنجنيق، وقد برك عليه بروك الفنيق، وشد عصام العزم الوثيق، لجأ أهله إلى التماس العهد والموائيق، وقد غصوا بالريق، وكاد يذهب بأبصارهم لمعان البريق، فسكناه من حامية المجاهدين بمن يحمى ذماره ويقرر اعتماره، واستولى أهل الثغور - إلى هذا الحد - على معاقل كانت مستغلقة فتحوها، وشرعوا أرشية الرماح إلى قلب قلبها فمتحوها.

ولم^(٤) تكد الجيوش المجاهدة تنفض عن الأعراف متراكم الغبار، وترخى عن آباط خيلها شد حزم المغار، حتى عاودت النفوس شوقها،

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ٣٧٤.

(٢) هذا الصواب من النفح، والذى فى المطبوع «نفية» وتفتة: أى على أثر.

(٣) هذا الصواب من النفح، والذى فى المطبوع: «تغرى».

(٤) نفح الطيب ج ٦ ص ٣٧٥.

واستتبت ذوقها، وخطبت التي لا فوقها، وذهبت بها الآمال إلى الغاية القاصية، والمدارك المتصاعدة على الأفكار المتعاضية، فقصدنا الجزيرة الخضراء، باب هذا الوطن الذى منه طرق وداعه، ومطلع الحق الذى صدع الباطل صادعه، وثنية الفتح التى برق منها لامعه، ومشرب الهجوم الذى لم تكن لتعثر على غيره مطامعه، وفرضه المجاز التى لا تنكر، ومجمع البحرين فى بعض ما يذكر، حيث يتقارب الشيطان، ويتوازى الخطان، وكاد أن تلتقى حلقتا البطان، وقد كان الكفر قَدَرًا قَدَرًا هذه الفرضة التى طرق حماءه، ورماء الفتح الأول بما رماه، وعلم أن لا تتصل أيدي المسلمين بإخوانهم إلا من تلقائها، وأنه لا يعدم المكروه مع بقائها، فاجلب عليها برجله وخيله، وسد أفق البحر بأساطيله، ومراكب أباطيله، بقطع ليله، وتداعى المسلمون بالعدوتين إلى استنقاذها من لهواته، أو إمساكها من دون مهوراته، فعجز الحول، ووقع بملكه إياها القول، واحتازها قهرا، وقد صابرت الضيق ما يناهز ثلاثين شهرا، وأطرق الإسلام بعدها أطرق الواجم، واسودَّت الوجوه لخبرها الهاجم، وبكتها حتى دموع الغيث الساجم، وانقطع المدد إلا من رحمة من ينفس الكروب، ويغرى بالإدالة الشروق والغروب، ولما شكنا بشبا الله نحرها، وأغصصنا بجيوش الماء وجيوش الأرض، تكاثر نجوم السماء، برها وبحرها ونازلناها نذيقها شديد النزال، ونحجها بصدق الوعيد فى سبيل الاعتزال، رأينا بأوَّ لا يظاهر إلا بالله ولا ي طال، وممنعة يتحاماها الأبطال، وجنابا رَوْضَهُ الغيث الهطال، أما أسواقها، فهى التى أخذت النجد والغور، واستعدت بجداول الجلالاد عن البلاد فارتكبت الدور، تحوز بحرا من العمارة ثانيا، وتشكك أن يكون الإنسان لها بانيا، وأما أبراجها فصفوف وصنوف، تزين صفحات المساييف منها أنوف، وآذان لها من دواغ الصخر شنوف، وأما خندقها فصخر مجلوب، وسور مقلوب، فصدقها المسلمون القتال بحسب

محلها من نفوسهم، واقتران اغتصابها بيؤسهم، وأقول شموسهم، فرشقوها من النبال بظلاله تحجب الشمس فلا يشرق سناها، وعرجوا في المراقى البعيدة يفرعون مبنائها، ونفوسها أنقابا، وحصونها عقابا، ودخلوا مدينة إلبنة^(١): بنتها غلابا، وأحسبوا السيوف استدلالا والأيدى اكتسابا، واستوعب القتل مقاتلها السابغة الجن، البالغة المن، فأخذهم الهول المتفاقم، وجدلوا كأنهم الأراقم، لم تفلت منهم عين تطرف، ولا لسان يلبي من يستطلع الخبر ويستشرف.

ثم^(٢) سمت الهمم الإيمانية إلى المدينة الكبرى، فداروا سواراً على سورها، وتجاسروا على اقتحام أودية الفناء من فوق جسورها، وأذنوا إليها بالضروب، من حيل الحروب، - بروجاً مشيدة، ومجانيق توثق حبالها منها نشيدة، وخفقت بنصر الله عذبات الأعلام، وأهدت الملائكة مدد السلام، فخذل الله كفارها، وأكهم^(٣) شفارها، وقلم بيد قدرته أظفارها، فالتمسوا الأمان للخروج، ونزلوا على مراقى العروج، إلى الأباطح والمروج، عن سمائها ذات البروج، فكان بروزهم من العراء إلى الأرض، تذكرة بيوم العرض، وقد جلل المقاتلة الصغار، وتعلق بالأمان النساء والصغار، وبودرت المدينة بالتطهير، ونطقت المآذن العالية بالأذان الشهير، والذكر الجهير، وطرحت كفارها التماثيل عن المسجد الكبير، وأزرى بالأسنة النواقيس لسان التهليل والتكبير، وأنزلت عن الصروح أجرامها، يعيى الهندام مرامها، وألفى منبر الإسلام بها مجفوا فأنست غربته، وأعيد إليه قربه وقربته، وتلا واعظ الجمع المشهود، قول منجز الوعود، ومورق العود: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا

(١) مدينة إلبنة: من توابع الجزيرة الخضراء.

(٢) نفح الطيب ج ٦ ص ٣٧٦.

(٣) أكهم: أكل عن الضرب.

أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ [هود]. فكاد الدمع يغرق الآماق، والوجد يستأصل الأرماق، وارتفعت الرغبات، وعلت السيئات، وجيء بأسرى المسلمين يرسفون فى القيود الثقالة، وينسلون من أجداث الاعتقال، ففكت عن أسوقهم أساود الحديد، وعن أعناقهم فلكات البأس الشديد، وظللوا بجناح اللطف العريض المديد، وترتبت فى المقاعد الحامية، وأزهرت بذكر الله المآذن السامية، فعادت المدينة لأحسن أحوالها، وسكنت من بعد أهوالها، وعادت الجالية إلى أموالها، ورجع إلى القطر شبابه، ورد على دار الإسلام بابه، واتصلت بأهل لا إله إلا الله أسبابه، فهى اليوم فى بلاد الإسلام قلادة النحر، وحاضرة البر والبحر، أبقى الله عليها وعلى ما وراءها من بيوت أمتك، ودائع الله فى ذمتك، بكلمة دينك الصالحة الباقية، وسدل عليه أستار عصمته الواقية، وعدنا - والصلاة عليك شعار البروز والقفول، وهجىرى الشروق والأفول، والجهاد - يا رسول الله - الشأن المعتمد، ما امتد بالأجل الأمد، والمستعان الفرد الصمد.

ولهذا العهد يا رسول الله - صلى الله عليك، وبلغ وسيلتى إليك - بلغ من هذا القطر المرتدى بجاهك الذى لا يذل من أدرعه، ولا يضل من اهتدى بالسبيل الذى شرعه، إلى أن لاطفنا ملك الروم بأربعة من البلاد كان الكفر قد اغتصبها، ورفع التماثيل ببيوت الله ونصبها، فانجاب^(١) عنها بنورك - الحلک، ودار بإداتها إلى دعوتك الفلك، وعاد إلى مكاتبها القرآن الذى نزل به على قلبك الملك فوجبت مطالعة مقرک النبوى بأحوال هذه الأمة

(١) هذا الصواب من نفح الطيب، والذى فى المطبوع: «فانجلب».

المكفولة فى حجرک، المفضلة بإدارة تجرک، المهتدية بأنوار فجرک، وهل هو إلا ثمرات سعيک، ونتائج رعيک، وبركة حبک، ورضاک الكفيل برضا ربک، وغمام رعدک، وإنجاز وعدک، وشعاع من نور سعدک، وبذر يجنى ريعه من بعدک، ونصر رايتک، وبرهان آيتک، وأثر حمايتک ورعايتک.

واستنبت^(١) هذه الرسالة مائحةً بحرِ الندى الممنوح، ومفاتيحه باب الهدى بفتح الفتوح، وفارعة المظاهر والصروح، ملقية الرحل بمتنزل الملائكة والروح، لتمد إلى قبولك يد استمناح، وتطير إليك من الشوق الحثيث بجناح، ثم تقف موقف الانكسار، وإن كان تجرّها آمنا من الخسار، وتقدم بأنس القربة، وتحجم بوحشة الغربة، وتتأخر بالهيبة، وتجهش لطول الغيبة، وتقول: ارحم بعد دارى، وضعف اقتدارى، وانتزاح أوطانى، وخلو أعطانى، وقلة زادى، وفراغ مزادى، وتقبل وسيلة اعترافى، وتغمد هفوة اقترافى، وعجل بالرضا انصراف متحملى لانصرافى، فكم جبت من بحر زاخر، وقفر بالركاب ساخر، وحاشا لله أن يخيب قاصدك، أو تتخطانى مقاعدك، أو تطردنى موائدك، أو تضيق عنى عوائدك، ثم تمد مقتضية مزيد رحمتك، مستدعية دعاء من حضر من أمتك، وأصحابتها - يا رسول الله - عرضا من النواقيس التى كانت بهذه البلاد المفتوحة تعيق الإقامة والأذان، وتسمع الأسماع الضالة والأذان، مما قبل الحركة، وسالم المعركة، ومكن من نقله الأيدى المشتركة، واستحق بالقدوم عليك، والإسلام بين يديك، السابقة فى الأزل البركة وما سواها، فكانت جبالا عجز عن نقلها الهندام^(٢)، فنسخ

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ٣٧٨.

(٢) الهندام: الآلة.

وجودها الإعدام، وهى - يا رسول الله - جنى من جنانك، ورطب من أفنانك، وأثر ظهر عليها من مسحة حنانك.

هذه^(١) هى الحال والانتحال، والعائق أن تشد إليك الرحال، ويعمل الترحال، إلى أن نلقاتك فى عرصات القيامة شفيعا، ونحل بجاهك - إن شاء الله - محلا رفيعا، ونقدم فى زمرة الشهداء الدامية كلومهم من أجلك، الناهلة غلهم فى سجلك، ونبتهل إلى الله الذى أطلعك فى سماء الهداية سراجا، وأعلى لك فى السبع الطباق معراجا، وأم الأنبياء منك بالنبي الخاتم، وقفى على آثار نجومها المشرقة بقمرك العاتم، - أن لا يقطع عن هذه الأمة الغربية أسبابك، ولا يسد فى وجوها أبوابك، ويوفقها لاتباع هداك، ويثبت أقدامها على جهاد عداك، وكيف تعدم ترفيها، أو تخشى بخسا - وأنت موفيهها، أو يعذبها الله - وأنت فيها، وصلاة الله وسلامه تحط فنائك رحال طيها، وتهدر فى ناديك شقاشق خطيها، - ما أذكر الصباح الطلق هداك، والغمام السكب نداك، وما حن مشتاق إلى لثم ضريحك، وبللت نسيمات الأسحار مما استرقت من ريحك، وكتب فى كذا.

ولنرجع إلى نثر القاضى عياض - رحمه الله - فنقول: حدث الأستاذ الفقيه النبيه، الخطيب الأريب، أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الفقيه الخطيب المدرس أبى العباس أحمد بن أبى جمعة الوهرانى، أن والده المذكور، كان يخطب بخطبة القاضى عياض أبى الفضل، قال: ومن لفظه حفظتها، وكان حفظها الوالد المذكور، من خطيب كان عندهم بوهران يسمى محمد بن أحمد ابن خرزوزة القيسى - رحم الله الجميع - وهى^(٢): الحمد لله الذى افتتح

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ٣٧٩.

(٢) نفح الطيب ج ٦ ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

بالحمد كلامه، وبين في سورة «البقرة» أحكامه، ومد في آل عمران والنساء
 مائدة الأنعام ليتم إنعامه، وجعل في الأعراف - أنفال - توبة - يونس، وألر
 كتاب أحكمت آياته، بمجاورة يوسف الصديق في دار الكرامة، وسبح الرعد
 بحمده، وجعل النار بردا وسلاما على إبراهيم ليوقن أهل الحجر أنه إذا أتى
 أمر الله سبحانه فلا كهف ولا ملجأ إلا إليه، ولا يظلمون قلامه، وجعل في
 حروف كهيعص سرا مكتوما قدم بسببه طه ﷺ - على سائر الأنبياء، ليظهر
 إجلاله إعظامه، وأوضح الأمر حتى حج المؤمنون بنور الفرقان والشعراء
 صاروا كالنمل ذلا وصغارا لعظمته، وظهر قصص العنكبوت فآمن به الروم،
 وأيقنوا أنه كلام الحى القيوم، نزل به الروح الأمين على زين من وافى
 القيامة، وأفصح لقمان الحكمة بالأمر بالسجود لرب الأحزاب فسبا فاطر
 السموات أهل الطاغوت، وأكسبهم ذلا وخزيا وحسرة وندامة، وأمد ياسين -
 ﷺ - بتأييد الصافات، فصاد الزمر يوم بدر وأوقع بهم لما أوقع صناديدهم
 فى القلب بين مكدوس ومكبوب، شالت بهم النعامة، وغفر غافر الذنب
 وقابل التوب للبدرين - رضى الله عنهم - ما تقدم وما تأخر حين فصلت
 كلمات الله، فذل من حقت عليه كلمة العذاب وأيس من السلامة، ذلك بأن
 أمرهم شورى بينهم، وشغلهم زخرف، الآخرة عن دخان الدنيا فجثوا أمام
 الأحقاف لقتال أعداء محمد - ﷺ - يمينه وشماله وخلفه وأمامه، فأعطوا
 الفتح وبوئوا حجرات الجنان، حين تلوا ق والقرآن المجيد، وتدبروا جواب
 قسم الذاريات والطور، لآحَ لَهُمْ نجم الحقيقة، وانشق لهم قمر اليقين، فنافروا
 السامة، ذاك بأنهم أمنهم الرحمن إذا وقعت الواقعة واعترف بالضعف لهم
 الحديد وهزم المجادلون وأخرجوا من ديارهم لأول الحشر، يخربون بيوتهم
 بأيديهم وأيدى المؤمنين حين نافروا السلامة، أحمده حمد من امتحتته صفوف

الجموع فى نفق التغابن فطلق الحرمات حين اعتبر الملك وعامه، وقد سمع صريف القلم وكأنه بالحاقة والمعارج يمينه وشماله وخلفه وأمامه، وناح نوح الجن، فتزمل وتدر، فرقا من يوم القيامة، وأنس بمرسلات النبأ، فنزع العبوس من تحت كور العمامة، وظهر له بالانفطار التطفيف، فانشقت بروج الطارق بتسييح الملك الأعلى وغشيته الشهامة، فورب الفجر والبلد، والشمس والليل والضحى: قد انشاحت صدور المتقين، حين تلوا سورة التين، وعلق الإيمان بقلوبهم، فكل على قدر مقامه يبين، ولم يكونوا بمنفكين دهرهم ليله ونهاره وصيامه وقيامه، إذا ذكروا الزلزلة، ركبوا العاديات ليطفئوا نار القارعة، ولم يلههم التكاثر حين تلوا سورة العصر والهمزة، وتمثلوا بأصحاب الفيل فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، أرايتهم كيف جعلوا على رؤوسهم من الكون عمامة، فالكوثر مكتوب لهم والكافرون خذلوا وهم نصروا، وعدل بهم عن لهب الطامة، وبسورة الإخلاص قروا وسعدوا، وبرب الفلق والناس استعاذوا فأعيزوا من كل حزن وهم وغم وندامة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة نال بها منازل الكرامة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ما غردت فى الأيك حمامة، وسلم تسليمًا.

انتهت الخطبة المنسوبة للقاضى - رحمه الله - حسبما ألفيت ذلك كله فى بعض المقيّدات بنافس المحروسة، فنقلتها كما وجدتھا - وفى قلبى من نسبتھا إلى القاضى عياض رحمه الله تعالى - شىء - والله أعلم.

وقد وقفت على نظيرتها منسوبة لغيره بتلمسان، بخط مولانا الإمام المفتى الخطيب العلامة شيخ الشيوخ عمنا سيدى سعيد بن أحمد المقرئ - صب الله عليه شآبيب رضوانه.

ونصها^(١): الحمد لله الذى افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة، ليصطفى من آل عمران نساء ورجالا وفضلهم تفضيلا، ومد مائدة أنعامه، ورزقه ليعرف أعراف أنفال كرمه، وحقه على أهل التوبة، وجعل ليونس فى بطن الحوت سبيلا^(٢)، ونجى هودا من كربه وحزنه، كما خلص يوسف من جبه وسجنه، وسبح الرعد بحمده ويمنه، واتخذ الله إبراهيم خليلا، الذى جعل فى حجر الحجر من النحل شرابا نوع باختلاف ألوانه، وأوحى إليه بخفى لطفه سبحانه، واتخذ منه كهفا قد شيد بنيانه، وأرسل روحه إلى مريم فتمثل لها تمثيلا، وفضل طه على جميع الأنبياء فأتى بالحج والكتاب المكنون، حيث دعا إلى الإسلام قد أفلح المؤمنون، إذ جعل نور الفرقان دليلا، وصدق محمدا - ﷺ - الذى عجزت الشعراء عن صدق نفثه، وشهدت النمل بصدق بعثه، وبين قصص الأنبياء فى مدة مكثه، ونسج العنكبوت عليه فى الغار سترا مسدولا، وملئت قلوب الروم رعبا من هيئته، وتعلم لقمان الحكمة من حكمته، وهدى أهل السجدة للإيمان بدعوته، وهزم الأحزاب وسباهم، وأخذهم أخذا وبيلا، فلقبه فاطر السموات والأرض بياسين، كما نفذ حكمه فى الصافات، وبين صاد صدقه بإظهار المعجزات، وفرق زمر المشركين، وصبر على أقوالهم وهجرهم هجرا جميلا، فغفر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر وفصلت رقاب المشركين إذا لم يكن أمرهم شورى بينهم، وزخرف منار الإسلام، وخفى دخان الشرك، وخرت المشركون جاثية، كما أندر أهل الأحقاف فلا يهتدون سبيلا، وأذل الذين كفروا بشدة القتال، وجاء

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٣٣٥.

(٢) هذا الصواب فى نفح الطيب، والذى فى المطبوع: «وجعل ليونس، فى بطن الحوت سبيلا، ونجى التوبة، وجعل ليونس، فى بطن الحوت سبيلا.

الفتح للمؤمنين والنصر العزيز، وحجر الحجرات الحريز وبقاف القدرة قتل
الخراصون تقتيلاً، كلم موسى على جبل الطور فارتقى نجم محمد - ﷺ -
فاقتربت بطاعته مبادئ السرور، وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط
النور، فتعجب الحديد من قوته، وكثرت المجادلة في أمته، إلى أن أعيد في
الحشر بأحسن مقيلاً، امتحنه في صف الأنبياء وصلى بهم إماماً، وفي تلك
الجمعة ملئت قلوب المنافقين من التغابن خسراً وإرغاماً، فطلق وحرم، تبارك
الذى أعطاه الملك وعلم بالقلم، ورتل القرآن ترتيلاً، وعن علم الحاقة. كم
سأل سائل؟ فسأل الإيمان، ودعا به نوح فنجاه الله من الطوفان، وأتت إليه
طائفة الجن يستمعون القرآن، فأنزل عليه: يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلاً،
فكم من مدثر يوم القيامة شفقة على الإنسان إذا أرسل مرسلات الدمع فعم
يتساءلون أهل الكتاب، وما تقبل من نازعات المشركين إذا عبس عليهم مالك
وتولاهم بالعذاب، وكورت الشمس وانفطرت السماء عن اسم رب السماء،
وكانت الجبال كثيباً مهيلاً فويل للمطففين إذا انشقت السماء بالغمام، وطويت
ذات البروج وطرق طارق الصور بالنفخ للقيام، وعز اسم ربك الأعلى لغاشية
الفجر، فيومئذ لا بلد ولا شمس ولا ليلاً طويلاً، فطوبى للمصلين الضحى
عند انشراح صدورهم إذا عاينوا التين والزيتون وأشجار الجنة، فسجدوا باقراً
باسم ربك الذى خلق هذا النعيم الأكبر لأهل هذه الدار، ما أحيوا ليلة
القدر، وتبتلوا تبتيلاً، ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من الزلزلة من
صديق ولا حميم، وتسوقهم بالعبادات إلى سواء الجحيم، ونزلت بهم قارعة
العقاب وقيل لهم ألهاكم التكاثر هذا عصر العذاب الأليم، وحشر الهمزة
وأصحاب الفيل إلى النار فلا يظلمون فتيلاً، وقالت قریش. ما أمتم من هول
المحشر أرايت الذى يكذب بالدين كيف طرد عن الكوثر، وسبق الكافرون إلى

النار، وجاء نص الله والفتح، فتبت يدا أبى لهب، إذا لا يجد إلى سورة الإخلاص سبيلا، فنعوذ برب الفلق من شر ما خلق، ونعوذ برب الناس، مالك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس الذى فسق. ونتوب إليه، ونتوكل عليه، وكفى بالله وكيفا.

انتهت الخطبة المنسوجة على سور القرآن، من إنشاء الفقيه الجليل، الشريف الكامل، أبى المجد عبد المنعم ابن الشيخ الفقيه العدل، أبى جعفر بن أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمى الطنجالى - رحمه الله ونفعنا به وبسلفه الطاهر الكريم. انتهى ما نقلت من خط مولانا الشيخ رحمه الله تعالى.

ولنرجع إلى ما كنا فيه فنقول ومن نثر القاضى عياض رحمه الله هذه الصلاة على رسول الله ﷺ حسبما وجدته ببعض المجاميع بمحروسة فاس - حاطها الله تعالى -، وقد تضمنت جملة من أوصافه - ﷺ - الطاهرة، ومعجزاته الباهرة، وكمالاته التى بها انفرد، وسار بها المثل واطرد، - ﷺ -. ولست على يقين من نسبتها للقاضى عياض، والعهددة على من نسبها له - إن لم تصح النسبة. وهى: صلوا بكرة وأصيلا، على من فضله الله تفضيلا، واتخذة حبيبا وخليلا، ونزل عليه القرآن تنزيلا، وكان له وليا ونصيرا ومعينا وكفيلا، وختم به رسله، ونهج على يديه الكريمتين سبله، وزكى قوله وعمله، وبلغه أمله، وبالشفاعة فضله، ومشى على بساط عزه بنعليه، وفضل - ﷺ - على كل من يأتى بعده، وعلى كل من تقدم قبله، وانتخبه وعلمه، وأدبه وطيبه، وعظمه وحباه، واختاره لحبه وقربه، وخط اسمه سطرًا على العرش وكتبه، وخصه بالفضائل، وشرفه بالفعائل، وختم برسالاته جميع

الرسائل، وصدقه فيما هو قائل، ونهاه عن قهر اليتيم وانتهاز السائل، وجعل الصلاة عليه من أعظم الوسائل، صلى عليه الملك العلام، هو وملائكته الكرام، وأمر جميع الأنام بالصلاة عليه والسلام، - إلى يوم البعث والقيام فقال من لم يزل غفورا رحيمًا، إجلالا لنبيه وتعظيمًا، وولاية له وتنويها وتشريفًا له وتكريما، وإرشادا لنا وتعلينا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

صلوا وتوسلوا بالنبي الأُمى، الهاشمى القرشى، الأبطحى المكى، المدنى الحرمى، الزمزمى الحجازى التهامى العربى، الذى جاء بالكتاب المضى، والدين الخفى، والقول الشرع، والحكم الجلى، والمقام العلى، ومكنه الله بلطفه الخفى، وحقق له إنجاز وعده الوفى، فأشرقت فى الآفاق أنواره، وتكررت فى المسامع أخباره، وظهرت للأبصار معجزاته، وبلغت به حجة الله وتمت كلماته، وختم الله به كل رسله وأنبيائه، وأمر القمر بطاعته فأجابه بالتلبية عند ندائه، وانشق على نصفين عند دعائه، لما أمره بالانشقاق انشق، وتفرق وسطا وأشرق، وتكلم ونطق، وشهد له بالرسالة والحق، وركب البراق، وغاب عن الأبصار والأحداق، واخترق الفضاء والسبع الطباق، إلى مناجاة الملك الخلاق، فبلغ غاية أمدّه، ودنا من ربه حتى تناول ثمار القرب بيده، ﴿...دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩)﴾ [النجم]، وبلغ كل وصل ومنى، وأعطى جميع ما تمنى، ففاز بالأمان وكلمة الرحمن، من غير واسطة ولا ترجمان، فنزل من أدراجه، والليل باق فى دواجه، وبشر أصحابه وأزواجه بما عاين فى معراجه، صفاته جميلة، وذاته جليلة، وأفعاله نبيلة، فى شعره سبج وفى جبينه بهج، وفى حاجبه زجج، وفى عينه دعج، وثغره

فلج، إذا مشى كان أعدل الناس، وإذا تكلم أفصح الناس، وإذا جلس أعلى الناس، وإذا وعظ أبكى الناس، صاحب الوجه المليح، والفم السبيح الصحيح، والنسب الصريح، الرحيم الودود، صاحب اللواء المعقود، والمقام المحمود، والحوض المورود، والوفاء بالعهود والكرم والجود، والشفاعة فى يوم الخلود، صاحب القدر الجليل، والفعل الجميل، والطرف الكحيل، والخذ الأسيل، والسيف الصقيل، وعين السلسيل، وكأس الزنجبيل، من أخبر به التنزيل، وبشر به التوراة والإنجيل، الموقر، المعزر، صاحب الخطبة والمنبر، والعمامة والمغفر، والقضيب والمحشر، والحوض والكوثر، والجبين الأزهر، الوجه الأقر، والحسب الأطهر، والنسب الأشهر، والحظ الأكبر، من بشر وأنذر، وحج واعتمر، وحلق ونحر، وهلل وكبر، وجاهد وانتصر، وقاتل من كفر، وبدين الله أمر، الطاهر المطهر، المنتخب من خيار أخيار مضر، المؤيد المنصور الممجد المشكور، الشهير المذكور، صاحب اللواء المنشور والجيش الجمهور، والبدن الصبور، والقلب الشكور، واللسان الذكور، والبهاء والنور، والولدان والخور، والغرف والقصور النبى المختار، الذى بشر به فى الجو الأطيوار، والحيتان فى لجج البحار، وكلمته الأحجار، وسجدت له الأشجار، وخمدت من نوره النار، ونسج عليه العنكبوت فى الغار، معدن الحياة والوقار، وكنز الافتخار، القائم بحجة الملك الجبار، ومعلم المهاجرين والنصار، فى آناء الليل وأطراف النهار، النبى الأواب القائم فى المحراب، الناطق بالصواب، الفصيح فى الخطاب من خضعت له الرقاب، وتواضعت له الصعاب، ودعا إلى الله وأتاب، المنصور يوم الأحزاب، المنعوت فى كل كتاب، النبى المذهب، الحسيب المقرب، خير العجم والعرب، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، النبى المكرم، المصطفى المحترم، عهدنا الذى لا ينفصم،

وحبلنا الذى لا ينصرم، من ضمن لأمته الشفاعة - وهم فى عدم العدم، خاتم الأنبياء، وقدوة الأصفياء، وإمام الأتقياء، وشفيع الأشقياء، نبي الثقلين وإمام الحرمين، وسيد الكونين والفريقين، وجد السطباطين الحسنين، وابن الذبيحين، من نصره الله فى بدر وحنين، وستره فى الغار فلم تره عين، خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وسيد الآخرين، ومولى الأولين، وحبيب رب العالمين، أنزل الله فيه طه ويس، و"إنا فتحنا لك فتحا مبينا" والفتح المبين، وسماه بالمطاع والمكين، وأوصاه باليتيم والمسكين، ونصره على أعدائه المشركين، رسول الله وخليله، وصفيه ونجيه، وخيرته من جميع خلقه، الذى جعل له الأرض مسجدا وطهورا، وأحل له الغنائم - وكانت حجرا محجورا، ونصره بالرعب سنين وشهورا، وأنزل عليه القرآن هدى ونورا، فانظم لفظه مسطورا، فأحيا نفوساً وشفى صدوراً، وبعث إلى الأحمر والأسود ونهج سعيها كان مشكورا، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ولهج فى المقالة، وسد مسلك الضلالة، وقاتل أهل الشرك والجهالة، المختار من تهامة، المخصوص بالتاج والعمامة، واللواء والخوض والكرامة، الشفيع فى أهوال يوم القيامة، المنقذ من الحسرة والندامة، الداعى إلى الله بالنجاة والسلامة، نبي ظللته الغمامة، وكلمته الغزاة، وبشرت به زرقاء اليمامة، ودلت عليه الشامة والعلامة، وكلمه الذراع المسموم، وشكا إليه البعير المظلوم، ومن معجزاته أنه من الخلق معصوم، صدع بأمر الله صدعا، وقمع الباطل قمعا، وأعطى من الآيات البيئات آلاف آلاف، إن كان موسى أوتى تسعا، فما مجىء الشجرة تجر عروقتها كرجوع العصا حية تسعى، وما فجر الحجر بأعجب من أنامله إذ نبعت بالزلازل نبعا، وكم من معجزة له تظهر، وآية هى من أختها أكبر، رجعت له الشمس وانشق له القمر، وسلم عليه الذئب، وكلمه الحجر، وبعثه الله رحمة للعالمين، ونعمة للمسلمين، وعصمة للنادمين، ونقمة للظالمين،

واستخرجه من شجرة طيبة أصلها فى الأرض نابت، وفرعها فى السماء ثابت، بسق من الخليل عودها، وانشق بإسماعيل عمودها، وتم بمحمد - ﷺ - صعودها، الحق زهرتها، والصدق ثمرتها، والهدى قنوانها، والتقوى أفنانها، من تعلق بها سلم، ومن لجأ إليها عصم، ومن استظل بها غنم، ومن عاندها حطم، ومن خاصمها قصم، اشهد يا من حضر - والملائكة يشهدون، وكفى بالله شهيدا، - أن ما خلق الله أتقى، ولا أنقى، ولا أرقى، ولا أزكى، ولا أذكى، ولا أبهى، ولا أنهى، ولا أوفى، ولا أصفى، ولا أكفى، ولا أشفى، ولا أفضل، ولا أكمل، ولا أجمل، ولا أجل، ولا أعدل، ولا أعقل، ولا أملح، ولا أصفح، ولا أنصح، ولا أصلح، ولا أسمح، ولا أحكم، ولا أفهم، ولا أعظم، ولا أعبد، ولا أزهد، ولا أمجد، ولا أنجد، ولا أجود، ولا أوحّد، ولا أصعد، ولا أقعد، ولا أسعد، ولا أسجد، ولا أركع، ولا أرفع، ولا أشجع، ولا أنفع، ولا أقمع، ولا أمنع، ولا أخشع، ولا أشفع، ولا وطئ الثرى، ولا السرى، ولا ولدت ثيب ولا عذراء، ولا يلدن أبدا، - مثل سيدنا ونبينا ومولانا محمد - ﷺ - تسليما، عميا مستديما، ما نطق ناطق، وما راقب عاشق، وما ذر شارق، وشرف وكرم، ومجد وعظم، وجاد وأنعم، وتحن وترحم، وعلى آله الطيبين، الراضين المرضيين، ورضى الله عن أنصاره وأصهاره وخلفائه الراشدين، وعن الأئمة المهتدين، وعن عامة أصحابه أجمعين، ومن عمل بسنته إلى يوم الدين، أدعوك - اللهم - وأتضرع إليك، بكل من دعاك وناداك، يا الله، يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا حنان، يا منان، يا ديان، يا حلیم، يا كريم، وبتعميم كريم كرمك، وبإقرار قرار عرشك، وبطول حول قوتك، وبتأكيد تأييد وكيد أرك، وبإيجاد إنفاذ كلماتك، وبتمجيد تحميد توحيد وحدانيتك، وبتبجيل

تجليل تهليل مشتك، وبجلال جمال كمال ربوبيتك، وبتبجيل تجليل نور وجهك، وبرضوان أمان غفران رحمتك، وبعظيم تكريم تحكيم مملكتك، وببديع منيع رفيع ألوهيتك، وبديموم قيوم سلطانك، وبتحقيق الحق من حَقك، وبمكنون السر من سرِّك، وبوحدانيتك، وبصمدانيتك، وبربوبيتك، وبطهارتك، وبجبروت ملكك، وبعزتكَ الباهرة، وبقدرتك القاهرة، وبرحمتك الواسعة، يا من ليس فوقه شيء فيظله، ولا له خلف فيسده، ولا أمام فيحده، ولا جانب فيبعده، يا من تنزه عن الفكر والضمير، يا من تعالى عن الشبيه والنظير، يا من جل عن المشرف والوزير، يا من "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".

«يا لطيف، يا لطيف، يا خبير، أسألك اللهم وأتوسل إليك، بشفاعه نبينا محمد، بشجاعة نبينا محمد، ببراءة نبينا محمد، بطاعة نبينا محمد، بقناعة نبينا محمد، بسعادة نبينا محمد، بعبادة نبينا محمد، بزهادة نبينا محمد، بسيادة نبينا محمد، بديانة نبينا محمد، بصيانة نبينا محمد، بسياسة نبينا محمد، برسالة نبينا محمد، برئاسة نبينا محمد، بسلامة نبينا محمد، بكرامة نبينا محمد، بعمامة نبينا محمد، بغمامة نبينا محمد، بملاحه نبينا محمد، بفصاحة نبينا محمد، بصباحة نبينا محمد، بإنابة نبينا محمد، بإجابة نبينا محمد، بإهابة نبينا محمد، بحظ نبينا محمد، بحوض نبينا محمد، بأمر نبينا محمد، بدعاء نبينا محمد، بنداء نبينا محمد، برداء نبينا محمد، بحنان نبينا محمد، بثناء نبينا محمد، بسناء نبينا محمد، بسخاء نبينا محمد، بوفاء نبينا محمد، بصفاء نبينا محمد، بارتقاء نبينا محمد، باهتداء نبينا محمد، باقتداء نبينا محمد، بعلم نبينا محمد، بفهم نبينا محمد، بحلم نبينا محمد، بفضل نبينا محمد، بعدل نبينا محمد، بسنة نبينا محمد، بملة نبينا محمد،

بجلال نبينا محمد، بجمال نبينا محمد، بكمال نبينا محمد، بأفعال نبينا محمد، بأقوال نبينا محمد، بنوال نبينا محمد، بخصال نبينا محمد، بخشوع نبينا محمد، بخضوع نبينا محمد، بركوع نبينا محمد، بسجود نبينا محمد، بدموع نبينا محمد، بتواضع نبينا محمد، بتضرع نبينا محمد، بوعود نبينا محمد، بعهود نبينا محمد، بورود نبينا محمد، بوجود نبينا محمد، بجود نبينا محمد، بجدود نبينا محمد، ببيان نبينا محمد، ببرهان نبينا محمد، بإيمان نبينا محمد، بأمان نبينا محمد، بمنهاج نبينا محمد، بسراج نبينا محمد، بمعراج نبينا محمد، بإدراج نبينا محمد، بقيام نبينا محمد، بصيام نبينا محمد، بإحرام نبينا محمد، بإكرام نبينا محمد، بسلامة نبينا محمد، بكلام نبينا محمد، بإقدام نبينا محمد، بزمَام نبينا محمد، بنصر نبينا محمد، بصبر نبينا محمد، بفخر نبينا محمد، بذكر نبينا محمد، بشكر نبينا محمد، بصدر نبينا محمد، بقلب نبينا محمد، بحب نبينا محمد، بطب نبينا محمد، بقرب نبينا محمد، بحسب نبينا محمد، بصدق نبينا محمد، بسبق نبينا محمد، بحق نبينا محمد، بأذكار نبينا محمد، بأسرار نبينا محمد، بأنوار نبينا محمد، بمقدار نبينا محمد، بسيرة نبينا محمد، بسريرة نبينا محمد، بعشيرة نبينا محمد، وبكل فضل ينسب إلى سيدنا ومولانا محمد، وأن تقبل فينا شفاعة سيدنا ومولانا محمد، بجميع مطالبى منك، كما لا غنى لى عنك، يا أرحم الراحمين، اللهم - وكما حبيته وقربته، وكما حفظته وحجبه، وكما أخبرته ونبأته، وكما اخترته وطيبته، وكما أسميته ورفعته، وكما أعطيته وشفعته، - اقبل فينا شفاعته، وارزقنا بركته، وقناعته، ومحبه طاعته، وصل صلاتك - يا ربنا - عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الطيبين الطاهرين، الراضين المرضيين، - عدد ما فى علم الله، صلاة دائمة بدوام

ملك الله، وعدد ما خلقت وأنت خالق - إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

انتهت، قلت ولا خفاء أن هذا الكلام مياسم الوصول عليه لائحة، ونواسم القبول لديه فائحة، وكيف لا وقد اشتمل على جملة من أوصاف الماحي العاقب، ونبذة مما له من المفاخر والمناقب، فحق لمن توسل الله به أن يجاب، ولمن توصل بسببه أن يزال عن قلبه الحجاب، وينزاح عنه ظلام الران وينجاب، ويتيه عند سماعه ويلحقه الإعجاب، ولعمرى أن مثل هذه الوسيلة نظيرها قليل، وهى على صديقية صاحبها أعظم دليل، نسأل الله - بجاه هذا النبى المتوسل به فيها - أن يجعلنا من خيار أمته، وأن يديم لنا عوارف نعمته، ويختم لنا بالحسنى، ويلحقنا بالمقام الأسنى، ويقينا فى الدارين من المهالك، ويسلك بنا أحسن المسالك، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

وقد سلك هذا المسلك الحسن جماعة يطول تعدادهم، فمنهم المطول، ومنهم المختصر، ولنذكر بعض ذلك على سبيل التبرك بهذا النبى المصطفى، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ومن ذلك ما وجد بخط بلدنا الشيخ الإمام الصالح سيدى محمد بن عمر الماللى - رحمه الله - وهى:

اللهم صل على سيدنا محمد بحر أسرارك، ومعدن أنوارك، ولسان حاجتك، وعروس مملكتك، وطراز ملكك وخازن رحمتك، وطريق شريعتك المتلذذ بمشهادتك، عين أعيان خلقك، المتقدم من نور ضيائك، صلاة ترضيك وترضيه ترضى بها عنا يا رب العالمين. اللهم يا سامع الدعاء، لا تخيب الرجاء، لك الملجأ، وإليك الملتجأ، وبك النجاء، عليك توكلت، وبسيدنا محمد ﷺ توسلت - نبى الهدى. انتهت.

ومن ذلك ما وجدته في بعض المجاميع، أن يقال - بعد ركعتي الفجر
ب ألم نشرك وألم تر - ما نصه :

اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد سيد الأولين
والآخرين، وقائد الغر المحجلين، السيد الكامل، الفاتح الخاتم، الحبيب
الشفيع، الرؤوف الرحيم، الصادق الأمين، السابق للخلق نوره، الرحمة
للعالمين ظهوره، عدد من مضى من خلقك ومن بقى، ومن سعد منهم ومن
شقى، صلاة تستغرق العد، وتحيط بالحد، صلاة لا غاية لها ولا منتهى، ولا
أمد لها ولا انقضاء، صلاتك التي صليت عليه صلاة دائمة بدوامك، باقية
ببقائك، لا منتهى لها دون علمك، وعلى آله وأصحابه، وأزواجه وذريته
وأصهاره وأنصاره، وسلم مثل ذلك، والحمد لله على ذلك، وأجر يا مولانا
خفى لطفك، فى أمورنا وأمور المسلمين كذلك. انتهت.

قيل هذه الصلاة تعدل عشرة آلاف صلاة، وفضل الله واسع.

ومن ذلك صلاة الولي الصالح، القطب عبد السلام بن مشيش، أفاض
الله علينا من بركاته :

اللهم صلى على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه
ارتقت الحقائق، وتنزلت علوم آدم فأعجزت الخلائق، وله تضاءلت الفهوم
فلم يدركه منا سابق ولا لاحق، فرياض الملكوت بزهر جماله مounقة،
وحياض الجبروت يفيض أنواره متدفقة، وأرجاء الملك بسناء كماله مصبحة
مشرقة - ثبت هذا فى بعض النسخ، وسقط فى الأكثر - ولا شىء إلا وهو
به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب - كما قيل - الموسوط، صلاة تليق بك
منك إليه - كما هو أهله، اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك، وحجابك

الأعظم القائم بك بين يديك، اللهم ألحقني بنسبه، وحققني بحسبه، وعرفني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل، وأكرع بها من موارد الفضل، وأحملني على سبيله إلى حضرتك، حملا محفوظا بنصرتك، واقدف بي على الباطل فأدمغه، وزج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجِد ولا أحس إلا بها، واجعل الحجاب الأعظم حياة روحى، وروحه سر حقيقتى، وحقيقته جامع عوالمى، بتحقيق الحق الأول، يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، اسمع ندائى بما سمعت به نداء عبدك زكريا، وانصرنى بك لك، وأيدنى بك لك، واجمع بينى وبينك، وحل بينى وبين غيرك، الله، الله، الله، "إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد"، ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾ [الكهف]. انتهت. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وهذه صلاة مباركة نقلتها من خط سيدنا العارف الربانى سيدى حسين الزرويلى - حفظه الله.

وهى: اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره، الرحمة فى العالمين ظهوره، عدد من مضى من خلقتك ومن بقى، ومن سعد منهم ومن شقى، صلاة تستغرق العد، وتحيط بالحد، لا غاية لها ولا انتهاء ولا انقضاء، تنيلنا بها منك الرضى، صلاتك التى صليت عليه، دائمة بدوامك، باقية ببقائك، لا تنتهى لها دون علمك، - إنك على كل شىء قدير. انتهت.

وبخطه أيضا:

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله، عدد نعم الله وإفضاله، قال إنها صلاة مباركة.

ومن خطه أيضا:

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، وإمام حضرتك، وعروس مملكتك، ولسان حجتك، وقائد الغر المحجلين إلى جنتك، صلاة دائمة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين. انتهت.

ومنه: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله واعطه الوسيلة، واجعل فى المصطفين صحبته، وفى العالمين درجته، وفى المقرين داره، اللهم تقبل شفاعة سيدنا محمد الكبرى، وارفع درجته العليا، وآته سؤله فى الآخرة والأولى، - كما آتيت إبراهيم وموسى - يارب العالمين. انتهت.

اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، صلاة تنجيننا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضى لنا بها جميع الحاجات، وتطهرنا بها من جميع السيئات، وترفعنا بها أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات، من جميع الخيرات فى الحياة وبعد الممات.

انتهى ما وجدته بخط هذا الشيخ، وبعضه مرفوع، وقد ذكر غير واحد، وقصدى بذكر ذلك التبرك.

وأفادنى الشيخ العارف الشريف سيدى محمد بن على بن ريسون.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله، كما لا نهاية لكمالك وعد كماله، قال: والصلاة بألف أو عشرة آلاف - الشك منى لطول العهد ولم أجد فى الحالة البطاقة التى نقلت عنه فيها ذلك.

وهذه صلاة أخرى، لها بركة، وهى لسيدى أبى المواهب - نفعا الله

به-.

اللهم صل على حضرة الأسرار، ومنبع الأنوار، مطهر النفوس من الرذائل، وأظهر مولود في سائر القبائل، عروس المملكة الربانية، وبهجة الاختراعات الأكوانية، وإمام الحضرة القدسية، معلم الخير، وأعلم الخلق، وناصح الأمة، وحيب الحق، أكرم الأنبياء والمرسلين، ورسول رب العالمين، سيدنا ومولانا محمد - ﷺ، سيد السادات، وقطب دوائر السعادات، وسلم عليه على قدر مقامه، وإجلاله وإعظامه وإكرامه، والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، صلاة وسلاما دائمين بدوامك، باقين ببقائك، ولا تنتهي لهما دون علمك، إنك على كل شيء قدير. انتهت.

وهذه صلاة الإمام العارف الرباني الولي الصالح سيدى أبى إسحاق، إبراهيم بن الحاج السلمى البلفيقى ثم المربى، دفين مراكش - حرسها الله ونفعنا به.

قال ابن خاتمة: حكى هذه الصلاة شيخنا أبو البركات ابن الحاج، عن الشيخ الصالح الحاج الصوفى أبى الإصبع بن عزرة، قال:

أخذتها عن رابك^(١) الشيخ الصالح الحاج أبى عبد الله محمد بن على ابن الحاج - مشافهة، وقال لى: إنها صلاة سيدى أبى إسحاق بن الحاج، وهى^(٢):

اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، صلاة دائمة مستمرة تدوم بدوامك، وتبقى ببقائك، وتخلد بخلودك، ولا غاية لها دون مرضاتك، ولا جزاء لقاتلها ومصلحها غير جنتك، والنظر إلى وجهك الكريم.

(١) يعنى مربيك.

(٢) نفح الطيب ج ٥ ص ٤٧٧.

قال: وله - رضى الله عنه - دعاء، وهو من المأثور عن أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - لما وجه جعفرا إلى الحبشة، شيعه وزوده بكلمات، قال: قل: اللهم الطف لى فى تيسير كل عسير، فإن تيسير العسير عليك يسير، وأسألك اليسر والمعافة فى الدنيا والآخرة.

وهذا دعاء آخر له - رضى الله عنه - كان يستفتح به مجلسه بألمرية، قال ابن خاتمة نقله شيخنا القاضى أبو البركات من خط الولى أبى العباس بن مكتوم، وهو:

اللهم اجعلنا فى عياد منك منيع، وحصن حصين، وولاية جميلة، حتى تبلغنا آجالنا مستورين محفوظين، مبشرين برضوانك يوم لقاءك. قال: وفى وسط الدعاء وآخره: واكفنا عدونا إبليس، وأعداءنا من الجن والإنس، بعافيتنا وسلامتنا - انتهى.

ومن بديع كلام أبى إسحق المذكور قوله: الناس إذا كان الفاضل حيا لم يقصدوه، فإذا مات وصار جيفة مثلهم قصدوا قبره.

ومن كلامه - أيضا: من أحب معرضا عن الله، سقط من عين الله، ومن أحب لله وأبغض لله، فهو من صفوة الله.

ومن رشيق كلامه: الذى صححته التجربة - السودان لا يخدمهم إلا من قلبه لونهم.

ومن أذكاره - رضى الله عنه - هذا الاستغفار: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، وأسأله التوبة النصوح، والعفو عنى وعن والدى، وعن إخوانى، عن الذين ظلمونى، وعن

الذين ظلمتهم، وعن كل مذهب من المسلمين، من كان منهم أو يكون،
وأسأله طهارة السر من حب الدنيا، ومن حب أهلها، ومن حب المحمدة،
ومن خوف المذمة، ومن السعى فى حظ نفسى، ومن الانتصار لها، ومن
الحسد والشك والشرك والإعجاب، ومن كل حائل وحجاب، ومن غيبة
المسلمين، والكذب والدعوى والانتساب، ومن الركون إلى سبب من
الأسباب، يا حى يا قيوم، برحمتك أستغيث فأعثنى، ولا تكلنى إلى نفسى،
ولا لغيرك طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله، وشأن إخوانى، وثبت قلبى
على دينك حتى ألقاك - وأنت راض عنى برحمتك يا أرحم الراحمين.
انتهى.

وكان سيدى أبو إسحاق المذكور ذا مقامات كبيرة، وكرامات شهيرة،
فمن كراماته ما حكاه الأستاذ أبو جعفر بن الزبير، عن الشيخ أبى العباس بن
فرتون، قال حدثنى صاحبنا الفقيه القاضى أبو محمد عبد الله البخارى بمدينة
سبته، قال دخلت مع بعض أصحابى على الشيخ أبى إسحاق بموضع سكناه
بالمرية - زائرا فسأل عنى فأخبره المسئول أنى أسدد فى البوادر بالقضاء، وأنى
أتحرى فلا آخذ شيئا إلا من توثيقى، قال فتنمر الشيخ وقال: من أمر القاضى
أن يأخذ شيئا؟ هل هو واسطة بين الله وبين الناس؟ قال: فقلت: إن بى
حمى، فادع الله أن يصرفها عنى، فقال: لأى شىء تقول هذا - وكل يوم
يعدد عليك فى ذلك أجر؟ ثم همس بشفتيه وحركهما - داعيا، ثم قال لى:
لا عليك، فما تراها أبدا، قال: فلم تأخذنى حمى من ذلك الوقت إلى
الآن.

ومن كراماته - رضى الله عنه - أنه كان من جملة أصحابه رجل ناسك
فاضل قارئ، يصلى به التراويح فى شهر رمضان فى إبان العصور، وكان أبو

إسحاق فى جنة له بخارج ألمرية، وكان يقدم فى كل ليلة لذلك القارئ ولجماعة من أصحابه - طبقا بعنب وثريدا بعد ذلك، فلما كان فى بعض الأيام جاء ذلك القارئ ليتوضأ فى صهريج تلك الجنة بعد العصر، فرأى العنب فى العريش الذى على الصهريج، فحدثته نفسه بأن لو قرب المغرب ليأكل منه، ثم عاد على نفسه باللوم لتعلقها بالشهوات وهو صائم، وعقد على نفسه فيما بينه وبين الله - تعالى - عقدا أن لا يأكل العنب بقية سنته تلك، فلما جاء المغرب، قدم لهم الشيخ بعد المغرب الثريد، ولم يقدم العنب، فبقى القارئ متعجبا، فقال له الشيخ: ما شأنك؟ فقال له: يا سيدى، كنت قد عودت الأصحاب عادة ولم نرها الليلة؟ فقال له الشيخ: أنت فعلت ذلك، فلم يسعنا إلا موافقتك فيما عقدته مع الله، قال: وبقي الشيخ لم يأكل العنب سنته تلك، لموافقته التلميذ.

قلت: ومن أغرب ما شاهدته من كرامات الشيخ أبى إسحاق - رضى الله عنه: أنى كنت أكتب كراماته هذه فى يوم عظيم المطر - وأنا قريب من موضع نزول المطر لأمر اقتضى ذلك، وماء المطر مجتمع أمام موضع جلوسى، فطارت الورقة من يدى لسبب اقتضى ذلك، ووقعت على موضع الماء، فاغتنمت لذلك - خوف أن أعيد الورقة، ولم أبادر أخذ الورقة لبعدها منى، فجاءت صبية عادت بها أن تناولتنى ما بعد عنى، فرأت الورقة على موضع الماء، فتناولتها من طرفها فلم تمسكها، بل زادت حركة على موضع الماء، فازددت غما، ثم أخذتها مرة أخرى، فناولتنى إياها، فبالله الذى لا إله إلا هو، ما أصاب موضع الكتابة من ذلك شىء البتة - ببركة هذا الشيخ. وأصاب آخر الطرة من ذلك شىء نادر مثل رءوس الإبر، فسبحان من خصهم

بمنحه الفاخرة، نسأله - سبحانه - أن ينفعنا بهم دنيا وآخرة، وكان هذا - وأنا أكتب فى مسودة هذا الكتاب يوم الأربعاء ثانى ربيع النبوى من عام سبع وعشرين وألف .

ولنعد إلى ذكر هذا الشيخ فنقول: كان رحمه الله أحد الأفراد العباد، والأولياء الأتقياء، الذين علا قدرهم وفاق، وطبق ذكرهم الآفاق، ومن طار صيته كل مطار، وأخذت جلالته بالأسماع والأبصار، وكان للمرية الشفوف به على سائر الأقطار، شمس الولاية وبدرها، وأوحد الأندلس وصدرها. وكان - رحمه الله - مشهورا بالولاية، مرفوعا له فى الدين والصلاح أرفع راية، جاريا فى التبتل والانقطاع إلى الله - تعالى - إلى أبعد غاية، مع كمال العلم والمعرفة، والتحلّى من الفضائل بكل حلية حميدة الصفة، ورسوخ القدم فى علوم الحقيقة، والجرى فى سبيل سنة الصوفية على أقوم طريقة، والمشاركة فى فنون الآداب، والأخذ من كل علم بلباب اللباب، هكذا وصفه ابن خاتمة، وقال: إنه كان عالما عاملا، فقيها أدبيا، شاعرا محسنا، سهل العبارة، لطيف الإشارة، صوفيا سنيا، طاهرا سريا، عالى الهمة، كريم العشرة، صادق الفراسة، عظيم الجاه فى القلوب، سامى الرئاسة، شديد الالتزام لمذهب مالك - رضى الله عنه -، لا يسمح من مخالفته فى شىء، قلما لازمه أحد إلا وحسنت حاله فى دينه ودنياه ولا دعا له إلا ظهرت بركة دعائه فى عقبه وعقباه، وكان حصن بلفيق وما يليه، هو موضع انتجاعه واستغلاله، إذا كان مملوكا له كثير من أملاك ذلك الصقع وأحقاله، فصار بذلك نجعة للفقراء والمساكين، وكعبه للأولياء والصالحين، يقوم على من قصده ببره وإرفاقه، ويكفيه المؤن حتى ينسيه ذكر آفاقه، فكان إليه حج كل حاج، وزيارة

ذوى الآمال والحاج، ومع ذلك فكان يقرئ جاهلهم القرآن العظيم، ويعلمه من أمور دينه ما هو جدير بالتعليم، ويصرف بطالهم فيما يناسب حاله من الأشغال، ويحضهم على اتخاذ الحرف وملازمة الأعمال، ويحمل من صحبه من أمر دينه ودنياه على أحسن الأحوال، وكان هناك ذا أرض أريضة، وثروة عريضة، فبسعة ما كان يفيض عنه من العطاء، ويعم رفده من قصده من كافة الأنحاء، صار متهما عند بعض السفارة الضعفاء، بصناعة الكيمياء، كما رمى بذلك كثير من الأولياء.

قال ابن خاتمة: حكى لى شيخنا حفيده القاضى أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن الشيخ الوالى أبى إسحاق هذا - رضى الله عنه:

قال: نزل بالشيخ أبى إسحاق بن الحاج - رضى الله عنه - بعض الفقراء السفارة، وكان كلما قصده أحد، أنزله وقام عليه برفده وضيافته ثلاثاً، ثم يسأله عن حاجته، فإن كان ممن حاجته فى المقام وقام، وإلا قضى حاجته وانصرف، فسأل هذا الفقير عن قصده - على العادة، فقال له: إنه بلغنى أنك تعرف الكيمياء، وأريد أن أصحبك وأخدمك - على أن تطلعنى عليها، وتعلمنى إياها، فقال له: نعم، فلما كان من الغد استصحبه حتى وقف به على أرض غامرة، وشعراء ملتفة قد شرع بناسه وعبيده فى فتحها وتصويرها أحقالاً للزراعة، أملاكاً للاستغلال، فقال له الشيخ أبو إسحاق: هذه كيمياء إبراهيم، فإن شئت تعلمها، قتناول فأسا من تلك الفئوس، وخذ مكانك من الخدمة.

ومآثر هذا الولى مما يعبى التعديد، ولا يزال يطرق سمعك منها جديد

فجديد، قرأ القرآن العظيم لأول طلبه على الأستاذ أبي محمد البسطى، خطيب ألمرية ومقرئها، وعلى الأستاذ المقرئ الخطيب أبي الحسن على بن محمد بن مجبر الزهرى.

وأخذ عنه القراءات السبع إفراداً وجمعاً، وعلى الأستاذ أبي القاسم محمد بن على بن محمد الهمداني البراق، وروى الحديث عن أبي الحسن على بن أحمد، وعن المحدث أبي جعفر أحمد بن يحيى الضبى، والقاضى أبى محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن الفرس، وأبى بكر محمد بن أبى زمنين، وأبى عمر بن عات، فى جماعة آخرين. وصحب بألمرية الشيخ العالم الربانى الزاهد صاحب الكرامات، أبى عبد الله محمد بن يوسف الغزال، وقرأ عليه، وأخذ عنه، وسلك على يديه، وصحب الشيخ أبو عبد الله الغزال، الشيخ الولى سيدى أبى العباس بن العريف، وعلى يديه سلك - نفعا الله بهم أجمعين.

وكان الشيخ أبو إسحاق يواصل الصوم أربعين يوماً، حكى ذلك من حاله غير واحد من أصحابه، وأنه بنى ثمانية عشر جبا فى مواضع متفرقة، ونحو عشرين مسجداً، وبنى أكثر سور حصن بلفيق، كل ذلك من ماله^(١).

وله - رضى الله عنه - كرامات جمّة مشهورة، وكلمات ذكر وحكمة مأثورة، ويروى أنه كان له ثلاث دول فى اليوم يتحلق عليه فيها فى مسجده، ومى كلامه - رضى الله عنه - فى بعض رسائله: الصوفى: عبارة عن رجل عدل تقى صالح زاهد، غير منتسب لسبب من الأسباب، ولا مخل بأدب من الآداب، قد عرف شأنه وزمانه وملكت مكارم الأخلاق عنانه، لا ينتصر

(١) نفح الطيب ج ٥ ص ٤٧٧.

لنفسه، ولا يتفكر فى غده وأمه، العلم خليله، والقرآن دليله، والحق حفيظه ووكيله، نظره إلى الخلق بالرحمة، ونظره إلى نفسه بالحذر والتهمة^(١).

ومن كلامه - رضى الله عنه - التصوف عدمك عندك فيه، ووجودك عنده به، وقال أيضا: التصوف بدايته إيثار الحق على ما عداه، ونهايته الغيبة بالحق عما سواه، وقال أيضا: بنور التقريب، يفرق بين البعيد والقريب، وبنور الاختصاص، يمتاز أهل الرياء من أهل الإخلاص. وقال فى بعض رسائله: اعلم يا أخى أن الفهم عن الله، هو العلم الأكبر، والنور الأزهر، والسنى الأنور، ولا سبيل إلى اقتباس أنواره، والتماس أسرار - بالاستبداد، ولا وجه لوجوده بالانفراد، فإن سره مصون، ولا يعقله بفضل الله إلا العالمون، فمن عثر على الدليل، هدى إلى السبيل، ومن اغتر بنفسه، وتبنى أبناء جنسه، حجب عن الحقيقة، وسلب عن الطريقة، وطفق يخبط عشوا، ويألف الهوى، - عافانا الله وإياك من سبيل، بغير دليل، وتوجه بغير وصول، ومعاد السلام عليك ورحمة الله وبركاته. - كتبه إبراهيم الضعيف عفا الله عنه.

وقال - رحمه الله: من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة، لم يفتح له من هذه الطريقة شمة. وقال: لا ترض مجاهدة، لم يفتح له من هذه الطريقة شمة. وقال: لا ترض بنفسك فائدة، فإن حبك الشئ يعمى ويصم. وقال: لو تصور صوفى منتصر منتسب، لتصور زاهد مفتر مكتسب. وقال: دواء مرض القلوب، تلاوة القرآن بالتدبر وصحبة الصالحين، واللجوء إلى الله تعالى بالأسحار. وقال: من جاهد برأى عالم مقبول فى الإسلام،

(١) نفح الطيب ج ٥ ص ٤٧٧.

صالح للقدوة والالتزام ظهرت عليه الأحوال الصديقية، والمواهب الربانية، والإلهامات الملكية، وهؤلاء فى الإسلام خلفاء الرسل، وأمناء السبل. قال الله - تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾ (٣١) [آل عمران]. وقال رحمه الله: المجاهدات الطهارة من الذنوب، والمعاملات للتنظيف من العيوب، والمراقبات لملاحظة الغيوب، والمكاشفات تخرق الحجب.

قال ابن خاتمة: وفى هذه اللفظة إشباع - والمحاضرات لمعاهدة المحبوب، وكان رحمه الله لا يستعمل السماع، ولم ينقل عنه أنه كان ينكره على من يستعمله، بل قيل أنه كان يعجبه الإنشاد، ويجد به وجدا شديدا.

ولد - رضى الله عنه - ببلقيق سنة سبع وخمسين وخمسمائة - فيما حكاه غير واحد، وقال المكتب أبو محمد عبد الله بن على بن فرحون سنة أربع وخمسين، ونشأ فى كفالة والدته، إذ كان والده قد توفى، فدرس القرآن وجوده على خطيبها المعروف بابن مهارش، وبابن القصير، وقرأ عليه جملة من التفريع، وكان هذا الخطيب يلقب ببغل القرآن، وكان رجلا صالحا مجودا للقرآن، فلما ترعرع وبلغ مبلغ الرجال، انتقل إلى ألمرية، وأقام أزيد من عشر سنين، فقرأ القرآن بها، والعربية على شيوخها، كأبى العباس بن اليتيم، وغيره ممن مر ذكره، ولزم صحبة الشيخ الناسك أبى عبد الله الغزال، وجاهد نفسه على يديه وإرشاده - مدة مقامه بألمرية، فانتفع بذلك، وكان الشيخ الغزال يحبه ويقدمه، ويشنى عليه، وكان يتردد إلى بلقيق لزيارة والدته فى الأعياد خاصة، فلما توفى الشيخ أبو عبد الله الغزال، عاد إلى بلقيق، وكانت والدته قد توفيت، فتزوج ابنة خاله، وأقام هناك سنتين، ثم انتقل إلى ضيعته بظاهر طبرنش^(١)، فأقام بها يسيرا، ثم انتقل إلى ألمرية - باستدعاء واليها

(١) طبرنش: شرقى ألمرية.

يومئذ، السيد أبى عبد الله محمد بن السيد أبى زكرياء ابن الخليفة أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين فحل بها وأوطنها تحت بره وإكرامه، واستمر مقامه بها إلى أن قدم على ألمرية - راجيا جبايتها أحد الظلمة الغشمة، وهو المشرف على بن أبى بكر، فأحدث على الناس أحداثا منكرا، فرفعوا أمرهم إلى الشيخ أبى إسحاق، شاكين إليه بحالهم معه، وراغبين فى صرف ما حل بهم من قبله، وكان هذا المشرف المسرف لأول قدومه على ألمرية يزور الشيخ أبا إسحاق، ويظهر التبرك به، فلما بلغه تغير الشيخ عليه، ونكيره ما أحدث من المفاسد، ورأى أن الحال تتغير عليه بسببه، وأن لا طاقة له بمكابرته، كتب إلى ظهيره الذى يستند إليه نظر السلطان بمراكش الوزير عثمان بن عبد الله بن أبى إسحاق بن جامع، يشتكى إليه بحاله، وما يتوقع من قبل الشيخ أبى إسحاق فى مآله، وأنه لا يتم له شىء معه من أعماله، وزور له أنه ذو اتباع وأعوان، لا يؤمن من جانبه الثورة على السلطان، واستظهر على ذلك بعقد كتب بألمرية واستنهض للشهادة فيه من لم يتق الله تعالى فى عظيم هذه الفرية، كأبى يحيى بن أسود، ومحمد بن الرميمى من وجوهها، وكعبد الله بن مكنون، وصهره أحمد الغلىرى من سوقتها، ممن يبطن للشيخ بغضة وحسدا، ولا يوقن أن الله سبحانه سائله عن شهادته عند الوقوف بين يديه غدا.

ولما بلغ الوزير عثمان بن جامع ما وجه به إليه خديمه المشرف على بن أبى بكر، حملته الأنفة له، والحمية لجانبه - على أن طالع به سلطانه أمير المؤمنين المستنصر بالله، أبا يعقوب يوسف بن الناصر بن المنصور بن يوسف ابن عبد المؤمن بن على، وألقى إليه فى صورة الناصح، أن تغريب الشيخ أبى إسحاق عن ألمرية من أعظم المصالح، فخرج أمر المستنصر بإزعاجه من ألمرية وتوجيهه إلى مراكش، ووصل كتاب من المستنصر إلى أبى عمران وأبى

العباس ابني أبي حفص يستفهمان فيه عن حقيقة ما شنع به على الشيخ أبي إسحاق، فتفاوضا في كيفية الجواب، فكان من رأى أبي العباس التغافل عنه إلا بعد أن يعاود الخطاب، واتفق رأيهما على ذلك، فلما كان من الغد، توجه أبو عمران بن أبي حفص إلى باب الخندق من أبواب ألمرية البحرية، ليودع الشيخ أبا إسحاق فأخبره أنه قد طلع في البحر على أثر صلاة الصبح، وذلك من يوم الاثنين الثاني عشر لصفر سنة ست عشرة وستمئة في أسطول ألمرية، فقال أبو عمران: سبحان الله، أعان هذا على نفسه - يشير إلى أنه لو أراد أن لا يتوجه لأقام إلى النهار، فلم تكن العمامة لتتركه ولا توافقه على السفر لمراكش، والانفصال عنهم - اغتباطا لجواره، وتهالكا على مقامه بين أظهرهم واستقراره، وكذلك كان يقول على بن أبي بكر: لو بقى ابن الحاج بألمرية، لكنت أول من يقتل، وقد كان غير واحد من أهل ألمرية وغيرهم، يرومون صرف الشيخ أبي إسحاق عن التوجه إلى مراكش، فلم يوافقهم على ذلك، ولا رأى مخالفة للأمر، ولو أراد المقام، لأقام كيف شاء، وكان أبدا يقول: سأموت غريبا.

ومن كلامه - رضى الله عنه - وقد أراد النهوض للقيام في هذه الوجهة، فأثقلته الكبرة - يقال عن إبراهيم يقوم، وهو لا يقدر أن يقوم، ويؤثر أنه قال الذى يقوم عليهم هو القاعد فى اسطوانى - وكان قاعدا هناك ابن الرميمى ينتظره ليودعه، وهى من كرامات الشيخ أبى إسحاق. ولما وصل إلى مراكش وأدخل على المستنصر هابه المستنصر هيبة شديدة، وقذف الله تعالى في نفسه إجلاله، وأشرب قلبه تعظيمه وإكباره، وندم على أن وجه عنه، وسأل الدعاء منه - وهو لا يجد في فيه ريقا، وأقام أياما بمراكش، ثم

مرض وتوفى ليلة الأربعاء غرة جمادى الأخيرة سنة ست عشرة وسمائة - وهو ابن بضع ستين سنة، وقيل ابن نحو ثلاث وستين سنة، وكانت جنازته حافلة، قدم العهد بمثلها، وحضرها الأمراء والأكابر، رجالا مشاة، منتعلين وحفاة، وكسرت العامة نعشه، وتوزعوه كسرا تبركا به، وأشار بعض كبراء الدولة بدفنه مع سيدى أبى العباس بن العريف، شيخ شيخه، فأبى المستنصر إلا أن يدفن بإزاء القصة، وقال: بحيث تتأتى لنا زيارته، ونقرب منه، فدفن بمقبرة الشيوخ، وقبره هنالك إلى الآن معروف متبرك به.

قلت: كذا قال ابن خاتمة وغير واحد: أن قبره بإزاء القصة، والمعروف عند أهل مراکش - قاطبة فى زماننا هذا - خلاف ذلك وأنه مدفون بوسط البلد لا يلحقهم فى ذلك شك، غير أن عامتهم يسمونه سيدى إسحاق - على ما جرت به عادة العامة من تغيير الأسماء، وأما الخاصة من العلماء وغيرهم، فيقولون سيدى أبو إسحاق البلفيقى، وقد زرتة ودعوت الله عنده بما أرجو من بركته قبوله، وهو مزور لالتماس الخير، وكان أبو الحسن بن بقى وبعض أصحابه يقولون: كان الشيخ أبو إسحاق يقول - أيام إقامته بالمرية - تتمشى حالة هذا الأمير ومن يختص به، وتتصل أيام دولتهم ما لم ينقلونا من موضعنا، فإذا نقلونا من موضعنا، حل البلاء بجمعهم، فكان الأمر كذلك، وسئل الشيخ أبو إسحاق عما رأى من المستنصر وحاشيته؟ فقال أما السلطان فمبارك، وما رأيت إلا خيرا، وإنما ذلك الوزير ويسكت - يعنى ابن جامع. وقال له ابن جامع: لعلك يا فقيه تستوحش فى هذه البلاد، فقال له: إنما تستوحش البهائم. وقد أنصف الله تعالى فى دار الدنيا من كل من سعى إليه، فمات ابن جامع، وعلى بن أبى بكر، على أسوأ حال من الذلة والهوان، وأما ابن بقى صاحبه، فصلبه المأمون بإشبيلية.

وكان الشيخ أبو إسحاق يقول: كل من نال من عرضي ما نال فأنا أحلله من ذلك، وأغفر له ما عدا من رمانى بالقيام على السلطان، فإنى لا أغفر له حتى أخاصمه بين يدي الله تعالى فيما رمانى به من البدعة الشنعاء، والمعصية الكبرى والداهية الدهياء، ولو رمانى بالزنا، ما كان أشد على مما رمانى به، ويذكر من فظاعة هذه الفرية عليه، وشناعتها لديه.

وقد أخذ عنه جمع كثير من أهل العلم وغيرهم، حدث حفيده القاضي أبو البركات بن الحاج عن ابن خميس التلمساني المتقدم الذكر فى الترجمة الأولى من هذا الكتاب، قال سمعت بعض الأشياخ يقول: كان أبو إسحاق البلفيقى الكبير يقول: اجتمع لنا فى الله أربعون ألف صاحب، وهو - رحمه الله - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن سليمان بن سوار ابن أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير بن عياش - وهو ابن عيشون - ابن محمد الداخل إلى الأندلس بن عنبسة بن حارثة، ويقال: ابن الحارث ابن العباس بن مرداس السلمى، صاحب رسول الله ﷺ، هكذا هو الصواب، لا ما قال الملاحى، وابن عبد الملك، فإنهما أسقطا بين خلف وسوار رجلين، إذ جعلنا خلفا ابن سوار، وليس كذلك، بل بينها رجلان - كما ذكرته، حسبما قال ذلك حافده أبو البركات، وأهل بيت أعرف بنسبهم.

ومن كراماته - رضى الله عنه - ما حدث به أحد الثقات من أصحابه، أنه كان بالمرية متطبب ممن يسر إنكار الكرامات، فأتته امرأة بصبى يشتكى ألم الحصى، فقال لجليس له ممن يماله على مذهبه: قم بنا إلى هذا الفقيه - يعنى الشيخ أبا إسحاق - حتى نرى ما يصنع؟ فدخلا عليه موضع إقرائه، ومجتمع جلسائه، فسأل الصبى عن شكايته، فأخبره بما يجد من الألم، وكان الشيخ

كوشف بالحال، فتغير وجهه، وجعل إحدى يديه على ظهر الصبي، والأخرى على قلبه، قال الحاكي: فرأيت الصبي قد تقبض واجتمع، ثم قذف من الحصيات التي قدر الحمص خمسا أو نحوها مخضوبة بالدم، وسكن ما كان به، ورفع عن الموضع، ثم عطف الشيخ حنقا على المتطبب وصاحبه، وقال: إنكاركم أحوج إلى هذا، فتوبا إلى الله أو نحو هذا الكلام، فأخذا يتنصلا ويعتذران، وخرجا من عنده خزيين؟ وحدث الأستاذ أبو جعفر بن الزبير قال: سألت الشيخ المقرئ أبا الوليد إسماعيل بن يحيى، هل لقيت الشيخ أبا إسحاق، فحدثني قال: كنت أحدث نفسي ببلقائه ورؤيته فاحتاج أبي إلى شراء أسباب لجهاز أختي، وأخذ في توجيه ثقة ممن كان يلوذ به إلى ألمرية لشراء تلك الأسباب، فرغبت من والدي أن يأذن لي في السفر معه برسم الأسباب، وآتى الشيخ أبا إسحاق، فأذن لي، فلما وصلنا ألمرية، سألت عنه، فدللت على مسجده، فحضرت فيه صلاة المغرب، فلما جاء الشيخ وأقيمت الصلاة فتقدم أمامه فضلى بنا والشيخ وراءه، فلما سلم، تنفل الشيخ بما تنفل، وأنا أترقبه، وقد عرفته بقرائن الأحوال، ثم أخذ في الخروج فقامت وراءه وتبعته إلى أن أخذ في دخول داره، فحين قدم رجله للدخول كلمته، فصرف وجهه إلى - ولم يكن رآني قبل ذلك ولا رأيته، وأقبل على وقال: من أين الطالب، فقلت له: من غرناطة، جئت برسم رؤيتك والتبرك بك، ما لي حاجة سوى ذاك، فتبسم، وقال: إنما جئت في شأن أختك وجهازها، فتحيرت، ثم دعا لي وأنسني وانصرفت، وقد رأيت العجب من أمره! قال: فهذا ما اتفق لي في لقاء من سألت عنه، ولقد رأيت رجلا لم أر مثله.

وحدث الوزير أبو الربيع سليمان بن شعيب، قال قصدت أنا وأبو إسحاق بن الجياد إلى زيارة الشيخ صالح بن حمدون التشكري، أحد الجلة من أرباب الكرامات، وأحد الجلة من أصحاب أبي إسحاق بن الحاج إلى تشكر، فأقمنا عنده مدة، قال أبو الربيع: ثم قلت لصاحبي: ينبغي لنا أن ننصرف، فقال لي صاحبي: حتى يكون ذلك عن إذن الشيخ فلما حضرنا عنده، قال لي: يا أبا الربيع أدركت القلق من مقامك معنا، لا تنصرف حتى نأذن لك، فخرجت وقلت: لا تعاتبني بجهلي. قال: فأخبرنا الشيخ صالح قال:

سافرت وقرأت بسببة على العزفى وغيره وبغيرها، ثم أتيت إلى هذا الموضع بعد عامين بسبب والدى، فقلت يوما فى نفسى: لقد قرأت واجتهدت وما قصرت، ولكنى لم أفهم حقيقة الأخبار بالمغيبات، فبينما أنا فى هذا الحاضر، وإذا ثلاثة رجال، فقلت لهم: من أين أقبلتم؟ فقالوا: من منزل الشيخ أبى إسحاق بن الحاج بطبرنش، فأخبرونى عنه وكانوا ثقة - إنهم لما أشرفوا على طبرنش قاصدين زيارته، قال أحدهم - وكان حاجا - لقد سمعت ذكر رمان هذا الموضع بالإسكندرية، فنسأل عنه الشيخ، فقال الآخر: حاش الله أن نسأل الشيخ عن الرمان، إنما نسأله كيف كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم، وقال الآخر: إنما أسأله أنا فى حكم من له زوجة لا تصلى، ما يفعل معها؟ هل يتخلى عنها أم لا؟ فلما وصلنا إليه، قدم لنا رمانا ولحما، وناول الحاج الرمان، وقال لهم: كلوا من هذا الرمان، فإن ذكره مشهور بالإسكندرية، فقال له الحاج: نعم يا سيدى، أنا سمعت ذكره هنالك بإذنى، ثم أخذ بعد ساعة قطعة من لحم بيده وقال للآخر: هكذا روى أن رسول الله ﷺ - كان يأكل اللحم، وأراه الصورة بفيه، ثم سكت، ثم قال للآخر:

من له زوجة لا تصلى بينها عن ذلك، فإن انتهت، وإلا توعدّها بالطلاق، فإن انتهت، وإلا طلقها - وله فى النساء سعة، قال صالح: فلما سمعت ذلك، قلت: والله لأخرجن من ساعتى إلى هذا الشيخ، وقلت فى نفسى: أسأله أنا عن الشيخ أبى أحمد وعن حال أصحابه، هل هم على الحق أم لا، فخرجت وحملت معى جرابا فيه مصحف وكتاب الموطأ، وكتاب فى علم الرياضى، فلما وصلت إليه، قال لى: أخرج ما فى جرابك، فأخرجت المصحف ثم الموطأ، ثم أخرجت الرياضى، فقال لى - وهو لم يفتحه - أحرقت ذلك الآن، فأحرقته، ثم قال لى: الشيخ أبو أحمد سيد وقته، وأما أصحابه فينبغى أن يحبوا من أجله، فانطلق إليه، قال: فانطلقت من وقتى إلى الشيخ أبى أحمد، ولا زمته - رضى الله عنهم أجمعين - ونفعنا بهم، وسهل علينا بجاههم كل ما نرومه.

وحدث القاضى أبو البركات حافده قال: دخلت على الشيخ الصالح، العابد المجتهد، الحاج أبى عبد الله محمد بن على البكرى المعروف بابن الحاج - فى منزله بالمرية عائدا - قال:

أظنه فى مرضه الذى مات منه - فقال لى حين سألته عن حاله: ادع لى، فقلت له: يا سيدى بل أنت تدعو لى، فقال لى: شرح الله صدرك، ونور قلبك بنور معرفته، فمن عرف الله لم يذكر لك غيره، فقد حكى سيدى أبو جعفر بن مكنون عن جدك، قال: كنت مع سيدى أبى إسحاق بن الحاج بمراكش، فقال لى: هل ترى فى المنام شيئا؟ فقلت: نعم، أرى كأنى فى المرية أمشى من الدار إلى المسجد، ومن كذا إلى كذا، فأعرض عنى وقال: لا ترى إلا الله. قال: ثم مر به فى أثناء كلامه ابنه محمد فقال لى: رأيت هذا؟ والله

ما أدرى أن لى ابنا حتى يمر بى ، ولا أذكره إذا غاب عنى ، ولا أرى إلا الله انتهى .

وكرامات هذا الولى أكثر من أن تحصر ، ومن أراد استيفاء أحواله كراماته ، فعليه بكتاب حافده أبى البركات الذى وضعه فى أخبار سلفه - رضى الله عنهم ، وقد أورد طرفا منها الشيخ الخطيب أبو الحسن على بن أحمد الغزال فى الجزء الذى وضعه فى كراماته وكرامات شيخه أبى عبد الله الغزال جد أبى الحسن المذكور ، وكرامات شيخه أبى العباس بن العريف - رضى الله عنهم ونفعنا ببركاتهم .

ومن نظم الشيخ أبى إسحاق - رضى الله عنه - قوله :

ألا كرم الله البلاد بنخبة

هم حسنات الدهر ، ولا نابهم خطب

رعايتهم فرض على كل مسلم

وحبهم حق قد أوجبه الرب

إذا ما سألت الله شيئا فسل بهم

فتعظيمهم قرب وغيتهم حرب

وقوله :

على غير علم منى بشكواه

شكا فشكى قلبى خبالا مبرحا

من النعت سلطان الحقيقة سواء

وما التقت الأسرار إلا بجامع

وسر الذى يهواه ماواه مأواه

فيا فرحة المجهود أن بات سره

ومن أجله قد كان بالبعد راضيا
 بدا فبدت أعلام ضدين فى الهوى
 برؤيته فارقت موتى لبعده
 فهأنا حى ميت بلقائه
 إذا لم تكن أنت الحبيب بعينه
 وأكذب ما يلقي الفتى وهو صادق
 وقوله :

الحب فى الله نور يستضاء به
 جنب أخا حدث فى الدين ذا غير
 حاشى الديانة أن تبنى على خبل
 إن الحقائق لا تبدو لمبتدع
 تالله لو أبصرت عيناه أو ظفرت
 حقق ترى عجبا إن كنت ذا أدب
 إن الطريقة فى التنزيل واضحة
 فافهم-هديت-هدى الرحمن وأهدبه
 وقوله صدر رسالة وجه بها إلى ابنه محمد أيام قراءته بإشبيلية :

إذا شئت أن تحظى بوصلى وقربتى

فجنب قرين السوء وأصرم حباله

وسابق إلى الخيرات واسلك سبيلها

وحصل علوم الدين واعرف رجاله

وكان - رحمه الله - كثيرا ما يتمثل بيتي مهيار الدليمي، وهما:

ومن عجب أنى أحـن إليهم

واسأل شوقا عنهم وهم معى

وتبكيهم عيني وهم فى سوادها

ويشكو النوى قلبى وهم بين أضلعي

انتهى .

ولنرجع إلى ما كنا بصده فنقول: وهذه صلاة عظيمة البركة، رأيته فى بعض المجاميع منسوبة للشيخ سيدى عبد القادر الجيلانى - أفاض الله علينا من أنواره:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، يا مولاي يا قادر، يا مولاي يا غافر، يا لطيف يا خير، اللهم اجعل أفضل صلواتك عددا، وأتمى بركاتك سرمدا، وأزكى تحياتك فضلا ومددا، على أشرف الحقائق الإنسانية، ومعدن الرقائق الإيمانية، وطور التجليات الإحسانية، ومهبط الأسرار الرحمانية، واسطة عقد النبيين، ومقدم جيش المرسلين، وأفضل الخلق أجمعين، حامل لواء العز الأعلى، ومالك أزمة الشرف الأسنى، شاهد أسرار الأزل، ومشاهد أنوار السوابق الأول، وترجمان لسان القدم، ومنبع العلم والحلم والحكم، مظهر سر الوجود الجزئى والكلى، وإنسان عين الوجود العلوى والسفلى، وروح جسد الكونين، وعين حياة

الدارين، المتخلق بأعلى رتب العبودية، والمتحقق بأسرار المقامات الاصطفائية، سيد الأشراف، جامع الأوصاف، الخليل الأعظم، والحبیب الأكرم، المخصوص بأعلى المراتب والمقامات، والمؤيد بأوضح البراهين والدلالات، والمنصور بالرعب والمعجزات، الجوهر الشريف الأبدى، والنور القديم المحمدى، سيدنا محمد المحمود فى الإيجاد والوجود، الفاتح لكل شاهد ومشهود، حضرة المشاهد والمشهود، نور كل شىء وهده، وسر كل سر وسناه، الذى منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، السر الباطن، والنور الظاهر، السيد الكامل، الفاتح الخاتم الأول، الآخر الباطن الظاهر، العاقب الحاشر، الناهى الأمر، الناصح الناصر، الصابر الشاكر، القانت الذاكر، الماحى الماجد، العزيز الحامد المؤمن العابد، المتوكل الزاهد، القائم الساجد، الشافع الشهيد، الولى الحميد، البرهان الحجة، المطاع المختار، الخاضع الخاشع، البر المستنصر، الحق المبين، طه يس، المزل المدثر، سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيئين، وحبیب رب العالمين، النبى المصطفى، والرسول المجتبى، الحكم العدل، الحكيم العليم، نورك القديم، وصراطك المستقيم، محمد عبدك ورسولك، وصفيك وخليك، وحبیبك ووليك، ونبيك وأمينك، ودليلك ونجيك، ونخبتك، وذخيرتك وخيرتك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة النبى الأمى، العربى القرشى، الهاشمى الأبطحى المكى، المدنى التهامى، الشاهد المشهود، الولى المقرب السعيد المسعود، الحبيب الشفيع، الحسيب الرفيع، المليح البديع، الواعظ النذير، العطوف الحليم، الجواد الكريم، الطيب المبارك المكين، الصادق المصدق المبين، الداعى إليك بإذنك السراج المنير، الذى أدرك الحقائق بجملتها، وحاز الخلائق برمتها، وجعلته حبیباً، وأدنيته رقيباً، وختمت به الرسالة والدلالة،

والبشارة والندارة والنبوءة، ونصرته بالرعب، وظلّته بالسحب، ورددت له الشمس، وشققت له القمر، وأنطقت له الضب والظبي، والذئب والجذع، والذراع والجمل والخيّل، والمدّر والشجر، وأنبتت من أصابعه الماء الزلال، وأنزلت من المزن بدعوته فى عام المحل والجذب وابل الغيث والمطر، فاعشوشب منه القفر والصخر والوعر، والسهل والرمل والحجر، وأسريت به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، إلى السموات العلى، إلى سدره المنتهى، إلى قاب قوسين أو أدنى، وأريته الآية الكبرى، وأنلته الغاية القصوى، وأكرّمته بالمخاطبة والمراقبة، والمشاهدة والمعينة بالنظر، وخصصته بالوسيلة العذرا، والشفاعة الكبرى، يوم الفزع الأكبر فى المحشر، وجمعت له جوامع الكلم وجواهر الحكم، وجعلت أمته خير الأمم، وغفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، الذى بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجلا الظلمة، وجاهد فى سبيل الله، وعبد ربه حتى أتاه اليقين.

اللهم ابعثه مقاما محمودا يغطه فيه الأولون والآخرون، اللهم عظمه فى الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دينه، وإبقاء شريعته، وفى الآخرة بشفاعته فى أمته، وإجزال أجره ومثوبته، وإبداء فضله للأولين والآخرين وبالمقام المحمود، وتقديمه على كافة المقربين الشهود، اللهم تقبل شفاعته الكبرى، وارفع درجته العليا، واعطه سؤله فى الآخرة والأولى، كما آتيت إبراهيم وموسى، اللهم اجعله من أكرم عبادك عليك، ومن أرفعهم عندك درجة، وأعظمهم خطرا، وأمكنهم عندك شفاعا، اللهم عظم برهانه، وأبلغ حجته، وأبلغه مأموله فى أهل بيته وذريته، اللهم اتبعه من أمته وذريته ما تقر به عينه، واجزه خير ما

جازيت نبيا عن أمته، واجز الأنبياء كلهم خيرا، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عدد ما شاهدته الأبصار، وسمعتة الآذان، وصل وسلم عليه عدد من صلى عليه، وصل وسلم عليه، عدد من لم يصل عليه، وصل وسلم عليه، وصل وسلم عليه، كما يحب أن يصلى عليه، وصل وسلم عليه، كما أمرتنا بالصلاة عليه، وصل وسلم عليه، كما ينبغي أن يصلى عليه، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله، عدد إنعام الله وإفضاله، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأولاده، وأزواجه وذريته، وأهل بيته وعترته، وعشيرته، وأصهاره وأحبابه، وأتباعه وأشياعه، وأنصاره، خزنة أسرار، ومعدن أنواره، كنوز الحقائق، هداة الخلائق، نجوم الاهتداء لمن اقتدى، وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا، وارض عن كل الصحابة رضى سرمد، عدد خلقك، وزنة عرشك، ورضى نفسك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك ذاكر، وكلما سها عن ذكرك غافل، صلاة تكون لك رضى، ولحقه أداء، ولنا صلاحا، وآته الوسيلة والفضيلة، والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورد، وصل يارب على إخوانه من الأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين، صلوات الله عليهم أجمعين، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد السابق للخلق نوره، والرحمة للعالمين ظهوره، عدد من مضى من خلقك ومن بقى، ومن سعد منهم ومن شقى، صلاة تستغرق العد، وتحيط بالحد، صلاة لا غاية لها ولا انتهاء، ولا أمد ولا انقضاء، صلاتك التى صليت عليه، صلاة معروضة عليه، مقبولة لديه، صلاة دائمة بدوامك، باقية ببقائك، لا تنتهى لها دون علمك، صلاة ترضيك وترضيه، وترضى بها عنا، صلاة تملأ الأرض والسماء، صلاة تحل بها العقد، وتفرج بها الكرب، ويجرى بها لطفك فى أمرى والمسلمين، وبارك على الدوام وعافنا واهدنا، واجعلنا آمين، ويسر

أمورنا، مع الراحة لقلوبنا وأبداننا، والسلامة في ديننا ودنيانا، وآخرتنا،
وتوفنا على الكتاب والسنة، واجمعنا في الجنة، من غير عذاب يسبق وأنت
راض عنا، ولا تمكر بنا، واختم لنا منك بخير في عافية بلا محنة أجمعين،
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، صلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه أجمعين - انتهت بحمد الله .

وذكر الشيخ الصالح سيدى زيتون رضى الله عنه - صلاة بأربعة عشر
ألف صلاة، وهى:

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، بحر
أنوارك، ومعدن أسرارك، ولسان حجتك، وإمام حضرتك، وعروس
مملكتك، وطاراز ملكك، وخزائن رحمتك، وطريق شريعتك، المتلذذ
بمشاهدتك، عين أعيان خلقك، المنقذ من نور ضيائك، صلاة تحل بها
عقدى، وتفرج بها كربى، صلاة ترضيك وترضى بها عنا - يارب العالمين -
انتهت. وقد تقدمت عن الشيخ الماللى ببعض اختلاف مع هذه، فلذلك
ذكرتهما معا، على أنهما اتفقا فى أكثرها - والله أعلم.

وهذه صلاة أخرى مختصرة، ذكر عن بعض الأولياء أنه نقلها من اللوح
المحفوظ، وهى:

اللهم صل وسلم على روح سيدنا محمد فى الأرواح، وبلغه أقصى
رتبة فى السعادة والصلاح، والصلاة والسلام على المصطفى ورحمة الله
وبركاته.

وهذه صلاة عظيمة للولى العارف سيدى عبد العزيز المهدوى - رضى
الله عنه، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم على لوح رحمانيتك،
الذى كتبت فيه بقلم رحيمتك، ومداد مدد رحمونيتك ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
وَأَنْتَ فِيهِمْ...﴾ [الأنفال] (٣٣)، اللهم صل وسلم على عرش استواء
وحدانيتك، من حيث إحاطة أحدية ألوهيتك، ورحمتك الشاملة، وبركتك
الكاملة، من حيث إحاطة قولك: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧)
[الأنبياء]. اللهم صل وسلم يارب العالمين، على رحمة العالمين، اللهم صل
وسلم على إنسان عين الكل فى حضرة وحدانيتك، وجمع جمع أحديتك،
من حيث إحاطة قولك: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) وداعياً إلى
الله بإذنه وسراجاً منيراً (٤٦) وبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) ﴿[الأحزاب].
فكان المبشر عين المبشر به، فأئلنا اللهم من بركاته، وافتح اللهم أقفال قلوبنا
بمفاتيح حبه، وكحل أبصار بصائرنا بإثمد نوره، وطهر أسرار سرائرنا
بمشاهدته وقربه، حتى لا نرى فى الوجود إلا أنت به، ومن نوم غفلتنا ننتبه،
اللهم صل وسلم على كاف كفايتك، وهاء هدايتك، وياء يمينك، وعين
عظمتك، وصاد صراطك: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ﴾ (٧) [الفاتحة]، ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ
تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (٥٣) [الشورى] اللهم صل وسلم على نورك الأسنى، المتشفع
بالأسماء فى حضرة المسمى، فكان عين مظاهرها الوجودية من حيث أحاط
علمك، وعين أسرارها الجودية من حيث أحاط كرمك، وعين اختراعاتها
الكلية الكونية من حيث إحاطتها إرادتك، وعين مقدوراتها الجبروتية من حيث
أحاطت قدرتك وقهرك، وعين إنشاءاتها الإنسانية من حيث أحاطت سعة
رحمتك، اللهم صل وسلم على ميم ملكك، وحاء حكمتك وميم ملكوتك،
ودال ديمومتك، صلاة تستغرق العد، وتحيط بالحد، اللهم صل وسلم على

الواحد الثاني، المخصوص بالسبع المثاني، والسر الساري في نازل الأفق
الرحماني، والقلم الجارى بمداد المرد الرباني، على طور عقل الإنسانى، صلاة
تتجدد بتجدد رحمتك عليه، واتصال انتهاء نورك وسرك إليه، يارب العالمين،
اللهم صل وسلم على ألف أحديتك، وحاء وحدانيتك، وميم ملكك، ودال
ديمومتك، اللهم صل على ميم ملكك وحاء وحدانيتك، ودال دينك، ﴿أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ... (٣)﴾ [الزمر] فقد أخلصت الخالص، للقائم بالدين
الخالص، وأضفته إليك، فصل وسلم يارب على من قام بما أضفت إليك على
التحقيق، وقام بدينك، وبلغ رسالتك، وأوضح سبيلك، وأدى أمانتك، وأقام
البراهين على وحدانيتك، وأثبت في القلوب أحديتك، فهو سرك المصون
بهيبتك وجلالك، المتوج بنور أسرارك وجمالك، صل رب عليه على قدر
مقامه العظيم لديك، وعلى قدر عزته عليك، اللهم صل وسلم على موضع
نظرك، ومظهر منظرك، ومغنم خزائن كرمك، عقد عزتك ومفتاح قدرتك،
محل رحمتك، ومجد عظمتك، خلاصتك من كفه كونك وصفوتك، من
خصصته باصطفائك، النبي الأمى، الرسول العربى، الأبطحى الحرمى
القرشى، أحمد الحامدين فى سرادقات جلالك، ومحمد المحمودين فى
مباشطة جمالك، ألف إبداعاتك وباء بداية اختراعاتك، وواو ودك فى
إنشاءاتك، وألف إبرازك لمخلوقاتك، ولام لطفك فى تدبيراتك، وقاف إحاطة
قدرتك على خلق أرضك وسماواتك، وسين سرك بين جميع أضداد
مبدعاتك، وميم مملكتك المحيطة بمعلوماتك، اللهم صل وسلم على سر
جودك، ومظهر وجودك، وخزانة موجودك، اللهم صل وسلم على إمام
حضرة جبروتك، المصلى فى محراب ﴿...قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩)﴾ [النجم]
بأحدية جمعه فانجمع بك فى صلاته فجمعه عليك. وخصصته بالنظر إليك،

وأخلصته بالسجود بين يديك، وجعلت قرّة عينه في الصلاة الخالصة لديك، فهو المفتض إيكار أسرار مشاهدتك، المقبض للمعات لمحات نفحات مشاهدتك، اللهم صل وسلم على كلمتك العليا من حيث الاختراع والإبداع، وعروتك الوثقى من حيث تتابع الاتباع، وحبلك المعتصم به عند الضيق والاتساع، وصراطك المستقيم للهداية والاتباع، ألم، حم، ح، وطسم ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ - وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢٩) [الفتح]. اللهم صل وسلم على المتخلق بصفاتك. المستغرق في مشاهدة ذاتك، الحق، المتخلق بالحق حقيقة الحق. ﴿... قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ...﴾ (٥٣) [يونس]، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) [الأحزاب] اللهم إنا قد عجزنا، من حيث إحاطة عقولنا، وغاية أفهامنا، وسوابق همنا، أن نصلّي عليه من حيث هو وكيف نقدر على ذلك وقد جعلت كلامك خلقه، وأسماءك مظهره، ومنشأ كونك منه، وأنت ملجأ وركنه، وملاك الأعلى عصيته ونصرتة، صل اللهم عليه من حيث تعلق قدرتك بمخلوقاتك، وتحقق اسمك بإرادتك، منه أبدأت المعلومات، وإليه جعلت غاية الغايات، وبه أقمت الحجاج على المخلوقات، فهو أمينك، وخازن علمك، وحامل لواء حمدك، ومعدن سرك، ومظهر عزك، ونقطة دائرة ملكك ومحيطه ومركبه وبسيطه، اللهم صل وسلم على المنفرد بالمشهد الأعلى، والطود الأعلى، والنور والسر الأجلّ، المختص في حضرة الأسماء بالمقام الأسنى، والنور والسر الأحمى، اللهم صل وسلم على النشأة الحبيبة، اللهم صل وسلم على الشجرة الطيبة العلوية، الثابت أصلها في معادن هيبتك، السامى فرعها في سرادقات عظمتك، اللهم صل وسلم على المزل المدثر، المبشر المكبر المطهر، عطوف رحيم، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ إِلَى رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١٢٩)

[التوبة]، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)﴾ [النور]، اللهم صل وسلم على مشكاة جسمه ومصباح قلبه، وزجاجة عقله، وكوكب سره، اللهم صل وسلم على كوكب سره، «الموقد من شجرة»، أصلها: النور الذى هو المفيض عليه من نور ربه «نور على نور، يهدى الله لنوره من يشاء»، وصل على الضمير البارز المستور فى النور الثانى الأخير المضروب به الأمثال فى عالم المثال، اللهم صل وسلم على من نورت بنوره ملكوت سمواتك وراضك، «مثل نوره كمشكاة كونك» (فيها مصباح) من نوره، «المصباح فى زجاجة» أجسام أنبيائك وملائكتك ورسلك، «كأنها كوكب درى» سره، «يوقد من شجرة» أصلها النور الذى هو المفيض عليه من فيض أسمائك، «يهدى الله» لنور سيدنا محمد «من يشاء» من خلقه، «ويضرب الله الأمثال للناس، والله بكل شىء عليم».

اللهم إنك عالم بهذا النور البارز المستور، الباهر المنشور الذى بهرت به كليات الكونين، وطرزت به الثقليين، وزينت به أركان عرشك، وملائكة قدسك، وأدنيته من حضرة جبروتك، وجعلته المشفع إليك فى ملائكتك، وأنبيائك ورسلك، فهو باب الرضى، والرسول المرتضى، حقيقة حقك، وصفوتك من خلقك بنوره حملت عرشك، وبسره رفعت سمواتك وبسطت أرضك، فهو سماء سمائك، وعناية عيون إحسانك، ومظهر عزك وسلطانك، فأنت العليم به من حيث الحق والحقيقة، فصل وسلم رب عليه من حيث حقيقة علمك بذلك، وتحققه لما هناك، اللهم صل وسلم على سراج دينك، وكوكب يقينك، وقمر توحيدك، وشمس مشاهدة إحسانك، فى إيجاد إنسانك، صلاة تصعد بك منك إليك، وتعرف فى الملاء الأعلى أنها

خالصة لديك صلاة مبلغها العلم المحيط بالكل، حقيقة الكل، تتجدد بكلية ذلك الكل، صل وسلم عليه من حيث المقام المختص، تسليما مبلغه ذلك كذلك، والحمد لله على ذلك، والحمد لله على ما منح من الفتح الذى به إِبصار بصائرنا، قد فتح بالصلاة على أشرف موجود، وبه كمل الوجود، وبالله سبحانه وتعالى، التوفيق، وبه نطلب كمال إكمالنا على التحقيق، اللهم بجاه صاحبه الصديق، وبالفاروق الموقن بالتصديق، وبذى النورين، وبخاتم الخلافة ابن عمه على على التحقيق، اللهم اجمعنا بك عليك، وارددنا منك إليك، وأشهدنا إياه فى حضرة جمع الجمع، حيث لا فرقة ولا منع، إنك أنت المانح الفاتح، تمنح من شئت من مواهب ربانيتك، لمن شئت ممن خصصته برهبانيتك، اللهم إنا نسألك أن تحشرنا فى زمرة، وأن تجعلنا من أهل سنته ومحبه، ولا تخالف بنا عن ملته، ولا عن طريقته، واجعلنا من المسلمين والمصلين عليه، إنك سميع الدعاء مجيب لمن دعا، ﴿...أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [٣٧] ﴿ق﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين. انتهت.

وللشيخ نور الدين الشونى، هذه الصلوات الثلاث عشرة جمعها - رضى الله عنه - من مظانها، فأثبتها - هنا - تكميلا للفائدة، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين، إنك حميد مجيد، عدد خلقك، ورضى نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك،

كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، اللهم صل أفضل صلواتك على أفضل مخلوقاتك، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، عدد معلوماتك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، عدد ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وأجر لطفك في أمورنا والمسلمين أجمعين يارب العالمين، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، عدد ما كان وعدد ما يكون، وعدد ما هو كائن في علم الله، اللهم صل وسلم على روح سيدنا محمد في الأرواح، وصل وسلم على جسده في الأجساد، وصل وسلم على قبره في القبور، وصل وسلم على اسمه في الأسماء، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد صاحب العلامة، والغمامة، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، الذي هو أبهى من الشمس والقمر، وصل وسلم على سيدنا محمد، عدد حسنات أبي بكر وعمر، وصل وسلم على سيدنا محمد، عدد نبات الأرض وأوراق الشجر، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد النبي المليح، صاحب المقام الأعلى واللسان الفصيح، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، عبدك الذي جمعت به شتات النفوس، ونبيك الذي جليت به ظلام القلوب، وحبيبك الذي اخترته على كل حبيب، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، الذي جاء بالحق المبين، وأرسلته رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد كما ينبغي لشرف نبوته، وعظيم قدره العظيم، وصل وسلم على سيدنا محمد، حق قدره ومقداره العظيم، وصل وسلم على سيدنا محمد، الرسول الكريم، المطاع الأمين، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الحبيب، وعلى أبيه إبراهيم الخليل، وعلى أخيه موسى الكليم، وعلى روح الله عيسى

الأمين، وعلى عبدك ونيك سليمان، وعلى أبيه داوود، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل طاعتك أجمعين، من أهل السموات وأهل الأرضين، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، اللهم صل وسلم وبارك على عين العناية، وزين القيامة، وكنز الهداية، وطاراز الحلة، عروس المملكة، ولسان الحجة، وشفيع الأمة، وإمام الحضرة، ونبي الرحمة، سيدنا محمد، وعلى آدم، ونوح، وإبراهيم الخليل، وعلى أخيه موسى الكليم، وعلى روح الله عيسى الأمين، وعلى داوود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعلى آلهم، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون. انتهى.

هذه صلوات لبعض الأولياء الأكابر، نفعا الله بهم، وهى خمس الأولى سماها: «بغية القاصد إلى جميع المقاصد»:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، حمدا يوافي نعمه، ويكافى مزيده لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ (٦٩) ومن يطع الله والرسول - إلى عِلِمًا (٧٠) ﴿[النساء]، اللهم صل وسلم أفضل وأجل وأكمل وأنبل وأظهر وأبهر أفضل صلاتك، وأوفى سلامك، صلاة تمتد وتزيد بوابل سحاب جود كرمك، وتنمو وتزكو بنفائس شرائف لطائف جود منك، دائمة بدوامك، باقية ببقائك، لا تنتهى لها دون علمك، ولا تنتهى لعلمك، أزلية بأزليتك لا تزول، أبدية بأبديتك لا تحول، على عبدك ونيك ورسولك سيدنا محمد، إمام حضرتك، ولسان حجتك، وعروس مملكتك، العز الشائع، والنور الساطع، والبرهان القاطع، الرحمة الواسعة، والحضرة الجامعة، نور الأنوار، ومعدن الأسرار، وطاراز حلة الفخار، در صدفة

الوجود، وذخيرة الملك الودود، ومنبع الفضائل والجلود، تاج مملكة التمكين،
 الرؤوف بالمؤمنين، ونعمة الله على الخلائق أجمعين، صلاتك التي صليت
 عليه بما أنعمت، وبفضائلها له أكرمت، وعلى آله وصحبه، ومخزن علمه،
 ونجوم هدايته، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يارب العالمين، صلاة
 تحسن بها أخلاقنا، وتوسع بها أرزاقنا، وتزكى بها أعمالنا، وتغفر بها ذنوبنا،
 وتشرح بها صدورنا، وتطهر بها قلوبنا، وتروح بها أرواحنا، وتقدر بها
 أسرارنا، وتنزه بها أفكارنا، وتصفى بها سرائرنا، وتنور بها بصائرنا، بنور
 الفتح المبين، يا أكرم الأكرمين، يا أرحم الراحمين، صلاة تنجيننا بها من هول
 يوم القيامة ونصبه، وزلاله وتعبه، يا جواد، يا كريم، وتهدينا بها الصراط
 المستقيم، وتجيرنا بها من عذاب الجحيم، وتنعمنا بها بالنعيم المقيم، يارب يا
 الله يا رحمن يا رحيم، نسألك حقيقة الاستقامة في حظائر قدسك، ومقاصر
 أنسك، على أرائك سبحات مشاهدتك، وتحليات منازلتك، والهين بساطعات
 أنوار ذاتك، معطرين بأخلاق حقائق رقائق صفاتك، في مقعد حبيبك
 وخليلك وصفيك الجمال الزاهر، والجلال القاهر، والكمال الفاخر، واسطة
 عقد النبوة، ولجة زخار الكرم والفتوة، سيدنا ونبينا وحيينا وشفيعنا محمد،
 سيد المرسلين، المنزل عليه في الذكر المبين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾
 [الأنبياء]. انتهت.

الثانية سماها «تحفة العارف، لتحصيل المعارف»، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، لا
 إله إلا الله الملك الحق المبين، ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ
 (٥٣)﴾ [آل عمران]، اللهم صل وسلم، أبر وأكرم، وأعلى وأعظم، وأعز

وأرحم، على العز الشامخ، والمجد الباذخ، والنور الطامح، والحق الواضح،
ميم الملك، وحاء الرحمة، وميم الملوك، ودال الهداية، ولام الألفاظ
الخفية، وراء الرأفة الخفية، ونون المنن الوفية، وعين العناية، وكاف الكفاية،
وياء السيادة، ميم العلم، ودال الدلالة، ألف الجبروت، وحاء الرحموت،
وسين السعادة، وقاف القربة، وطاء السلطنة، وهاء العروة، وصاد العصمة،
وعلى آله، جوهر علمه العزيز، وأصحابه من أصبح الدين بهم حرز حريز،
صلاتك المهيمنة بعظمة جلالك المشرفة بجلال جمالك، المكرمة بعظيم
نوالك، دائمة بدوام ملكك لا انتهاء لها، سامية بسمو رفعتك، لا انقضاء
لها، صلاة تفوق وتفضل وتليق بمجد كرمك، وعظيم فضلك، أنت لها أهل،
لا يبلغ كنهها، ولا يقدر قدرها، كما ينبغي لشرف نبوته وعظيم قدره، وهو
لها أهل، صلاة تفرج بها عنا هموم حداث عوارض الاختيار، وتمحو بها
ذنوب وجودنا بماء سماء القربة حيث لا أين ولا بين، ولا جهة ولا قرار،
وتغنينا بها عنا فى غياهب عيون أنوار أحديتك، فلا نشعر بتعاقب الليل
والنهار، وتخولنا بها سماح رباح فتوح حقائق بديع جمال نبيك المختار،
وتلحفنا بها أسرار أنوار ربوبيتك فى مشكاة الزجاجية المحمدية فتضاعف
أنوارها بلا أمد ولا حد ولا انحصار، يارب يا الله، يارب يا الله، يارب يا
الله، يا حى يا قيوم، يا حى يا قيوم، يا حى يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام،
يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الجلال والإكرام، يا أرحم الراحمين، يا أرحم
الراحمين، يا أرحم الراحمين، نسألك بدقائق معانى علوم القرآن المتلازمة
أمواجها فى بحر خزائن علمك المخزون، وبآياته البينات، الزاهرات،
الباهرات، على مظهر إنسان عين شرك المصون، أن تذهب عنا ظلام وحش
الفقد، بنور أنس الوجد، وأن تكسوننا حلل صفات كمال سيدنا محمد - ﷺ

- نور الجلالة، وأن تسقينا من كوثر معرفته رحيق تنسيم شراب الرسالة، الجود الأكرم، والنور الأقدم، والعز الأعظم، محمد ﷺ، المبعوث بالقليل الأقوم، ومنة الله على كل فصيح وأعجم، سيدنا ونبينا وشفيعنا، قطب رحي النبيين، ونقطة دائرة المرسلين، المخاطب في الكتاب المكنون، ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ [القلم]، الموصوف بقولك الكريم، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) [القلم]، والحمد لله رب العالمين. انتهت.

وهذه صلاة ثالثة له، سماها بـ «الفتح المبين، والقبول المكين»، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٢٠) [الفتح]، اللهم صل وسلم وبارك، وكرم، وشرف وعظم، على مولانا وسيدنا محمد النبي الكريم، والرسول العظيم، العليم الخليم، الرؤوف الرحيم، العزيز الحكيم، العروة الوثقى، والصراط المستقيم، العفو الغفور، الشكور الصبور، الودود المجيد، الولي الحميد، النور المبين، وحبل الله المتين، وحرزه الأمين، المنبأ وآدم بين الماء والطين، صل اللهم عليه شرائف صلواتك ونوامي بركاتك، ورأفة تحننك، وفضائل آلائك، وأزكى تحياتك، وأوفى سلامك، حسب قدرك، وسرادق هيبتك، وعظيم شأنك، كما يحسن ويليق بذروة شرفك، وعلو منصبه، حسب قدره وجاهه، وعظيم شأنه، وعلى آله الأقطاب، الأفراد، الأنجاء، السابقين إلى بحبوحه ذلك الجناح، وأصحابه هداة التحقيق، أئمة الصدق والتصديق، الراشدين إلى مدرجة سبيل التوفيق، صلواتك المربوبة بعنايتك، في ضمن محبتك، قبل القبل حين لا قبل، المحفوفة بكرامتك، في نشر سعادتك، بعد البعد حين لا بعد، كما لها

أحبيت وأفضلت، وإليها هديت وأرشدت، وبها أعطيت وأجزيت، وعليها أوجبت وعولت، فلك الحمد بما أنعمت، لا نحصى ثناء عليك، أنت كما أكرمت، صلاة تحل بها العقد، وتفرج بها الكرب، وتزيل بها الهموم، وتبلغ بها العبد ما طلب، صلاة تطفئ بها عنا وهج حر القطيعة، يبرد يقين وصالك، وتلبسنا بها أنوار غرر تبلج رونق مجد جمالك، فى الحضرات العندية، والمشاهد القدسية، منخلعين عن ذوات البشرية، بلطائف العلوم اللدنية وسرائر الأسرار الربانية، وجواهر الحكم الفردانية، وحقائق الصفات الإلهية، وشرائع مكارم الأخلاق المحمدية، يا الله، يا سمیع، يا قريب، يا فتاح، يا وهاب، يا كريم، يا رحیم، وأن تلحقنا بالسابقين، فى حلبة توفيق الفائزين، بالأكملية فى كل خلق أنيق فى الرفیق الأعلى، مع الذين أنعمت عليهم بمواهب أنوار بهائك الأجلی، على بساط صدق المحبة مع الأحبة، محمد ﷺ وحزبه، بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، ونبی رحمتك ونؤنؤ عین مملكتك، السابق للخلق نوره، الرحمة للعالمین ظهوره، روح الحق، وسنة الله على الخلق، تاج العز والكرامة، وشفیع الأمم يوم القيامة، قلب قلب القرآن، وخليل الرحمن، وحبيب الله الملك الديان، المبعوث بالدليل والبرهان، المنعوت فى التوراة والإنجيل، والزبور والفرقان، بسمته وصفته تعزیزا وتوقیرا، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) ودَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) ﴿[الأحزاب]، المنوه بذكره فى السموات والأرضين، إجلالا لحقه وتعظيمًا، وتشريفًا له وتكريما، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) ﴿[الأحزاب]. انتهت.

وهذه صلاة رابعة له، وتسمى «الفتوحات القدسية، والمواهب الوافية،
فى الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البرية»، وتسمى أيضا «مصباح
طريق الهداية، ومفتاح كنز العناية»، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ... (٩)﴾
[الصف] إلى قوله: ﴿...فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)﴾ [الصف]، وهو آخر السورة،
اللهم صل وسلم أفلح وأنجح، وأمنى وأصلح، وأزكى وأربح، وأوفى
وأرجح، وأفضل الصلوات، وأجزل المنن والتحيات، على عبدك ونبيك
ورسولك سيدنا محمد، فلق صبح الأنوار الوجدانية، وطلعة شمس الأسرار
الربانية، وبهجة قمر الحقائق الصمدانية، وعروس حضرة الحضرات
الرحمانية، نور كل رسول وسناه، ﴿يَسَّ (١) وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ (٢)﴾ [يس]،
سر كل نبي وهداه، ﴿...ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦)﴾ [الأنعام]، جوهر عقل
كل ولى وضياه، ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ (٥٨)﴾ [يس]، اللهم صل وسلم
على نبيك سيدنا محمد فى الأنبياء، صلاة مقدسة بسرائر قدسك، رائقة
برقائق أنسك، وعلى اسمه فى الأسماء، موصوفة بصفاتك وأسمائك، وعلى
جسده فى الأجساد، منوطة بنعمائك وآلائك، وعلى قلبه فى القلوب، مروقة
بالعمل واليقين والعرفان، وعلى روحه فى الأرواح، محبرة بالتوفيق الروح
والريحان، وعلى قبره فى القبور، منمقة بالفوز والقبول والرضوان، صلاة
تتضاعف أعدادها بالفضل والمن والإحسان، وتترادف أمدادها بالجود والكرم
والامتنان، لا غاية لها ولا أمد لها، شريفة عن المكان والزمان، صلاتك
المنزهة عن الحدوث والفتور والنقصان، وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة
يا حنان، يا منان، يا رحمن، وعلى آله مصاييح طرق الهداية لسعادة

الدارين، ومفاتيح كنوز الحقائق لذخائر الكونين، وأصحابه نجوم ظلام ليل الجهالة، آمنة الأمة من الشك والشرك، والضلالة، صلاة تصفينا بها من كدر الطبيعة الآدمية، بالسحق والمحق، وتطمس بها آثار وجود الغيرية منا في غيب غيب الهوية، فيبقى الكل للحق، في الحق بالحق، وترقينا بها في معارج شهود وجود ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾ (٥٣) [فصلت]، يارب، يا الله، يا أكرم الأكرمين يا بديع السموات والأرض، يا أرحم الراحمين ﴿... لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) [الأنبياء]، نسألك من فضلك العظيم، يا ذا الفضل العظيم، أن تمنحنا بفضلك العظيم، أنوار علوم الرقائق المحمدية، بدقيق إشارات ﴿... وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١١٣) [النساء] وتخصصنا بكرمك من حضرة الرحمة الشاملة، والنعمة الكاملة النبوية، بإثابة الفتح المبين والفتح القريب والفتح المطلق، فتوح المواهب الأحمدية، بلمحات لحظات خطاب ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ (٣) [المائدة]، وتبيحنا من أرفع المخادع أعلى شرف المجد الأسنى، واجل مراتب القطبية الكبرى، وأكمل الأخلاق العلية العظمى، فى مقام ﴿... قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٩) [النجم]، بواسطة أحمد الثبات ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (١٧) [النجم] يا ذا الكرم العظيم والعطاء الجسيم، والفضل العميم، بحرمة هذا النبى الكريم، صل اللهم عليه وعلى آله وصحبه وسلم، صلاتك وسلامك فى طى علمك الأزلى، وسابق حكمك الأبدى، صلاة لا يضبطها العد، ولا يحصرها الحد، ولا تكيفها العبارة، ولا تحويها الإشارة، صلاة سطع فجرها بحظه الأنفس، ﷺ على أفراد الفحول، فابهت وابهر، ولمع نورها بفيضه الأقدس - ﷺ - على ذوى العقول، فأدهش وحير، سيدنا ونبينا وحبينا وشفيعنا، محمد -

ﷺ، النور الأزهر، مجلى تجلى الذات الأحدية، فى حقائق الصفات
الواحدية، سر سرائر اللاهوت، فى مشارق أنوار الجبروت، المنزل عليه فى
القرآن العظيم، والذكر الحكيم، تثبتا له وتمكينا، وتعلينا له وتبيينا، بسم الله
الرحن الرحيم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١)﴾ [الفتح] - إلى ﴿...عَزِيزًا (٣)﴾ .
انتهت.

وهذه صلاة خامسة له، سماها بـ «الدر الأزهر، والياقوت الأبهى»،

وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ... (٢٨٥)﴾
[البقرة] - إلى آخر السورة، ﴿... يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ...﴾ -
...الْمُتَّصِدِّقِينَ (٨٨)﴾ [يوسف]، وهو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا اللهم صل وسلم، وأتحف وأنعم،
وامنح وأكرم، وأجزل وأعظم أفضل صلواتك، وأوفى سلامك، صلاة
وسلاما، يتنزلان من أفق كنه باطن الذات، إلى سماء مظاهر الأسماء
والصفات، ويرتقيان من سدرة منتهى العارفين، إلى مركز جلال النور المبين،
على مولانا وسيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك، علم يقين العلماء
الربانيين، وعين الخلفاء الصديقين، وحق يقين الأنبياء المكرمين، الذى تاهت
فى أنوار جلاله، أولو العزم من المرسلين، وتحيرت فى درك حقائقه عظماء
الملائكة المهيمين، المنزل عليه فى القرآن العظيم، بلسان عربى مبين، ﴿لَقَدْ مَنَّ
اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)﴾ [آل عمران]، اللهم اجعل
أفضل صلواتك، وأوفى سلامك، وأتمى بركاتك، وأزكى تحياتك ورأفتك
ورحمتك، على النور الأكمل الأعلى، والكمال الأنور الأبهى، مهبط تجليات
كمالات المملكة الإلهية ومواقع نجوم الأسرار الجمالية والجلالية، اللطيف

بلطائف شمائل فضائل مكارم البر الكريم، الرؤوف برأفة رحمة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ
 رَسُولٌ﴾ إلى ﴿رَحِيمٌ (١٢٨)﴾ [التوبة]، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته،
 ورأفته وتحننه، ومغفرته ورضوانه، على مولانا وسيدنا، محمد الأول الآخر،
 الظاهر، الباطن، العزيز بعزة عظمة الله، العظيم، بعظمة عزة الله، القدوس
 بسبحات سبحان الله، المحمود بحامد الحمد لله، الوحدانى بتوحيد لا إله إلا
 الله، الفردانى بمنار الله أكبر، الربانى بتدبير لا حول ولا قوة إلا بالله، صلاة
 عبيرة الند، ساطعة الأنوار، معطرة الوجود بروائح الجود الإلهى الأحمدى،
 والستر القدسى المحمدى، فى عوالم شئون ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
 فَيَكُونُ﴾ [يس]، لا غاية لها دون انتهاء، ولا أمد لها ولا انقضاء،
 صلاتك التى صليت عليه بدوامك، وصل يارب على عبدك ونبيك
 ورسولك، سيدنا محمد المؤمن المهيمن، المطاع الأمين، الحق المبين، رحمة
 العالمين، وقدم صدق المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، غبطة الحق، وعمدة
 الحق، الاسم الأعظم والبر الأرحم، صلاة جلّت عن الحصر والعد، وتعالّت
 عن الدرك والحد، صلاتك التامة التى لا تتناهى، تدوم بدوام ملكك الذى لا
 يضاهى، كما يليق بجود كرمك وكرم جودك، يا جواد يا كريم، وسلم
 تسليما، تسلمنا به من حرج وساوس الصدور، بنفحات بركات بسم الله
 الرحمن الرحيم، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١)﴾ [الشرح]، وتخلصنا بها من ثقل
 أوزارنا، بجود غفران ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣)﴾ [الشرح]،
 وترفعنا به عندك يا رفيع الدرجات، فى أقصى الدرجات درجات ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ
 ذِكْرَكَ (٤)﴾ [الشرح]، وتحلنا به برد الرضى والتسليم بسكينة سكون لا حول
 ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، طيبا يعبق طيبه بقبول رضى ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)﴾ [يونس]،

مباريا تبارك مدده بمدد ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) [الملك]، كثيرا تكاثر خيره بكثير ﴿... لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٢٢) [الشورى]، وترادف بره بمزيد ﴿... لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥) [ق]، وعلى آله ثمرة شجرة النبوة، ومعدن سر الولاية، ومنبع عين الفتوة، سحب سماء مكارمه العميمة، المتحققين بحقائق أخلاقه العظيمة، وأصحابه ضوء شمس صباح الهدى، الأئمة المهتدين بنور قمر الاهتداء، صلاة وسلاما يبلغان قائلهما أعلى درجات خلاصة خاصة أهل الله المقربين، وينيلانه زلفى أجل مراتب أولياء الله المخلصين، بمن ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥) [القصص]، فى المكانة العليا، والغاية القصوى، فوق عرش الاستواء، بتراكم أنوار تمكين، ﴿... إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾ (٥٤) [يوسف]، يارب، يا الله، يا باسط، يا رحيم، يا ودود، نسألك عواطف الكرم وفوائح الجود، أقل عثراتنا من كثائف ذنوب وجودنا، المظلمة بالبعد عنك، واغفر لنا بنور قلبك، ونعمننا بصفاء ودك، وطهرنا من حدث الجهل بالعلم الإلهى، وأتحفنا بالحب الربانى، والوصل المعنوى لمن اصطفيته، حتى أحبيته فكنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ولسانه الذى ينطق به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وأعطنا ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ما أعددت لعبادك الصالحين، الأئمة المرضيين، أولى الاستقامة فى المستوى الأزهى والأفق المبين، ﴿... رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٢٧) [البقرة]، اللهم إنا نسألك ونتوسل إليك، بحبك لحبيبك، وبحب حبيبك لك، وبدنوه منك وبتدليك له، وبالسر الذى بينك وبينه، صل اللهم عليه وعلى آله وصحبه وسلم، صلاة وسلاما خصصته بهما لخصوصيته بما استأثرت له عندك على عالم

الغيب والشهادة بمخاطبتك إياه: ما خلقت خلقا أحب ولا أكرم على منك، وآته الوسيلة والفضيلة، والشرف الأعلى، والدرجة الرفيعة، وابعثه المقام المحمود الذى وعدته، يا أرحم الراحمين، يارب، يا الله، يا بر، يا لطيف، يا كافى، يا حفيظ، يا مغيث، يا واسع العطاء، وسابغ النعم، نسألك بنور وجهك العظيم، المبرة الجامعة، من نور كمال سيدنا محمد - ﷺ - مصطفى عنايتك - أن تتحد ذاتنا بذاته المقدسة بجلالتك، وتحقق صفاتنا بصفاته المشرفة بمحبتك، وتبدل أخلاقنا بأخلاقه المعظمة بكرامتك، فيكون عوضا لنا عنا، فنحيا حياته الطيبة النقية، ونموت موته السوية الرضية، وفى القبر لنا سراجا منيرا وبهجة، وعند اللقاء عدة وبرهانا، وحجة، ﷺ، وأن تحشرنا معه فى زمرة مع آله وخاصته، مزينين بزينة إيمان ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ - إلى ﴿...قَدِيرٌ (٨)﴾ [التحريم]، فى موكب الغر العرانيين السعداء، أهل السعادة، غدا، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ... (٢٩)﴾ [الفتح] إلى آخر السورة، سبحانه ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. انتهت الخمس صلوات البديعة المنزع، الرفيعة المطلع.

وهذه صلاة شريفة لبعض العارفين أيضا، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، بواب حضرتك، وعين عنايتك لخلقك، ورسولك إلى جنك وإنسك، وحدانى الذات، المنزل عليه الآيات الواضحات، ومقيل العثرات، وسيد السادات، ماحى الشرك والضلالات، بالسيف الصادقات، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكرات: الثمل من شراب المشاهدات، سيدنا

محمد خير البريات، ﷺ ما دامت الأرض والسموات، اللهم صل وسلم على من له الأخلاق الرضية، والأوصاف المرضية، والأقوال الشرعية، والأحوال الحقيقية، والعنايات الأزلية، والسعادات الأبدية، والفتوحات المكية، والظهورات المدنية، والكماليات الإلهية، والمعالم الربانية، ووao الهوية، وسر البرية، شفيعنا يوم بعثنا، والمستغفر لنا إلى ربنا، الداعى إليك، والمقتدى به لمن أراد الوصول إليك، الأنيس بك، والمستوحش من غيرك، حتى تمتع من نور ذاتك، فرجع بك لا بغيرك، فشهد وحدتك فى كثرتك، فقلت له بلسان حالك لقوته بكمالك: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، الذاكر لك فى ليلك، والصائم لك فى نهارك، المعروف مع ملائكتك، أنه خير خلقك، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد صاحب الهمم العاليات، والأسرار القدسيات، فافتخرت به الأرض على السموات، القائم بك فى الحركات والسكنات، الصافى من الكدورات، والمعصوم من أحوال البشريات، والهادى إلى الطرقات، قريبا من رب السموات، ملين القلوب القاسيات، وأخصب الفلوات المجذبات، الحجة البالغة، والعزة الطالعة، والشمس الواضحة، سيدنا محمد، النبى الأمى، الطاهر الزكى، المزكى به الأعمال الصالحات، والمغطى به الذنوب الكاشفات، محمود الحركة، ومحل البركة، سيدنا محمد منبع الخيرات، ومجلى القلوب الصاديات، المتحلى بالصفات الربانيات، الجالس على بساط المشاهدات، والغائب عن الحس والمحسوسات فى عالم الشهادات، وكافى الأمة من العقوبات وشفيع الأمم، وقربت لنا الأشياء المبعدات، وناجيته فى الليالى المظلمات، يوم المضيقات، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين المطهرين، العالمين المعلمين، المتأهبين إلى لقاءك يارب العالمين،

اللهم صل وسلم على نبيك العظيم، ورسولك المبين، المنبأ وآدم بين الماء والطين، وبؤبؤ وجود الأنبياء والمرسلين، القائم على الصراط المستقيم، هاء العروة، وميم المروة، وحاء المحبة، ودال المودة وكاف الكفاية، شافى السقيم ومغنى العديم، الآية العظمى، والسر المكنى، والقريب المدنى، متخلقا بأسمائك الحسنى، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم]، وخاطبته بلا حجاب، وكلمته بلا عتاب، وصفيت له الشراب، ورددته إلى موطن البلاد، ففرحت به أنفوس العباد، فأصبحت الكائنات مسفرات، والأشجار مثمرات، والكل فى الرحمات المحمديات، فأبصرت به العيون المعلمات، وأعتقت به الرقاب الموبقات، وقربت لنا الأشياء المبعدات، وأجبتة فى الليالى المظلمات وهديتنا من الضلالات، وعرفتنا إياك بظهور أحمد الثبات، وأعطيته الكرامات الباهرات، ونورت به كون الكائنات، فلك الحمد يارب البريات، على عطايك الجزيلات، لا نحصى ثناء عليك أنت العارف لنفسك بنفسك، والدال على نفسك بلطفك، ونحن الراجون لعفوك، وأنت الراحم بفضلك، فنسألك يا الله المشاهدات، فى الحضرات القدسيات، ولذيد خطابك فى الليالى المظلمات، والغيبوبة بك عن شهوات البشريات، والموت للنفوس الفرعونيات، واللفظ منك فى البحار اللجيات، والغرق بك فى البحار النوريات، يا مجيب الدعوات، اعصمنا من الجرم والمحرمات، ورضنا بالأشياء المقدرات، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، وروح أرواح عبادك، الدرة الفاخرة، والرحمة السابعة، والنعمة النافعة، بؤبؤ الموجودات، وحاء الرحمات، وجيم الدرجات، وسين السعادات، ونون العناية وكمال الكليات، ومنشأ الأزليات، وختم الأبديات، المشغول بك عن الأشياء الدنيويات، الطاعم من المشاهدات،

والمسقى من الأسرار القدسيات، والعالم بالماضى والمستقبلات، سيدنا محمد - ﷺ - وعلى آله الأخيار، وأصحابه الأبرار، اللهم صل وسلم على الجامع الأكمل، والقطب الأفضل، طراز حلة الإيمان، ومعدن الجود والإحسان، صاحب الهمة السماوية، والعلوم الدنية، اللهم صل وسلم على من خلقت الوجود من أجله، ورخصت لنا الأشياء بسببه، محمد المحمود، صاحب المكارم والجود، اللهم صل وسلم على من خلقت من نورك، وجعلت كلامه من كلامك، وفضلته على أنبيائك وأوليائك، وجعلت السقاية منك إليه ومنه إليهم، كمال كل ولى لك، وهادى كل مضل عنك، داعى الخلق، إلى الحق، تارك الأشياء لأجلك، ومعد الخيرات بفضلك - وخاطبته على بساط قربك: ﴿... وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣)﴾ [النساء]، القائم لك فى ضيائك، والهائم بك فى جلالك، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك، المفتخر بجلالك، والمتكلم بصفاتك، الدال على رحمتك، والمترفع إلى أعلى سمواتك، والمنغمس فى أسرار أسرار تجليات، السابق للخلق نوره، والرحمة للعالمين ظهوره، صل اللهم عليه وعلى آله وأصحابه الأقطاب، السابقين إلى حانات ذلك الجنب، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، الذى سخرت له الأكوان، وشهدت برسالته الجمادات والحيوان، ونباته فى السر والإعلان وخاطبته بقولك البرهان ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤)﴾ [الإسراء]، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، النور البهى، والبيان الجلى، واللسان العربى، والدين الحنفى، الرحمة للعالمين، والمؤيد بالروح الأمين، والكتاب المبين، وخاتم النبيئين، ورحمة الله للخلائق أجمعين، اللهم صل وسلم على من أعطيته حتى رضى، وأحييت به الملاء الدنى والعالى، وأغنيت به المرضى، وجعلت نبوءته سناء فى سنى، ولولاه لم

يكن فقير ولا غنى، اللهم صل وسلم على نبيك، الخليفة فى خلقك المشتغل
 بذكرك، المفكر فى خلقك، والأمين لسرك، والبرهان لرسلك، الحاضر فى
 سرائر قدسك، والمشاهد إلى جلال جلالك، سيدنا محمد المفسر آياتك،
 والظاهر فى ملكك، والنائب فى ملكوتك، والمتخلق بصفاتك، والداعى إلى
 جبروتك، الحضرة الرحمانية والبرزة الجلالية، والسرائر الجمالية، العرش
 التقى والحبيب النبوى، والنور الزهى، والدر النقى، والصاح القوى، صل
 اللهم عليه وعلى آله وأصحابه، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم،
 إنك حميد مجيد، اللهم صل وسلم على أرحم الناس قلبا، وأعلمهم بك
 علما، الزاهد فيما زهدته، والتابع لما قلته فيما سطرته: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنِيَ إِلَى﴾
 إلى ﴿وَأَبْقِ﴾ [الحجر]، فبقى بقائك، ورضى بقضائك، صل اللهم وسلم
 على البشير النذير، الشفيق الرفيق، ريحانه الحضرات، ومجلى تجلى الذات،
 وخير المخلوقات، المؤدب بالآيات، الصادق فى التلفظات، الدانى إلى
 الرحمت، والهادى إلى الطرقات، والموصوف بالأسماء والصفات، وخير من
 خلقت يارب البريات، اللهم صل على نورك التمام، ونبيك الرعام، من غير
 حلول ولا ازدحام، بل تجليا لكونه واسطة الأنام، ونور الظلام لإبراز المرام،
 وعبدك الديان، ورسولك البرهان، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد،
 نبيك المختار وحبيبك الستار، ونورك المدرار، الذى تحير فى إدراكه ذوو
 الأبرار، جوال الأفكار، وجوهري الأذكار، وأمين الأسرار، وعبدك الغفار،
 المترقى إلى أعلى الأنوار، سيدنا محمد، صل اللهم عليه يارب العالمين، يا
 أرحم الراحمين، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الذى أعطيته وكرمته،
 وفضلته ونصرته، وأغنيته وقربته، وأدنيته وسقيته، ونورته وطهرته، بنورك
 الأقدس، ومالاته بعلمك الأنفس، وبسطته بحبك الأطرس، وزينته بقولك

الأقدس، فجر الأفلاق، وعذب خلق الأخلاق، نورك المبين، وعبدك القديم،
وحبك المتين، وحصنك الحصين، وفتحك المبين، وجلالك الحليم وجمالك
الكريم، صل اللهم عليه وسلم، وعلى آله مصابيح الوجود، وكمال السعود،
المطهرين من العيوب، اللهم صل وسلم على اسمك الأعظم، ونبيك الأكرم،
وعبدك الأفخم، المبدأ من نورك الأفخم، حيث لا آخر ولا متقدم، النور
المتزكى الأزهى، والسيد المعطى، والكنز الأبقى، والورد الأشهى، والسيف
المحلى، سيدنا محمد، صل اللهم عليه وسلم يارب العالمين، اللهم صل
وسلم على نورك الأزلى، وظهورك الأبدى، سيدنا محمد، بحر العلوم ونور
العيون، وزين الشئون، وعين العيون، وبحر النجوم، وفرش العلوم، سيدنا
محمد، الحميد فى الحركات، عبدك ونبيك ورسولك، سيدنا محمد، صل
اللهم عليه صلاة تحل بها العقد، وسلم عليه سلاما يكون به السداد، وترويحاً
تنفك به الكرب، وترحماً تزيل به العطب، وتكويناً تقضى به الأرب، يارب
يا الله، يا حى، يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا كريم نسألك ذلك من
فضائل لطفك، ومن غرائب فعلك، يا كريم، اللهم صل وسلم على سيدنا
ومولانا، وبغيتنا ومقصدنا، الداعى إلى جنابك، الواعى لكلامك، اللهم صل
وسلم على روح سيدنا محمد فى الأرواح، وعلى جسده فى الأجساد، وعلى
قبره فى القبور، وعلى منظره فى المناظر، وعلى سمعه فى المسامع، وعلى
حركاته فى الحركات، وعلى سكونه الأزهر، فى قيامه الأقمَر، وعلى لسانه
الأعذب، إنشاء سر الأزلى، والختم الأبدى، وصل اللهم عليه وعلى آله عدد
ما علمت، وزنة ما عملت وملء ما علمت، اللهم يارب، يا كريم، يا رحمن
يا رحيم، نسألك أن تصلى على سيدنا محمد كما أمرت الأولين، وصل
وسلم عليه كما أمرت الآخرين، وفرضتها على العالمين، وقلت وقولك

العظيم: تنبيها لأئمة على فضله العظيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك، ورسولك إلى خلقك، وكان قائما بالعبودية، تاركا للربوبية، بواب حضرتك القدسية، ومعدن سرائر الربانية، نبيك العظيم، ورسولك الكريم، سيدنا محمد بنى الرحمة، وشفيع الأمة، مفتاح القلوب الصادية، ومنبع الفضائل الباهرة، صاحب المكارم الخارقة، مصباح الدارين، ونبي الحرمين، وسر الكونين، راية الإسلام، وحبيب الرحمن، ورسول الملك الديان، المبعوث بالبرهان، المتوج بنور الإيمان، قوام الهمة، المنجى من الظلمة، فلك الحمد بما أعطيتنا، ولك الشكر بما خصصتنا، اللهم إنا نتوسل إليك بالحرف الجامع لمعانى كمالك، نسألك إياك بك أن ترينا وجه نبينا، وأن تمحو عنا وجود ذنوبنا بمشاهدة جلالك، وتغنينا عنا فى بحار أنوارك معصومين من الشواغل الدنيوية، راغبين إليك، غائبين فيك، يا الله، يا هو، يا الله يا هو، يا الله يا هو، أنت الله لا غير، اسقنا من شراب محبتك، واغمسنا فى بحار أحديثك، حتى نرسى فى بحبوح حضرتك، وتقطع عنا أوهام خليقتك بفضلك ورحمتك، ونورنا بنور طاعتك، واهدنا ولا تضلنا، وأبصرنا بعيوبنا عن عيوب غيرنا، بحرمة نبينا وسيدنا محمد، صل اللهم عليه وعلى آله مصاييح الوجود، وأهل الشهود، يا أرحم الراحمين، نسألك أن تلحقنا بهم، وتمنحنا بحبهم، يا الله، يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام ﴿... رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ﴿... وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وهب لنا معرفة نافعة، إنك على ما تشاء قدير، يارب العالمين، يا رحمن، يا رحيم، نسألك أن ترزقنا وجه نبينا فى منامنا، وأن تصلى وتسلم على خيرنا وكلنا.

انتهى ما ألفيته وكتبته رجاء البركة من أصل فيه تصحيف حتى يفيض الله ما نصحه منه، لأننى كتبته من خط بعض الأكابر كما ألفيته، ولم أقصد بذلك سوى البركة بالمقول فيه والقائل، والأعمال بالنيات، والله يبلغ الأمنيات.

وهذه صلوات لبعض العارفين أيضا:

الأولى: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل صلاة ذاتك، على حضرة صفاتك، الجامع لكل الكمال، المتصف بصفة الجلال والجمال، من تنزه فى المخلوقين عن المثال، ينبوع المعارف الربانية، وحيطه الأسرار الإلهية، غاية منتهى السائرين، ودليل كل حائر من السالكين، محمد الأوصاف والذات، وأحمد من مضى ومن هو آت، وسلم عليه سلاما بدايته الأزل، وغايته الأبد، حتى لا يحصره عدد، ولا ينهيه أمد، وارض عن قوامه فى الشريعة والحقيقة، من الأصحاب والعلماء وأهل الطريقة، واجعلنا يارب منهم حقيقة، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الثانية: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، الأمين على الغيب، ماحى الشك والريب، المؤمن من العذاب، والأمنة للأصحاب، والمؤمن بما أنزلت عليه من الكتاب، صلاة دائمة بدوام ملكك، باقية ببقاء وجهك، وسلم تسليما كثيرا، اللهم إنك تعلم أن لا وصلة بينى وبينك إلا هو، ولا شفيع عندك سواه، ولا دليل عليك غيره، اللهم بجاهه لديك، أمن خوفى، وأقل عثرتى، وتولنى بعنايتك، وحببنى إلى خلقك، واكفنى بالنور والبهاء، وامح من قلبى ظلمة السوى، واغننى بك غناء الأبد، وابق على وجودى عن شهودى، واجعلنى من أخص

أولياؤك، وأوحد أصفياؤك، واهدني لأعظم الخلق وأحبه وأطهره وأرضاه، خلقتك الذى حليت به حبيبك وخليلك، الذى اصطفيته لنفسك، واخترتة لحضرة قدسك، وجعلته محمدا فى خلقتك، اللهم اشهدنى هويتى فى عين هويته، وأرنى إياى بك، وقدسنى عنى بك، أنت مجيب الدعوات، وموجد الأرضين والسموات، رب هب لى من كمالك، ما يجبر نقصى، وكن أنت كافى وحسبى، يا ودود، يا جواد، أحننى وأعنى ما ابتليتنى، وطهرنى من رجس طبيعة نفسى، ووفر حظى مما قسمته لأولياؤك من إرث نبوى، وفيض ملكوتى غيبى، وسر إلهى قدسى، واجعلنى من أخص اتباع نبيك، سيدنا محمد، صل اللهم عليه وعلى آله وصحبه، صلاة وسلاما ترضيك وترضيه، وترضى بها عنا يارب العالمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الثالثة: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم أفضل الصلاة وأكملها، وأنبلها وأجملها، وأشرفها وأطيبها، وأزكاها وأنماها، وأتمها وأعمها، وأبركها، وأظمها، وأجلها، وأبهاها، وأنهاها وأعلاها، على أفضل الخلق، سيدنا محمد، عبدك ونبيك، ورسولك النبى الأمى، وعلى آله وأصحابه، وأزواجه، وذريته وأهل بيته، كما هو أهله ومستوجه، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، صلاة دائمة بدوامك، باقية ببقائك، لا نفاد لها دون علمك، عدد معلوماتك، وزنة معلوماتك، وملء معلوماتك، ومداد كلماتك، فى كل لحظة ولمحة، من الأزل إلى الأبد، وكلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، واجزه عنا ما هو أهله، وصل على جميع الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين، وعبادك الصالحين،

وعلينا معهم كذلك، والحمد لله على ذلك، ورضى الله عن سادتنا أصحاب سيدنا رسول الله أجمعين.

الرابعة: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، روح الوجود، أوله وآخره، وظاهره وباطنه، أعلاه وأسفله، جوهرة وبسيطة ومركبة، صلاتك التي صليت عليه في حضرتك من حيث أنت، أنت أنت، ومن حيث هو، هو، هو، حيث لا عين ولا أين، ولا قبل ولا بعد، في غيب غيب الهوية، وطمس آثار البشرية، اللهم روحنا بحقيقته وزين ظواهرنا بشريعته، صل اللهم عليه، وعلى آله وصحابه.

الخامسة: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، صلاة تنزل من الحضرة الذاتية، إلى الحضرة الصفاتية، إلى الحضرة الفعلية، إلى الحضرة الملكوتية، إلى الحضرة الملكية، فيندرج ذلك في ذلك، فنكون كما كنا، وتكون كما كنت، كما كنت، كما كنت، يارب العالمين. انتهت.

وهذه صلاة لبعض العارفين، تلوح أنوار القبول على صفحاتنا، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ...﴾ (٦٩) ﴿إِلَى...عَلِيمًا﴾ (٧٠) [النساء]. الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه بجميع محامده كلها، أولها وآخرها، وظاهرها وباطنها، عدد نعماء الله كلها، ما علمنا منها وما لم نعلم، وعدد خلق الله كلهم ما علمنا وما لم نعلم وعدد ما حمد به الحامدون من الملائكة والمقرئين والنبئين والمرسلين، والصديقين والشهداء والصالحين، حمدا مضاعفا في مثله وأمثاله، وأمثال أمثاله، يدوم بدوام ملك الله الواحد القهار، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، عبدك ورسولك، النبی الأمی، وعلى آله وأصحابه

وأهل بيته، أفضل صلاة وأزكى سلام، وأتمى بركة، فى الأولين والآخرين،
وفى المآل الأعلى إلى يوم الدين، اللهم اجعل أفضل صلواتك، وأوفى
سلامك، وأتمى بركاتك، وأزكى تحياتك ورأفتك ورحمتك، على سيدنا
ومولانا محمد، عبدك ورسولك، النبى الأمى، وعلى آله وأصحابه، أهل
بيته، أفضل صلاة، وأزكى سلام، وأتمى بركة، وأقر عينه فى أهل بيته،
وأصحابه وأمته.

اللهم افتق رتقنا بكوثر يقين معين ماء محبته، وانشر علينا فى جمعنا
وفرقنا فى كل وقت ونفس رايات هدايته، وهب لنا عقلا نسمع منك، ونفهم
آياتك وكلام رسولك، من العقل الذى خصصت به أنبيائك ورسلك
والصديقين من عبادك، واهدنا بنورك، هداية المخصوصين بمشيئتك، ووسع
لنا فى النور توسعة كاملة، تخلصنا بها برحمتك، فإن الهدى هداك، وإن
الفضل بيدك، تؤتیه من تشاء، وأنت ذو الفضل العظيم، وأنت أرحم
الراحمين، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، عبدك النبى
الأمى، وعلى آله وأصحابه وأهل بيته، أفضل صلاة، وأزكى سلام، وأتمى
بركة، بعدد كل حرف جرى به القلم، واجزه عنا يارب ما هو أهله، واجزه
عنا أفضل ما جازيت رسولا عن أمته، ونبيا عن قومه، وارحمنا به رحمة
شاملة، كاملة، كافة، وحقق لنا الولاء منه باتباعه، وخذ بنواصينا إلى من
هديه، واقتفاء آثاره، واجمعنا به حالا ومآلا، بفضلك وكرمك، يا ذا الفضل
العظيم، يا جواد يا كريم. اللهم اجعل أفضل صلواتك، وأتحفها وأنعمها،
وأكرمها وأجلها، وأجملها، وأكملها، وأجزلها وأوفاهها، وأرجحها وأنجحها،
وأفلحها وأربحها، وأزكاها وأسناها، وأعلاها، وأغلاها، وأولاها وأتمها

وأرضاهما، على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك، النبي الأُمى، وعلى آله وأصحابه وأهل بيته، أفضل صلاة وأزكى سلام، وأتمى بركة، صلاة متصلة، أبدية سرمدية فى كل وقت وحين، عدد ما كان، وعدد ما يكون، وعدد ما هو كائن فى علمك، وعدد مواهبك له، ومراحمك عليه، ومباركك لديه، فى الآزال، والآباد، وارعنا برعايته، وارحمنا بحمايته، وتولنا بولايته، وأمدنا بالإقبال منك عليك بتوليك له، وقربنا وأقرب بنا، بتقريبك له وقربك منه، وارض عنا برضاك، وشفعه فينا بقبولك لشفاعته، وهب لنا منك الحظ الأوفر، فإنك قلت وقولك الحق «واسألوا الله من فضله» بحق من أنعمت عليهم، وقلت فى حقهم «ذلك الفضل من الله، وكفى بالله عليمًا»، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك، النبي الأُمى، وعلى آله وأصحابه، وأهل بيته، أفضل صلاة، وأزكى سلام، وأتمى بركة، عدد ما جرى به قلمك، ونفذ به حكمك، وأحاط به علمك، وعدد نعمائك، وإفضالك وآلائك، وعدد كلماتك التامات، وعدد ذوات مثاقيل جميع الكائنات، فى الليل والنهار، والعشى والإبكار، على مر الدهور والأعصار.

اللهم احفظنا واسترنا وانصرنا به فى الحركات والسكنات، وفى جميع الأوقات، واستهلك كثرتنا فى مرادك، وفرقنا فى ودادك، اللهم بحرمة سيدنا محمد، السيد الكامل، الفاتح الخاتم، أجلسنا على بساط القرب منك، بالقناعة عن غيرك، والبقاء بنورك، وهيمنا فى برزخ الصنع، ناظرين بك إليك ومنك، لا إلى غيرك، إنك على كل شىء قدير. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، عبدك ورسولك، النبي الأُمى، وعلى آله

وأصحابه، وأهل بيته، أفضل صلاة، وأزكى سلام، وأسمى بركة، صلاة تستغرق العد وتحيط بالحد، وتنمو وتزكو بنفائس شرائف لطائف جودك وكرمك، صلاة تفوق وتفضل صلوات المصلين عليه من أهل السموات وأهل الأرضين أجمعين، دارة عليه وعليهم بمراحمك، وعطفك ولطفك أضعافا مضاعفة، مستهلكة كثرات الأعداد، بالعطف واللفظ، والفضل والإحسان، صلاة تبلغنا بها من كل أكمل الرضى، رضاك عنا يا أهل التقوى والمغفرة والرحمة والرضوان، وتطهرنا بها من كل دنس ورين، وسرا وعلائية، وتمحو بها الأين والبين، وتعصمنا بها من الزلل، فى القول والنية والعمل، وتنور بها أسماعنا وأبصارنا، وألسنتنا وعقولنا، وقلوبنا وأرواحنا وأسرارنا، وتغنينا بها عنا فى غيب غب الهوية، الأحمدية والمحمدية، وتمنحنا بذلك إقرار القرار، فإنه الحبل المتين، والنور المبين، وقدم صدق المؤمنين، ورحمة العالمين، وقائد الغر المحجلين، والنجم الثاقب، ونعمتك التى لا تحصى، والعروة الوثقى، والصراط المستقيم، اللهم اغمسنا فى فضله بفضله، واجعلنا من أهله يا حنان، يا منان، يا رحمن، ﴿... رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة] اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك، النبى الأمى، وعلى آله وأصحابه، وأهل بيته، أفضل صلاة، وأزكى سلام، وأسمى بركة، عدد خلقك، ورضى نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، ومنتهى رحمتك، ومبلغ رضاك، صلاة دائمة بدوامك، باقية ببقائك، لا تنتهى لها دون علمك، ولا تنتهى لعلمك، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يارب العالمين، عدد الشفع والوتر، وعدد السحاب والقطر، وعدد ذرات البر والبحر، أبد الآبدين، ودهر الداهرين، سرمد فى سرمد، يارب، يا الله، يا حى يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام يا بديع

السموات والأرضين، يا أرحم الراحمين، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك، النبي الأُمى، وعلى آله وأصحابه وأهل بيته، أفضل صلاة، وأزكى سلام، وأتمى بركة، صلاة تلحقنا بها بخلاصة خاصة أهل محبتك، وتملأنا بها بحبك وحب نبيك، سيدنا محمد ﷺ، واجعله أحب إلينا من أسمعنا وأبصارنا، وعقولنا وقلوبنا وأرواحنا وأسرارنا، وعجل بنا بالحب منك إليك - رب - لترضى، وافتنا فى المحبة كلا وبعضا، واجعلنا لما تنزل من سماء القربة من الماء الطاهر أرضا، وأحيانا به حياة طيبة، مستعملين بذلك وأنت العامل على الحقيقة نفلا وفرضا، والحمد لله مظهر كل وجود، حمدا طيبا مباركا فيه، غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا، حمدا يستهلك ذوات موجودات، الوجد، حمدا يوافى نعمه، ويكافى مزيده، حمدا به منه إليه، مطلقا من جميع القيود، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، كنز اختصنا به من خزائن الغيب والوجود، يستنزل بها كل خير، ويدفع بها كل شر، ويفتق بها كل رتق مسدود، فإنه هو الموجد لكل شىء، وفى كل شىء هو المأمول والمقصود، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فى كل أمر نزل أو هو نازل، وفى كل حال ومقام خاطر، ووارد ومصدر وورود، سبحانه ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. انتهى ما نقلته من بعض مجاميع، وفيه بعض تصحيف، ولم أجد غيره فى الحال، وسأبحث عما يصحح به فى مظانه - إن شاء الله - والله ولى التوفيق.

وهذه ثلاث صيغ فى الصلاة على سيدنا محمد ﷺ، لشيخ شيوخوا، قطب الوجود، وشمس دائرة الشهود، الإمام المعظم، والعارف المقدم، سيدى أبو عبد الله محمد بن سيدى أبى الحسن البكرى الصديقى - نفعنا الله به وبسلفه الكريم.

الصيغة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، اللهم صل وسلم على نورك
الأسنى، وسرك الأبهى، وحبيبك الأعلى، وصفيك الأزكى، واسطة أهل
الحب، وقبلة أهل القرب، روح المشاهد الملكوتية، ولوح الأسرار القيومية،
ترجمان الأزل والأبد، لسان الغيب الذى لا يحيط به أحد، صورة الحقيقة
الفردانية، وحقيقة الصورة المزينة بالأنوار الرحمانية، إنسان الله، المختص
بالعبارة عنه، سر قابلية التهيؤ الإمكانى المتلقية منه، أحمد من حمد، وحمد
عند ربه، محمد الباطن والظاهر، بتفعيل التكميل الذاتى فى مراتب قربه،
غاية طرف الدورة النبوية المتصلة بالأول نظرا وإمدادا، بداية نقطة الانفعال
الوجودى، إرشادا وإسعادا، أمين الله على سر الألوهية المطلسم، وحفيظه
على غيب اللاهوتية المكتم، من لا تدرك العقول الكاملة منه، إلا مقدار ما
تقوم عليها به حجته الباهرة، ولا تعرف النفوس العرشية من حقيقته إلا ما
يتعرف لها به من لوازم أنواره الزاهرة، منتهى همم القديسين، وقد بدأوا مما
فى عالم الطبائع، مرمى أبصار الموحدين، وقد طمحت لمشاهد السر الجامع،
من لا تجلى أشعة الله لقلب، إلا من مرآة سره، وهى النور المطلق، ولا تتلى
مزاميره على لسان، إلا برنات ذكره، وهو الوتر الشفعى، المحقق المحكوم
بالجهل على كل من ادعى معرفة الله، مجردة فى نفس الأمر عن نفسه
المحمدى، الفرع الحدثانى، المتزعزع فى غمائه بما يمد به كل أصل أبدى، جنى
شجرة القدم، خلاصة نستختى الوجود والعدم، عبد الله، ونعم العبد، الذى
به كمال الكمال، وعابد الله بالله، بلا اتحاد ولا حلول، ولا اتصال ولا
انفصال، الداعى إلى الله على صراط مستقيم، نبي الأنبياء، وممد الرسل،

عليه بالذات، وعليهم منه أفضل الصلاة، وأشرف التسليم، يا الله، يا
رحمن، يا رحيم.

الصيغة الثانية:

اللهم صل وسلم على جمال التجليات الاختصاصية، وجلال التدليات
الاصطفائية، الباطن بك غيابات العز الأكبر، الظاهر بنورك فى مشارق المجد
الأفخر، عزيز الحضرة الصمدية وسلطان المملكة الأحدية، عبدك من حيث
أنت، كما هو عبدك من حيث كافة أسمائك وصفاتك مستوى تجلى عظمتك
وعلمك، ورحمتك وحكمك، فى جميع مخلوقاتك، من كحلت بنور
قدسك مقلته فرأى ذاتك العليا جهارا، وسترت عن كل أحد من خلقك فى
باطنه لك أسراراً، وفلقت بكلمة خصوصيته المحمدية، بحار الجمع، ومتعت
منه بمعرفتك وجمالك، وخطابك القلب والبصر والسمع، وأخرت عن مقامه
تأخيراً ذاتيا كل أحد، وجعلته بحكم أحديتك وتر العدد، لواء عزتك الخافق،
لسان حكمتك، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وشيعته ووارثيه وحزبه، يا
الله، يا رحمن، يا رحيم.

الصيغة الثالثة:

اللهم صل وسلم على دائرة الإحاطة العظمى، ومركز محيط الفلك
الأسمى، عبدك المختص من علومك، بما لم تهىء له أحدا من عبادك،
سلطان ممالك العزة بك، فى كافة بلادك، بحر أسرارك، الذى تلاطمت بريح
التعين الصمدانى أمواجه، قائد جيش النبوة، الذى تسارعت بك إليك
أفواجه، خليفتك على كافة خليقتك، أمينك على جميع بريتك، من غاية
المجد المجيد، فى الثناء عليه الاعتراف بالعجز عن اكتناه صفاته ونهاية البليغ

المبالغ أن لا يصل إلى مبالغ الحمد على مكارم وهباته، سيدنا وسيد كل من لك عليه سيادة، محمدك الذى استوجب من الحمد بك لك إصداره وإيراده، وعلى آله الكرام، وصحبه العظام، ووراثه الفخام، الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى - سبعا، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢) [الصفات]. انتهى.

أقول: هذا الإمام البكرى، له الباع المديد فى التعبير عما حصل له به الذوق، وله فى الجنب النبوى أمداح تدل على ما له من حب فيه وشوق، ولولا الإطالة لذكرت شيئاً من كلامه فى هذا الباب، وإن كان نقطة من بحره العباب، ولنذكر قصيدته الشهيرة، وهى مما يتوسل به لقضاء الحوائج - بعد الصلاة على النبى ﷺ - فى خلوة، وهى هذه، وأرويها عن الأديب الرحالة، الحافظ ابن بطوطة زمانه، سيدى محمد بن رأس العين - حفظه الله - عن ناظمها سيدى محمد البكرى - نفعنى الله به.

ما أرسل الرحمن أو يرسل	من رحمة تصعد أو تنزل
فى ملكوت الله أو ملكه	من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده	نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها واصل لها	يعلم هذا كل من يعقل
فلذبه فى كل ما يرتجى	فهو شفيع دائماً يقبل
وعذبه من كل ما تخشى	فإنه المأمن والمعقل
وحط أحمال الرجا عنده	فإنه المرجع والموئل
وناده إن أزمة أنشبت	أظفارها واستحكم العضل

يا أكرم الخلق على ربه	وخير من فيهم به يسأل
قد مسنى الكرب وكم مرة	فرجت كربا بعضه يذهل
ولن ترى أعجز منى فما	لشدة أقوى ولا أحمل
فبالذى خصك بين الورى	برتبة عنها العلى ينزل
عجل بإذهاب الذى اشتكى	وإن توقفت فمن أسأل؟
فحيلتى ضاعت وصبرى انقضى	ولست أدرى ما الذى أفعل؟
وأنت باب الله أى امرئ	أتاه من غيرك لا يدخل
صلى عليك الله ما صافحت	زهر الروابى نسمة شمأل
مسلم ما فاح عطر الحمى	فطاب منه الند والمندل
والآل والأصحاب ما غردت	ساجعة أملودها مخضل

المدد يا رسول الله، المدد يا رسول الله، المدد يا رسول الله!

وحدثنى الرحالة ابن رأس العين المذكور، أنه أخذها عن ناظمها من لفظه، قال:

وسمعتة يقول فى آخرها: وصل وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين.

قال: وسمعتة مرة يقرأها حتى بلغ قوله:

يا أكرم الخلق على ربه - البيت كرره ثلاثا، ثم قرأ بعده: قد مسنى الفقر - البيت أعنى أنه بدل لفظ الكرب بالفقر، ثم أعاد بالضر، ثم أعاد الثالثة، فذكره بلفظ الكرب - كما هو فى أصل القصيدة. وقال لى المذكور:

سمعت الشيخ - رضى الله عنه - يكرر قوله: صلى عليك الله - البيت، ثلاث مرات، قال: وكرر قوله: عجل بإذهاب الذى اشتكى - البيت، مع البيت الذى قبله، وهو قوله: فبالذى خصك ثلاثا - أعنى أنه كرر البيتين ثلاث مرات، ومسح بيديه على موضع الألم. وكان سبب إنشائها، أنه كان - رضى الله عنه - رمدا، فقالها فبرئ، قال وهى مجربة لذهاب الضر، فمن كان به ضر فليقرأها ويمسح الضر بعد قوله: فبالذى خصك بين الورى - البيتين، بعد أن يكررها ثلاثا، وحينئذ يمسح على موضع الشكوى - كما فعل الشيخ - رضى الله عنه؟ انتهى ما أخبرنى به الأديب ابن رأس العين - حفظه الله.

وتذكرت هنا ما كتب به الشيخ البكرى المذكور لقاضى مكة المشرفة، السيد محمد بن السيد حسن أفندى - رحم الله الجميع -، ونصه:

حمدا لمن جعل من طوابع التجلى النبوى، فى مطالع التحلى العلوى، سعودا، ورقى درارى ذرارى، صاحب الرسالة، فى معارج عز البسالة، صعودا، فأنجز للدهر، بعلماء عترة من نزل عليه سورة العصر، وعودا، وألمع من خلال حبك سماء الجمال المحمدى، كما أسمع من خلال سحب فلك الجلال الأحمدى، بروقا ورعودا، وشهادة للحق سبحانه بأنه الإله الحق الذى لم يزل إلها وترا صمدا معبودا، ولمحمد عبده ورسوله، بأنه الذى أعجز عن الإحاطة بكنه مقامه عقولا ونقولا ورسوما وحدودا، وصلاة وسلاما عليه وعلى آله وصحبه الذى جعل الله حوض معارفهم، مترعا مورودا آمين.

وبعد، فقد تمتع ناظرى، وتروح خاطرى، برقيم أرسلته يا علامة العلماء إلى، ومثال كأنما ألقى من سدرة المنتهى على، ولا بدع فقد علم الله

ما كان بينى وبين المرحوك المغفور مولانا والدكم من تراضع كئوس الفضل عند ذلك البيت الأكرم، والحجر الأسحم، والحجر والخطيم وزمزم، والحمد لله الذى أطلعك من فلك المقام سراجا وقمرا منيرا، وجعلك لأبناء الفضائل حيث حلوا عاضدا ونصيرا، ثم لا أقدر أن أصف طيب ما أرسلته إليك الآن من تحية عطر طيبها الملوان، ولا أكتفى أن أقول تنافح رضوان، وخزان الجنان، والخور الولدان، والرفاف والعبرى الحسان، وإنما أقول: أرجو أن تكون نفسا من أنفاس الرحمن، على ما يليق بعظمة ذلك الشأن، ثم لله الحمد أن أبرز فى أواخر هذا القرن العاشر، خبيئة عنايته لعباده، وأهل سحابة رحمته لعباده، وأظهر من وراء أستار الغيب كافيا كافلا، وعزا للإسلام وأهله كافلا، وذلك مولانا المقام العالى، إبراهيم باشا - بلغه الله من أرفع المراتب فى الدارين ما شاء وطاول بعمره الأبد، وحرسه بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]، ولقد وصل إلى هذا الفقير، إحسانه الوافر، ولا ريبة عندى بعد إذ الإرادة الإلهية السبب الباطن - أنكم السبب الظاهر، مع ماجلته الشريفة الأفضلية من المثابرة على تعظيم طائفة العلماء، ومعاملتهم بالعناية الزكية بعين الله على زمن جعل فيه هذا الإنسان لعيون الأعيان إنسانا، ودهربوجود هذا العزيز سواه إنسانا، ثم ما برزت به إشارتكم الواجبة الامتثال، بادر الفقير إلى تحصيل شئ فى الحال، وأرسله صحبة حاملها الرجل الصالح، الحاج محمد، وهو خمسة أسفار ستشرف بنظركم الذى به تستنير الأبصار عالما رب السماء والأرض، والطول والعرض، أن الفقير لا عهد له بشئ من ذلك، أولا لوعورة هذه المسالك، وثانيا - وهو الأول الحقيقى - الاعتماد على الملك المالك، والله تعالى يذل لكم نواصى المطالب، ويزيد علو قدركم على مفارق

الكواكب، مسئولا إحسانكم فى دوام الجبر بالمراسلة، والتأنس بالمواصلة، وأنتم فى أمان الله تعالى وحفظه، وعنايته ولحظه. انتهى.

ومن بديع نظمه - رحمه الله - يخاطب سلطان المغرب، مولانا أمير المؤمنين، أبو محمد عبد الله الغالب بالله، الشريف الحسنى، صب الله عليه شآبيب رحمته:

ولما نأيتم ولم أسـتـطـع أسير لحضرتكم بالقدم
سـعـيت إليكم برجل الرسـو ل وخاطبتكم بلسان القلم
وأخبرنى بعض الأصحاب الكتاب، أنه كتب بهذين البيتين أيضا، لمولانا
أمير المؤمنين، أبى العباس المنصور، أخو الغالب بالله المذكور، جدد الله عليه
حلل عفوه، وكان - رضى الله عنه - كتب إليه بالإجازة العامة، وكان
المنصور أمير المؤمنين، كثيرا ما يفيض عليه - على بعد الدار - سجال نواله،
يتحفه بما يقتضيه شرف أحواله، ولما مات رحمه الله، أجرى تلك العادة مع
ابنه الشيخ الأستاذ زين العابدين - رضى الله عنهم أجمعين، وأوردهم من
سلسال كرمه وعفوه، رضوانه المنهل المعين. وللسيد البكرى المذكور يخاطب
بعض الناس:

إذا زرتم وتـفـضـلـتم وشرفتمونا بنقل القدم
فذاك عـجـيب ولا منقص دخول الموالى بيوت الخدم

وله رحمه الله من مطلع قصيدته (رائقة):

انظر بعينك مشرقا أو مغربا تجد الوجود عن الحقيقة معربا

وله - (رضى الله عنه) ديوان نظم يزرى بالدرر، اشتمل من كلامه على جملة كلها غرر، تتسم نفحات الفتح الربانى التوفيقى من سطوره وطروسه، وتبسم عن ثغور المنح الإيقانى الصديقى أزهار غروسه، أن السعادة أصلها التخصيص، ﴿... ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٦)﴾ [الحديد]، ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ... (٢٦٩)﴾ [البقرة]، فلا حاجة إلى زيادة التنصيص.

رجع (إلى ما كنا فيه)، وقال الشيخ الإمام العلامة، سيدى أبو عبد الله محمد الرصاع - رحمه الله - ما رأيت صلاة أحلى وأجمع، وأزكى وأمتع، من صلاة الشيخ الوالى العارف بالله، المحب فى رسول الله، سيدى على بن وفا - رضى الله عنه، ونفع به.

اللهم صل على النور الأول، والسر الأنزه الأكمل، عين الرحمة الربانية، وبهجة الاختراعات الأكوانية، صاحب الملة الإسلامية، والحقائق العيانية، نور كل شىء وهده، وسر كل شىء وسناه، من فتحت به خزائن الحكمة والرحموت، ومنحت بظهوره أنوار الملك والملكوت، قطب دائرة الكمال، وياقوتة تاج محاسن الجلال، إنسان عين المظاهر الإلهية، ولطيفة تروحات الحضرة القدسية، مدد الإمداد، وجود الجود وواحد الأحد وسر الوجود، واسطة عقد السلوك، وشرف الأملاك والملوك، بدر المعارف فى سموات الرقائق وشمس العوارف فى عروش الحقائق، بابك الأعظم، وصراطك الأقوم، وبرقك اللامع، ونورك الساطع، ومعناك الذى هو بأفق كل قلب سليم طالع، وسرك النزه السارى فى جزئيات العالم وکلياته، علوياته وسفلياته، من جوهر وعرض ووسائط، ومركبات وبسائط، مغرب

أسرار الذات، ومشرق أنوار الصفات ومظهر التجليات، بأنوار السبحات من سنا السراذقات، بأرواح التروحات، المصلى فى محراب جمع الجمع بأحمد، والقاري بفرقان الفرق بمحمد، والقائم فى الملك بشرعه وجلاله، والراحم فى الملكوت برحمته وجماله، عين غيبك الكاملة، وخلفتك على الإطلاق فى مملكتك الشاملة، صل اللهم عليه صلاة تعرفنى بها إياه فى مراتبه وعوالمه، ومواطنه ومعالمه، حتى أشهده بعين العيان، لا بالدليل والبرهان، وأعرفه بالتحقيق، فى كل موطن وطريق، وأرى سريان سره فى الأكوان، ومعناه المشرق فى مجاله الحسان، واجعل اللهم نور مددى من شمس حقيقته، ومن نور شريعته، حتى أستضىء فى ليل جهلى بأنوار حقائق معارفه، وأنس فى غربة مسراى بآنس لطائفه، واحملنى إلى حضرته القدسية الأحمدية على كاهل شريعته المحمدية، وعمر أطوار نقص بأطوار كماله وأبسنى من خلع جلاله وجماله، وأفردنى فى حبه كما أفردته فى حسنه وإحسانه، وخصصنى بخصائص قربه وامتنانه، حتى أكون وارثا له به، وناظرا منه إليه، وجامعا له به عليه، اللهم وصل صلاتك الأزلية الأحدية، فى مظاهرك الأبدية الواحدية، ما توحد تجليك، وتكثر الفرد فى العدد، وأشرقت أنوار الصفات بتوالى المدد، واتسعت ربوبية الحكيم، وتقდست سبحات العليم، بتسبيحات التمجيد والتكريم، بلسان القدم، فى أزل الأزل، وتقдس الواحد فى صفتى الجلال والجمال، وسلم عليه سلام الفردانية، ما تعددت مراتبه العددية فى وحدة مراقى درجاته العلوية، فى مقامات العبودية، بتوالى شهود الرحمة الذاتية، واندرج الأنوار الصفاتية، فى المجالات الأطوارية، والمطارات الملكية، وسجدت له الأرواح الروحانية، فى محراب الآدمية، جامع حيطته المحيطة الأحمدية، بالأنوار السبوحية، الكاتبة بالأقلام المعنوية، فى الألواح الشهودية، بالأسرار الخفية، عن الإدراكات البشرية، وصل عليه صلاة وسلاما

يتقدس فيهما عن عوارض الإمكان لوجوب اتصافه بالكمالات، وعموم عصمته في جميع الخطرات، ما تنزه شامخ عزه عن النقص السلوب، وثبت راشح مجده بالذات والوجوب، وارض عن أصحابه أئمة الهدى ونجوم الاقتدا، ما تعاقبت أدوار الأنوار، وأشرفت أسرار الأسرار، وسلم تسليمًا كثيرًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وفي بعض النسخ زيادة قوله: يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا على يا حكيم.

انتهت هذه الصلاة العظيمة الشأن، نقلتها من خط شيخ شيوينا العلامة الأوحى، سيدى أبى الفضل سيدى خروف التونسى - رضى الله عنه، وقابلتها من خط غيره، حتى صححتها على ما كتبتها عليه هنا، نسأل الله أن ينفعنى بها، ويتداركنى بعفوه، بجاه سيدنا محمد - ﷺ.

رجع إلى ما كنا فيه، ومن نشره - رحمه الله: خطبه التى سارت بفصاحتها الركبان، ولهج ببلاغتها الشيب والشبان، وكان منها ما نسجه على بعض سور القرآن، بطريق الاقتباس، الذى لا يلحق سامعه شك فى تبريزه ولا التباس، وقد سمعت مولانا العم، الإمام مفتى تلمسان، وخطيب جامعها الأعظم، عمنا سيدى سعيد بن أحمد المقرئ - رضوان الله عليه - يخطب ببعضها، ومما علق بحفظى منها بعد الصدر:

أيها الإنسان، إن الله تعالى قد وهبك من عنايته حظا اقتضى شرفك موفورا، وأبرزك من العدم إلى الوجود، ومن الغيب إلى الشهود، وعرفك ذلك بقوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝﴾ [الإنسان]، استودع عالمك المختص من بدائع الحكمة الإلهية، ما يحار فيه

عقل متجليه، ونضد جواهره النفسية، فى سلك الازدواج فكل عضو إلى ما يليه، وصرف فيه من وجوه الإتقان، ما دل عليه بتعريف ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢)﴾. فيا أيها المبتلى إلى كم الاضطجاع على فرش البطالة، يكفيك من هذا النوم، غرقت يا مغرور، فى بحر الغرور، ولم تحسن العوم، لله در قوم أشفقوا من هول المطلع ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١)﴾. تأملوا - رضى الله عنهم - بإبصار البصائر الصافية واعتبروا، وعلموا أنهم مجزيون بأعمالهم فانتهوا واثمروا، وجردوا ملابس الكسل عن الطاعة فجدوا وشمروا، عاملوا الله بالصدق فرضى عنهم، ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢)﴾، سلك بهم سائق التوفيق أهدى المسالك، حملهم على جادة الجد علمهم بما هنالك، فلو رأيتهم فى الجنة وقد حفت بهم الولدان والملائك، لرأيت قوما مبرورين ﴿مُتَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣)﴾ فله طيب أنفاس هؤلاء القوم حين يتجلى لهم فى حضرة قدسه - رب الأرباب، ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا ... (٤٣)﴾ [الأعراف]. بأعمالكم فطوبى لكم ﴿... وَحَسُنَ مَثَابُ (٢٩)﴾ [الرعد]. ﴿وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥)﴾ [الإنسان]. أكثروا من الصالحات، وأسيت، فنعمة ما فيه سعوا وبئس ما فيه سعيت، أقبلوا على الناصحين بقلوبهم فوعوا وأنت أعرضت عنهم ونأيت، فما أعظم حسرتك إذا عاينت منازلهم قد أزلقت ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠)﴾ [الإنسان]، فما لك يا حيران تتلى عليك آى القرآن ولا تزدرج بعظاتها، ولا تفرق، ركبت فى بحر التسويق، ولم تبال بالتخويف، خشى عليك أن تغرق، أما علمت أنه لا بد لك من موقف القمر فيه يخسف، والبصر فيه يبرق، فهناك يمتاز الفرقان، فنهار أولئك بالشقاوة أظلم، وليل هؤلاء بالسعادة أشرق، فريق

﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطِرَانٍ... (٥٥)﴾ [إبراهيم] وآخرون ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنَدُسٌ خُضِرَ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا (٢٢)﴾ [الإنسان]. وقرأ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ إلى ﴿...مَحْظُورًا (٢٠)﴾ [الإسراء]، وسمعه - رضى الله عنه - يخطب بخطبة أخرى للقاضى عياض - رحمه الله، اقتبس فيها آيات من سورة الكهف (وغيرها) وأوردها ابن الخطيب فى (الإحاطة)، فى تاريخ غرناطة وقال: إن القاضى عياضا لا يخطب إلا بإنشائه، وهى (١):

الحمد لله الذى سبق كل موجود قدما، وسع كل شىء رحمة وعلما ونعما، وهدى أوليائه، طريقا نهجا أمما، و﴿...أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١)﴾ فِيمَا لَيْنَدِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَا كَثُرَ فِيهِ أَبَدًا (٣)﴾ [الكهف]، أحمده على مواهبه وهو أحق من حمد، وأسأله أن يجعلنا أجمع ممن حظى برضاه وسعد، وأستعينه على طاعته وهو أعز من أستعين وأستجد وأستهديه توفيقا فإن ﴿...مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧)﴾ [الكهف]. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له شهادة فاتحة لأقفال قلوبنا، راجحة بأثقال (٢) ذنوبنا منزهة له عن التشبيه والتمثيل بنا، ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣)﴾ [الجن]. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ورسوله أنزل عليه الفرقان، وبعثه بالهدى والإيمان، وأخزى بدعوته دعوة أولياء الشيطان، وأقعدهم ﴿...مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩)﴾ [الجن]. أيها السامع، قد أيقظك صرف القدر من سنة الهوى وسكراته، ووعظك كتاب الله بزواجه وعظاته، فتأمل حدوده وتدبر محكم آياته، ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ

(١) الإحاطة ج ٤ ص ٢٢٦.

(٢) هذا الصواب من الإحاطة، والذى فى المطبوع: «بأثقال» بالناء.

لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلتَحِدًا ﴿٢٧﴾ [الكهف]. أين الذين عقوا على الله وتعظموا واستطالوا على عباده وتحكموا، وظنوا أن لن يقدر عليهم حتى اصطلموا، ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف]، غرهم الأمل وكواذب الظنون، وذهلوا عن طوارق الغير وريب المنون، ﴿... وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [القصص]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الجن]. فهذبوا - رحمكم الله - سرائركم بتقوى الله، وأخلصوا، واشكروا نعمته ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ... ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم] واحذروا نعمته واتقوه ولا تعصوا، واعتبروا بوعيده: ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾ [طه]. وأنهضوا لطاعته الهمم الفائزة، وادخروا ما يخلصكم يوم المحاسبة والمناجزة، وانتظروا قوله ﴿وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالِ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف]. ذلك يوم تذهل فيه الأبواب، وترجف القلوب رجفا، وتبدل الأرض وتسف الجبال نسفا، ولا يقبل الله فيه من الظالمين عدلا ولا صرفا، ﴿... وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ [طه]. ﴿وَعَرَّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف]، اللهم انفعنا بالكتاب والحكمة وارحمنا بالهداية والعصمة، وأوزعنا شكر ما أوليت من النعمة، ﴿... رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف]. انتهى.

وقد وقع للقاضي - رحمه الله - أثناء كتاب الشفاء مواضع من نشره، هي من الفصاحة بكان، وقد رأيت لتلميذه الشيخ الإمام أبي زيد، عبد الرحمن بن القصير الغرناطي، تنبيهها عليها في هامش متن النسخة التي بخطه، فمن ذلك قوله في الشفاء عند ذكر وجه إعجاز القرآن، ومن وجوه

إعجازه المعدودة، كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٩) [الحجر]. - وقال: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ...﴾ (٤٢) [فصلت]. وسائر معجزات الأنبياء - عليهم السلام - انقضت بانقضاء أوقاتها، فلم يبق إلا خبرها، والقرآن العزيز الباهرة آياته، الظاهرة معجزاته، على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله، إلى وقتنا هذا، حجته قاهرة، ومعارضته ممتنعة، والأعصار كلها طافحة بأهل البيان، وحملة علم اللسان، وأئمة البلاغة وفرسان الكلام، وجهابذة البراعة، والملحد فيهم كثير، والمعادى للشرع عتيد، فما منهم أتى بشيء يؤثر في معارضيه، ولا ألف كلمتين في مناقضته، ولا قدر فيه على مطعن صحيح، ولا قدح المتكلف من ذهنه إلا بزند شحيح، بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه، والنكوص على عقبيه - انتهى.

وكتب المذكور على هذا الكلام مشيرا إليه في الطرة ما نصه: من كلمات القاضي أبي الفضل - رحمه الله - الفصيحة الجزلة. انتهى. ومن ذلك قوله - قبل هذا بأوراق: اعلم - وفقنا الله وإياك - أن كتاب الله العزيز، منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه، أولها - حسن تأليفه، والتتام كلمه وفصاحته، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب، وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن، وفرسان الكلام، قد خصوا من البلاغة والحكم، ما لم يخص به غيرهم من الأمم، وأوتوا من ذرابة اللسان، ما لم يؤت إنسان، ومن فصل الخطاب، ما يقيد الألباب، جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة، وفيهم غريزة

وقوة، يأتون منه على البديهة بالعجب، ويدلون به إلى كل سبب، ويخبون بديها في المقامات وشديد الخطب، ويرتجزون به بين الطعن والضرب، ويمدحون ويقدحون، ويتوصلون ويتوصلون، ويرفعون ويضعون، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال، ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل، فيخدعون الألباب، ويطوقون الصعاب، ويذهبون الأحن، ويهيجون الدمن، ويجرئون الجبان، ويسطون يد الجعد البنان، ويصيرون الناقص كاملا، ويتركون النبيه حاملا، منهم البدوى ذو اللفظ الجزل، والقول الفصل، والكلام الفخم، والطبع الجمهورى والمنزع القوى، ومنهم الحضرى ذو البلاغة البارة، والألفاظ الناصعة، والكلمات الجامعة، والطبع السهل، والتصرف فى القول، القليل الكلفة، الكثير الرونق، الرقيق الحاشية، وكلا البابين، فلهما فى البلاغة، الحجة البالغة، والقوة الدامغة، والقدر الفالج، والمهيع الناهج، لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم، والبلاغة ملك قيادهم، قد حووا فنونها، واستنبطوا عيونها، ودخلوا من كل باب من أبوابها، وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها، فقالوا فى الخطير والمهين، وتفننوا فى الغث والسمين، وتناولوا فى القل والكثر، وتساجلوا فى النظم والنثر، فما راعهم إلا رسول كريم، ﴿... لِكِتَابٍ عَزِيزٍ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾ [فصلت]، أحكمت آياته، وفصلت كلماته، وبهرت بلاغته العقول، وأظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوث كل البيان جوامعه وبدائعه، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه، وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه، وهم أفسح ما كانوا فى هذا الباب مجالا، وأشهر فى الخطابة رجالا، وأكثر فى السجع والشعر سجالا، وأوسع فى الغريب واللغة

مقالا، بلغتهم التى بها يتحاورون، ومنازعهم التى عنها يتناضلون، صارخا بهم فى كل حين، وقارعا لهم بضعا وعشرين عاما على رءوس الخلائق أجمعين: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٨) [يونس]. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ قَوْلِهِ﴾ ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا...﴾ (٢٤) [البقرة]، ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ...﴾ (٨٨) [الإسراء] الآية: ﴿...قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ...﴾ (١٣) [هود]. وذلك أن المفتري أسهل، ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب، واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب، ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له، وفلان يكتب كما يريد، وللأول على الثانى فضل، وبينهما شأو بعيد، فلم يزل يقرعهم - ﷺ - أشد التقريع، ويوبخهم غاية التوبيخ، ويسفه أحلامهم، ويحط أعلامهم، ويشتت نظامهم، ويذم آلهتهم وآباءهم، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم، وهم فى كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته، مخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب، والاعتراء والافتراء، وقولهم ﴿... إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ (٢٤) [المدثر]، و﴿... سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ (٢) [القمر]، ﴿... إِنْكَ افْتَرَاهُ...﴾ (٤) [الفرقان]، و﴿... أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٥) [الأنعام]، والمباهة والرضى بالذنية، كقولهم: ﴿... قُلُوبُنَا غُلْفٌ...﴾ (١٥٥) [النساء] و﴿... فِي أَكْثَرِ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ...﴾ (٥) [فصلت]، و﴿... لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) [فصلت]. والادعاء مع العجز بقولهم: ﴿... لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا...﴾ (٣١) [الأنفال]. وقد قال الله تعالى لهم: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا...﴾ (٢٤) [البقرة]. فما فعلوا ولا قدروا، ومن تعاطى ذلك من سخائفهم كمسيلمة كشف عوراه لجميعهم، وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح الكلام، وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من

نمط فصاحتهم، ولا جنس بلاغتهم، بل ولوا عنه مدبرين، وأتوا مدعين، من بين مهتد وبين مفتون، ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ [النحل] - الآية، - قال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، ما يقول هذا بشر؟ انتهى.

وكتب بطرته ابن القصير المذكور ما نصه: فصل فيه فصاحته من القاضى أبى الفضل - رحمه الله - بديعة، فى غاية من الإتقان والسياق، حاز بها قصب السباق، وأغلق فيها رهن السباق. انتهى.

وكتب المذكور على قول القاضى، والطبع الجهورى، ما نصه: كذا فى النسخة التى انتسخت منها، وذلك غلط من الناسخ وإنما هو الجوهري والله الموفق للصواب - انتهى.

وإذا وصلنا إلى هذا الموضع من نثر القاضى - رحمه الله، فلنقتصر على هذا المقدار، فإن نثره أكثر من هذا كله، والله المسئول فى العون.

وأما نظمه - رحمه الله - ففى طرف من البلاغة عال، ولنذكر بعضه مستمدين عون الكبير المتعال، فيقول من مشهور نظمه، ما فى الشفا - بعد كلام تقدمه من نثره - نصه: وجدير لمواطن عمر بالوحى والتنزيل، وتردد بها جبريل ومكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ﷺ ما انتشر، مدراس آيات، ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين، ومتبواً خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة

وأين فاض عبابها، ومواطن طويت فيها الرسالة، وأول أرض مس جلد
المصطفى ﷺ ترابها، - أن تعظم عرصاتها، وتنسم نفحاتها، وتقبل ربوعها
وجدراتها:

يا دار خير المرسلين ومن به	هدى الأنام وخص بالآيات
عندى لأجلك لوعة وصبابة	وتشوق متوقد الجمرات
وعلى عهد إن ملأت محاجرى	من تلکم الجدران والعرصات
لأعفرن مصون شيبى بينها	من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعداى زرتها	أبدا ولو سحبا على الواجئات
لكن ساهدى من جميل تحية	لقطين تلك الدار والحجرات
أذكى من المسك المفتق نفحه	تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكى الصلوات	ونوامى التسليم والبركات

انتهى .

وكتب عليه ابن القصير المذكور، ما نصه: برد الله ضريحه، وقدس فى
الجنان روحه، لقد أحكم فى هذا الفصل المقال، ووجد مجالا للمدح فقال:
انتهى .

وكتب على اللفظة التى قوله مدارس آيات ظاء، إشارة إلى نظر فى
اللفظة، كما كتب مثل ذلك على قوله: وتخصه بزواكى الصلوات، ونوامى
التسليم والبركات. انتهى .

ولا أدرى ما موجب النظر فى قوله، وتخصه بزواكى إلى آخره، هل

تحريك الياء من بزواكى ونوامى، إذ لا يتزن البيت إلا به، ومثله يستعمل للضرورة، أم ما عند العروضيين فى مثل قوله الصلوات حسبما هو مقرر فى محله، فالله تعالى أعلم أى ذلك أراد. وقد وقفت لبعض المتأخرين من أهل فاس - حاطها الله - على تأليف بديع، يتعلق بالقطعة المذكورة، هأنا أورده بجملته لوجهين: الأول أن ذلك الإشكال المشار إليه فيه، لم يزل يعرض للأفضال، وقد سمعت غير واحد ممن لقيته يشير لذلك. والثانى ما اشتمل عليه من الفوائد - وإن كان بعضها زائدا على ما يتعلق بالقطعة - حسبما تراه بالعيان، والله المستعان.

ونص ذلك:

الحمد لله ذى الجود والكرم، الممتن علينا بإحسانه فى إيجادنا من العدم، وعلمنا بفضلله ما لم نكن نعلم، وهدانا السبيل إما شاكرا معظما لما عظم الله - سبحانه - فمقرب ومنعم، وإما غافلا تهاونا بأوامره ونواهيه فمنتظر للبلايا - النقم، ﴿... كُلُّ يَوْمٍ عَلَى شَاكِلَتِهِ...﴾ (٨٤) [لإسراء]، على ما سبق به القضاء وحتم، ثم الصلاة والسلام أولا وآخرا على سيد العرب والعجم، وعلى آله وصحبه الذين أكمل الله - تعالى - بهم الدين وأتم، والتابعين لهديهم من أولى العلم بدور الزمان وأسد العرين وشموس الهدى وأنوار الظلم، صلاة وسلاما يمحوان عنا - إن شاء الله تعالى - ما تأخر من ذنوبنا وما تقدم. وبعد: فقد وقفت على مكتوب لبعض فقهاء الوقت ومدرسيه، كتبه بخطه، وعين فيه اسمه واسم أبيه وجده وما يشهر به، ناولنيه لنتظر فيه، بعد أن قرأه على من أوله إلى آخره، وذلك فى ربيع النبوى عام ثمانية وتسعمائة، وقد فعل ذلك مع جملة من أصحابه غيرى، وربما استحسنت ذلك بعضهم فنسخه،

ثم أذن لى أن أحمله للنظر فيه، فلما نظرته وتأملته، وجدت مقتضاه وحاصله، التعقب على أولئك السادات من أئمتنا وعلمائنا الماضين، منهم الفقيه القاضى أبو الفضل عياض، والعالم العلم القاضى أبو بكر بن العربى، والفقيه الإمام المحقق أبو عبد الله محمد بن مرزوق - رضى الله تعالى عنهم أجمعين ورحمهم، فأطال الكلام معهم، وتحكم عليهم بعقله، وتشيع فى ذلك كله بما لا يملكه، وتصرف تصرف من ظهر له الحق، فلا يرجع عنه ويتركه وهو فى ذلك كله، يزعم أنه ظهر عليهم بالدلائل والحجج البينات، ومن قرأ كلامه وتأمله، علم أن بضاعته فى العلم مزجاة، ثم إن الله تعالى بفضله وإحسانه - أظهر حقوق هؤلاء العلماء، على يد أقل خلق الله وأضعف الضعفاء، فأفاض - سبحانه وتعالى - من بركاتهم، وأشرق من سنى أنوارهم لديه، فشعشع حقهم وأضاء واستنار، وتبين خطأ المعارض على أولئك الأولياء والعلماء الكبار، وتآلف من كلام هذا المعارض وكلام خديم أولياء الله السادات - ما ملأ مجموعه بطن هذه الورقات، وسميته بـ (الإعلام للقريب والنائى، فى بيان خطأ عمر الجزنائى)، والله تعالى أسأل التوفيق فى القول والعمل، والنجاح فيما نرجوه من نيل المقصود وبلوغ الأمل، وجعلت كلام المعارض مقدما حتى ينتهى، ثم نتبعه من كلامى بما يفتح الله سبحانه - وهو خير الفاتحين.

نسخة من كلام المعارض:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله، قال عمر ابن عبد الرحمن بن يوسف، الشهير بالجزنائى هذا الكلام، وهو محتو على ثلاث مسائل، نص الأولى منها مسألة لما ذكر الإمام القاضى عياض - رضى

الله تعالى عنه - زيارة الرسول ﷺ في الشفا، وأنشد لنفسه أبياتا أجاد فيها،
غير أن بيتا فيها ضعيف المعنى، ينافى ما قصده من تفخيم الزيارة وتعظيمها،
وهو قوله:

لولا العوادي والأعداى زرتكم أبدا ولو سحبا على الوجنات
فجعل العوادي والأعداى، تصد عن زيارة الحبيب، والحبيب إذا تمكنت
محبه من القلب، لا يصد عن زيارته شىء، ولو أتى ذلك على إتلاف نفسه،
وسئل اللخمي في مجلسه: هل المشى إلى الحج أفضل، أم القعود عنه أفضل
- مع اتفاقهم على سقوط الحج؟، فأراد الشيخ أن يجيب - وكان في مجلسه
رجل واعظ، فقال: اسمع يا فقيه، فأنشد الرجل الواعظ:

إن كان سفك دمي أقصى مرادهم فما غلت نظرة منهم بسفك دمي
فاستحسنه الناس، قلت: ألا قال عياض كما قال ابن رشيد:

هو القصد إذ غنت بنجد حداتنا وإلا فما نجد وبدر ورياه
وتالله لو أن الأسنة أشرعت وقامت حروب دونه ما تركناه
قلت: فالصواب في ذلك أن يستبدل صدر ذلك البيت، ويتعذر

لكن عظيم الذنب أثقل جثتي عنكم فلم أقدر على الحركات
عن عدم الزيارة بما يليق، قلت: فلو قال:

حق على أزوركم وأزوركم أبدا ولو سحبا على الوجنات
أما الفؤاد فمامر بودادكم متلهب من شدة الزفرات
قال أحمد بن محمد المقرئ - وفقه الله: وقع أبو العباس الوائشريسي،

حافظ الحفاظ بخطه قبالة قوله، قلت: فالصواب إلى آخر ما نصه: ولقد أحسن من قال: وهل يعارض موج البحر بالوشل - انتهى.

رجع إلى كلام الجزنائي قال: فهذا هو الذى يليق بمقامه - ﷺ، إذ فيه وجوب الزيارة له - ﷺ، إلا أن الجثة أثقلها المعاصى كما قال الشاعر:

لا غرو أن ثقل الذنب أقعدنى عنكم زمانا فلم أنهض ولم أقم
والقلب عامر بحبته ﷺ، وهذه غفلة من القاضى - رحمه الله تعالى،
وإلا فما ذكرناه هو الذى يليق بمقامه - ﷺ - انتهى.

والمسألة الثانية نصها: كما وقعت منه غفلة أيضا حيث ذكر الصلاة على النبى - ﷺ - وعظم شأنها، ونقل عن الإمام الشافعى وابن المواز أن من لم يصل على النبى ﷺ فى صلاته، فصلاته باطلة، ثم أخذ يضعف هذا القول، ثم قال: وقد شنع الناس هذه المسألة على الشافعى - ولا مستند له، وهذا لا يليق بما قصده من تعظيم شأن الصلاة عليه - ﷺ، والذى يليق به أن يعظم شأن الصلاة عليه ﷺ ويقول: حتى قال الشافعى وابن المواز أن من لم يصل على النبى ﷺ فى صلاته، فصلاته باطلة، ثم يقول: وهذا هو الصواب، لأن الصلاة على النبى - ﷺ إن لم تكن واجبة، فلا تزيد الصلاة إلا شرفا وكمالا، فهذا هو الذى يليق بالمقامين، ولو كان حيا لم يسعه إلا الموافقة على ما قلناه، والسلام على من يقف عليه. انتهى كلام المتقدم على القاضى - رحمه الله - هاتين المسألتين.

قال أحمد بن محمد المقرئ - أخذ الله بيده - كتب الشيخ سيدى أحمد الوانشريسى هنا حاشيتين، نص الأولى منهما: قوله - يعنى الجزنائي: كما وقعت منه غفلة الخ، قلت يا هذا المسكين، ما أشر بلائك، وأقل حيائك،

قررت قول القاضى أبى الفضل وجازيته بما استحق من الثناء العطر عندك،
أجرك الله فى مصيبتك، وأعقبك خيرا منها، الله يحفظ عقولنا من الفساد،
أين مقامك يا هذا من مقام شيخ المحدثين بدمشق أبى عمرو ابن الصلاح -
رحمه الله - لما ورد عليه كتاب "المشارق"، أنشد بديهة بإنصافه ودينه وعلمه:

مشارق أنوار تبدت بسبته وذا عجب كون المشارق بالغرب
ولكن لا يعرف الفضل لذوى الفضل إلا ذو الفضل. وقوله: لو كان
حيا لم يسعه، الخ، انظروا لهذا الكلام البشيع كيف صير به فخر الإسلام
القاضى أبا الفضل محجورا عليه فى الكلام، وقولوا: الحمد لله الذى عافانا
مما ابتلاه به. انتهى.

ونص الثانية قوله ونقل إلى آخره، قلت القاضى عن ابن المواز ما لم
يقله، فابن المواز وإن وافق الشافعى فى الوجوب، فهو بمنجاة من القول
ببطلان صلاة من لم يصل على رسول الله - ﷺ - إذ الوجوب عنده غير
شرطى كما فى كثير من نظرائها فى أبواب العبادات والمعاملات، ولا غرابة
فى هذا، قال فى المعونة: الصلاة على رسول الله - ﷺ - ليست بشرط فى
صحة الصلاة خلافا للشافعى. انتهى.

وقال فى الإكمال: وقال الشافعى بإيجاب الصلاة على النبى ﷺ فى
كل صلاة، وإن لم يفعل ذلك، بطلت صلاته، وهو قول لم يقل قبله،
وخالف الشافعى فى المسألة من أصحابه، ووافقه إسحاق عليها.

وحكى بعض البغداديين عن المذهب فى المسألة ثلاثة أقوال: الوجوب
والسنة والفضيلة، وقد حمل بعض شيوخنا البغداديين مذهب ابن المواز على

الوجوب فى الصلاة كمذهب الشافعى . وكلامه محتمل للوجوب على الجملة
كما قالت الجماعة . انتهى .

قلت : فقلوه كمذهب الشافعى ، التشبيه فى الوجوب ، لا فيه وفى
إبطال تركها فى الصلاة .

قال فى نواذر الإجماع ، وأجمعوا أن المصلى إذا ترك الصلاة على النبى
ﷺ ناسيا فى التشهد الأخير ، أنه فى النسيان معذور ، وفى العمد مذموم ،
والصلاة مجزئة فيهما معا إلا الشافعى ، فإنه قال : إذا ترك الصلاة على رسول
الله - ﷺ - قبل التشهد الأخير منها لم تجزه . انتهى .

قلت : فتحصل من هذا أن الآتى بالصلاة على رسول الله - ﷺ - فى
الصلاة ممثل للأمر بالإجماع ، إلا عند من يرى أن الوجوب متعلق عند ذكره
- ﷺ - فإنه لا يكفيه عنده الإتيان بالمأمور به فى الصلاة - والله أعلم . وهذا
كله فى طلب الإتيان بها فى الصلاة ، وأما فى جانب تركها فى الصلاة ، فلا
اختلاف عندنا وعند الجماهير فى صحتها - مع الإخلال بالكمال ، فإذا تقرر
هذا ، فما معنى قول المعارض على عياض : لأن الصلاة على النبى - ﷺ -
إن لم تكن واجبة ، فلا تزيد الصلاة إلا شرفا ؟ قلت : كون الإتيان لا يزيدها
إلا شرفا هو حسن ، والإجماع منعقد عليه من كافة الأئمة ، وليس الكلام
والنزاع فيه ، إنما الكلام فى طرف الترك - حسبما تقرر ، فإذا علمت هذا
فكلام المعارض لا يتنزل على هذا الطرف ، وإنما يتنزل فى مقابلة من يقول
بانكار الصلاة على رسول الله - ﷺ - فى الصلاة ، ولا قائل بذلك إجماعا ،
فبقى قوله ضائعا من الفائدة لا موقع له أصلا ، فتأمله بإنصاف وإمعان نظر
وتحقيق . انتهى كلام الإمام الوائشريسى - رحمه الله .

ولنرجع إلى كلام صاحب التأليف، فإنه قال: بعد كلام الجزنائي، السابق ما نصه: انتهى كلام المنتقد على القاضي - رحمه الله - هاتين المسألتين، قلت في الجواب عنها - أى عن المسألة الأولى: ما تعقبه هذا المعترض واستدركه من الإصلاح والتكميل والاعتذار عن الشيخ أبى الفضل عياض - رحمه الله تعالى ورضى عنه - فى البيت الذى نقله عنه فى الشفا، وهو الخامس من الأبيات الثمانية التى مطلعها:

يا دار خير المرسلين ومن به هدى الأنام وخص بالآيات
إلى أن قال:

لولا الأعادى والعوادى زرتها أبدا ولو سحبتنا على الوجنات
فقال هذا المنتقد: بل الصواب أن يستبدل صدر هذا البيت، ويعتذر عنه بما يليق به بعد أن نسب الشيخ - رضى الله عنه - إلى القصور والغفلة، فأصلح البيت المذكور، وهو الخامس، وزاد عليه، وكان حق هذا الفقيه أن لا يتكلف هذه المشاق من إصلاح واعتذار، ونسبة الشيخ لما نسبته إليه، حتى يثبت فى الرواية، ويصحح المتن، ويبنى على يقين من كلامه، فإن البيت المذكور نقله من الشفا - مصحفا، وأصله فى النسخ الصحيحة: لولا الأعادى والعوادى زرتها، فنقله هو (زرتكم)، فجعل الخطاب فيه للنبي - ﷺ - وليس هو كما زعم، وإنما الخطاب فيه للمدينة، والضمير ضمير مؤنث، والدليل عليه قوله: (يا دار)، فجعل المنادى المدينة - وهى الدار، وقال فى البيت الثانى عنده: (لأجلك لوعة وصبابة)، فالرواية أيضا - بكسر الكاف لخطاب المدينة، وفى البيت الرابع: (لأغفرن مصون شيبى بينها)، فهو ضمير مؤنث، عائد على المدينة، وفى البيت الخامس الذى وقع فيه النقد على غير

أصل زرتها لا زرتكم، فزرتكم من قول المنتقد لا من قول الشفا، أسسه
وركب عليه ما أحب من كلامه .

فهذه دلائل واضحة، تدل أن الخطاب إنما هو لمؤنث، وضمير عائد على
المؤنث، ولما كانت هذه المدينة من أعظم مشاهد الإسلام، وأخت مكة
وشقيقتها في الفضل والإكرام والاحترام، ومهبط وحى رب العالمين، وتردد
جبريل عليه السلام بين جدرانها بالتنزيل ومناسك الدين، حق لهذا الإمام
العالم، الولي الصالح أبى الفضل عياض - رحمه الله تعالى ونفع به - أن
يشتاق إلى رؤيتها وزيارتها، ويعفر مصون شبيهة في تربها وبين جدرانها
وعرصاتها، تبركا بأرض ضمت جسد المصطفى - ﷺ - وشرف وكرم،
ومجد، وعظم، فتبين من ذلك أن الغفلة التى وصف بها المنتقد إمامنا
الأعظم، وعالمنا العلم الأعلم، عادت عليه، وزاد بالخطأ، فتعين عليه
الاعتذار والاستغفار، مما نسبته إلى الشيخ - رحمه الله ونفع به .

انتهى الكلام على هذا البيت فيما يرجع إلى تصحيفه وتحريفه، ويبقى
الكلام على معنى البيت نفسه - وهو البيت الذى ضعف معناه المعترض،
فنقول - والله المستعان: إن عياضا - رضى الله عنه سبى الدار، يشاهد
مصائب البحر وزراياه فى كل يوم، مساء وصباحا، لا تحصى ولا تخفى
عليه، وراكب البحر أبدا مغرور وليس بمحمود - وإن سلم، ومع كونه إن
حدثته نفسه - رضى الله تعالى عنه - لزيارة قبره ﷺ - ملاحظا للشرعية
واقفا معها، وهذا كله يخطر ببال الناظم فى حال نظمه فى أقرب زمان،
ولحظة عين، فرأى - رضى الله تعالى عنه - أن المانع من الزيارة لا يدوم على
حال، فارتضى محبوبه - ﷺ، واتبع هديه القويم، وصراطه المستقيم،

وغلّب السلامة في الزمان المستقبل، ورجا أن ما تعذر في الوقت يتحول، وحسن ظنه بمولاه أن يبلغه أمله، فيوفى بعهده، ويعفر مصون شبيه كما رجاه وأمله. وقوله (زرتها أبدا)، فكأنه يقول: أزورها أبدا على كل حال كان في الطريق معارض أو لم يكن، من صحة أو مرض، أو غنى أو فقر على قدمي إن قدرت، أو مجررا على وجهي، وهذا هو الغاية في كمال الحب، والنهاية في الفقه والورع والتواضع - رضى الله تعالى عنه.

وأما البيت الذي أنشده، الواعظ في مجلس اللخمى، فقد أوقعه الواعظ في مجلسه، وأسكت القوم حسن نظمه، وبديع ألفاظه، ويبقى الكلام في قائله، فلا شك أن قائله حبه مدخول مشوب معلول، لكونه طالبا فيه حظ نفسه، وبلوغ أملها، ونيل شهرتها، وتشفى غليله بنظرة من محبوبه لحظة زمان، فقائل هذا البيت أصابه قنط واضطراب في نفسه، لكثرة ما هو يتجرعه ويقاسيه من شأن محبوبه، فأراد أن يجهز على نفسه ويريحها من تعب ما هي فيه، فرأى من رشاد أمره، وحسن عاقبته، أن يبيع نفسه بنظرة من محبوبه، نافيا عن بيعه وشرائه معرفة العين بقوله: (ما غلت) فهو في بيعه هذا، مبتهج مسترخص لما اشتراه، ولا تعرف صفقات المعاوضات وسائر المعاملات أبدا إلا هكذا، فالمحب الصادق في حبه، لا يطلب المعاوضة من محبوبه، ولا يتشوق إلى بلوغ غرض منه أصلا، لأن من حجة محبوب هذا البيت أن يقول لمحبته: لو كان حبك صادقا ولا دخل فيه، ما ربت سفك دمك على نظرة في وجوهنا ولفوضتم لنا أن نحكم فيكم بما شئنا من سفك أو غيره، على قاعدة كل محبوب أن الحكم له، فلما حجرتم علينا فيما ربتتم، وعوضتم لأنفسكم واحتطم لها، صار تلذذكم وتنعمكم بنظرة في وجوهنا لحظة من زمان،

وكأنها مشترطة في أصل عقد معاوضتكم، والمحِب إذا احتاط هذا الاحتياط
خرج بذلك عن قاعدة المحبين وسنتهم، وصار حبه - كما قلنا - مدخولا
مشوبا معلولا.

قال ابن عطاء الله في حكمه - رضى الله تعالى عنه: ليس المحِب،
الذى يرجو من محبوبه عوضا أو يطلب منع غرضا. وقال أبو عبد الله
القرشى: حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحبيت، حتى لا يبقى لك منه
شئ، يعنى لا يبقى لك تشوف لنيل حظ أو بلوغ غرض من محبوبك.

قال سيدى محمد بن عباد - رحمه الله تعالى ونفع به: وأما من رجا
العوض، وطلب الغرض من محبوبه، فليس هو من مقام المحبة فى شئ.
وقال أبو محمد رويم: من أحب العوض من محبوبه، بغض العوض إليه
محبوبه. فهذا كله مما يضعف البيت الذى جلبه المعترض دليل على ضعف
معنى بيت عياض، ومما يزيده ضعفا ووهنا، خطابه - قائلا لمحبوبه بمثل ذلك
الخطاب، فكأنه يقول له مخاطبا: أما ترى ما أنا فيه، وما أتجرعه من أجلك،
وما أفاسيه؟ فإن كان منتهى حالى معك قتلى، وسفك دمنى، فمتعنى بنظرة
منك وأستريح، وليس من سنة المحبين أن يخاطبوا محبوبهم بمثل هذا الخطاب
الخشن، وإنما حظ المحب التواضع والتقرب من محبوبه، والتعلق له والتذلل،
والتمسك وخفض الجناح، ولين الجانب، والتحبب له بكل ما أمكن، وإطلاق
المحب على قائل هذا البيت، محمول على المجاز، والحب الصادق الحقيقى:
حب ابن رشيد الذى جلبه المعترض - وهو قوله:

وتالله لو أن الأسنة أشـرعت وقامت حروب دونه ما تركناه

وقول عياض - رضى الله تعالى عنه :

لولا الأعادى والعوادى زرتها أبدا ولو سحبا على الوجنات

وقول إبراهيم بن أدهم - رضى الله تعالى عنه :

هجرت الخلق طرا فى رضاك وأيمت الوليد لكى أراك

فلو قطعتنى فى الحب إربا لما حن الفؤاد إلى سواك

ونقل أبو القاسم القشيري عن بعضهم أنه قيل له : ما كان سبب حالتك

هذه؟ فقال : كلمة سمعتها من خلق لخلق، عملت فى هذا البلاء الذى رأيت،

قيل : وما هى؟ قال : سمعت محبا خلا بمحبوبه - وهو يقول له : أنا أحبك

بقلى كله، وأنت تعرض عنى بوجهك كله، فقال له المحبوب : إن كنت

تحبنى، فأى شىء على؟ فقال : يا سيدى أملكك جميع ما أملك، ثم أنفق

روحي حتى أهلك، فقلت : هذا خلق لخلق، وعبد لعبد، فكيف مخلوق

لخالق، وعبد لمعبود؟ فكان هذا سببه. فحب هؤلاء هو الحب الصادق

المتمحص، الذى لا دخل فيه ولا شوب ولا علة، إذ لا حظّ لنفوسهم فى هذا

الحب إلا ما يؤلمها من السحب على الوجنات، وما يتحملونه من المخاوف

والترويعات، ومعانقة الأسنة والحروب وأنواع المهلكات، وهجران الخلائق طرا

مع البنين والبنات، والخروج عن الأموال والأنفس وجميع المستحسنات، كل

ذلك فى رضى محبوبهم، فحب هؤلاء وزان واحد، وشربهم من عين

واحدة، وكلهم يعبر عن ليلى بما يجد، فدلّل بواطنهم عنوان عباراتهم.

وقول المعارض : فجعل عياض الأعادى والعوادى تصد عن زيارة الحبيب

وتمنعه، هو كما قال، لأنه - رضى الله تعالى عنه - ملاحظ للشريعة، معتن

بها، واقف معها، فكانت الأعادى والعوادى الموجودتان فى زمانه برا وبحرا، مانعتين له من الزيارة، فكما هو - الآن - القاصد إلى الحج، أو إلى زيارة قبره - ﷺ (من قطرنا) - ممنوع شرعا، فلا يبعد أن يكون كذلك فى زمانه - رضى الله تعالى عنه - لوجود المانع المذكور فى الزمانين، والعلة فى ذلك: الإلقاء باليد إلى التهلكة، ولا يحمل أن يكون المانع له من الزيارة حظ نفسه من أشغال الدنيا وكلفها وتكاليفها، والحرص على محابها، وقول المعترض: إن من تمكن الحب من قلبه، لا يصده عن زيارة محبوبه صاد - ولو أتى ذلك على إتلاف نفسه، وأن هذا هو الحب الكامل عند المعترض، ولذلك أتى بيت الواعظ دليلا على ضعف معنى بيت عياض، وهذا من المعترض إجمال فى محل التفصيل.

وصواب هذا الكلام أن يقال المحبون لهم مذاهب، فمنهم من هو على هذه الصفة التى قال المعترض: لا يقدر أن يصبر عن محبوبه طرفة عين، ولا يملك نفسه ولا يمكنه ذلك حتى يهلك ويتلف نفسه، فأصحاب هذا المذهب أوقاتهم غير محفوظة عليهم، لا يقيدون بقيود الهدى، ولا يؤثرون السلامة على الردى فهم مقهورون على فعلهم، معذورون فى حبهم، وهذا هو مذهب المحبين من المجانين، وعليه اقتصر المعترض، والمذهب الآخر، أوقاتهم كلها محفوظة عليهم أبدا آناء الليل والنهار، يدورون مع عمود الشرع حيث دار، فإذا تقرر هذا وسلمه كل ذكى عاقل، سليم الصدر، سيد منصف فاضل، علم منه أن إمامنا العالم العلم، أبا الفضل عياضا - رحمه الله تعالى - سلك فى حبه مذهب العقلاء من المحبين، واقتدى بإمامه الولي الصالح، إمام الزاهدين الذى نوه بذكره، وأثنى عليه فى المحافل العظيمة سيد

المرسلين، وحلاه بحلى يعجز الوصف عن مثلها، وتكل الأقلام عن إحصاء فضلها، دان نفسه وعمل بعد الموت، فوصف بالكيس المعروف فى السماء، المجهول فى الأرض، المسمى بأويس منعه من رؤية رسول الله - ﷺ - وزيارته، فرض وجب عليه الوفاء به، وهو خدمة أمه، وقلة ذات يده.

فمسألة عياض - رضى الله عنه - مقيسة على قضية أويس، بجامع أن كل واحد من السידين، لو ارتحل إلى زيارته - ﷺ - لكان عاصيا، وفعل ما يكرهه الله ورسوله، فهذا يلقي بيده إلى التهلكة، وهذا يترك أمه مضيعة، فخرج من هذا، أن المعارض لم يشم من بيت الواعظ رائحة حظ نفس قائله، وطلب راحتها، وبلوغ أملها ونيل شهوتها، ومن ثم ضعف بيت الواعظ عن رتبة الاستدلال، وانتقى الضعف عن معنى بيت عياض، وبقي على ما هو عليه من الكمال، وتبين خطأ المعارض، وقلقه لشهوة الرد، حتى قال ما قال وما به انفراد.

وقول المعارض: حق على أن أزوركم وأزوركم - فى إصلاحه وتكميله على عياض، هو قول عياض: «أزورها أبدا» فأفرغه فى قالب الإصلاح والتكميل، وكرر قول عياض، ونسبه إلى نفسه، انتهى الكلام على البيت ومعناه.

الكلام على المسألة الثانية - بعد الحمد لله - اختصر هذا المعارض بعض ألفاظ من الشفا يحتاج إليها الناظر فى هذا المعنى، قال فى الشفاء - بعد أن ذكر حكم الصلاة على رسول الله ﷺ، وما يترتب عليها من الثواب، واختلاف العلماء فيها، وما اختار كل واحد منهم، فذكر مذهب مالك، والشافعى، وسفيان والقاضى أبى بكر، والقاضى أبى محمد بن نصر،

والطبرى، والطحاوى، والخطابى، ثم قال: وشذ الشافعى فى ذلك، فقال: من لم يصل على النبى - ﷺ - بعد التشهد وقبل السلام، فسدت صلاته، وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه.

قال القاضى - رحمه الله - ولا سلف للشافعى فى ذلك ولا قدوة ولا سنة يتبعها، وقد خالف الإجماع من السلف الصالح قبله. قال: وقد بالغ فى الإنكار عليه جماعة من العلماء، منهم: الطبرى، والقشيرى، وغير واحد من العلماء، وقد شنع الناس عليه فى هذه المسألة جدا^(١).

انتهى كلامه فى الشفاء. قلت: لم يقتصر صاحبنا على الخطأ فى المسألة الأولى حتى شفعها بأختها، فقله: ثم يقول وهو الصواب إلى قوله: لو كان حيا لم يسعه إلا مخالفة فهمكم، وقولكم وتحكمكم عليه، ويجب ذلك عليه وجوبا مؤكدا، لأن موافقته لكم، على ما قلتم وفهمتم بعد تصحيح روايته وتثبيته فيما نقله عن أئمة الهدى، وحفظه عن الشيوخ، وسطره فيما كتبه ورواه، وسلم له ذلك فحول أهل وقته وعلمائه، ومن بعدهم - إلى وقتنا هذا، عصرا بعد عصر، وقرنا بعد قرن، وجيلا بعد جيل - فكل من تصفح منهم كلامه: من علم كتبه، أو شعر أنشده، أو بحث أورده، أو غريب نسبه، أو مشكل فتحه، أو كتاب ألفه. شهد له بغزارة علمه وسلامة فهمه، ووفور عقله، مع ما ثبت له - رضى الله تعالى عنه - من كونه لا يخاف فى الله - تعالى - لومة لائم فى قضائه وحكمه، حتى جئتم أنتم - بارك الله تعالى فيكم، فغصتم على ذلك المعنى الدقيق، ونسجتم ذلك النسيج الرقيق، أو شفعتم تلك المسألة بأختها التى هى عندكم فى حيز القطع والتحقيق،

(١) الشفاء للقاضى عياض ٦٠ / ٢.

فأرشدتم الشيخ - أرشدكم الله تعالى - إلى أن يقول فيما قلتم وتحكمتم وفهمتم، هذا هو الصواب، وقلتم لو كان حيا لم يسعه إلا موافقتنا بلا اضطراب، حاشاه ثم حاشاه أن يوافقكم على مثل هذا، فيكون متلاعبا بالدين عمدا واعتمادا، ويحرف الكلم عن مواضعه قولاً واعتقاداً، وإياك التهاون بالعلماء وأهل الفضل، فقد رأيتم ما رأيتم من قبل، وهنا انتهى الكلام على المسألتين جميعاً.

فإن قال أبو حفص - وهو المنتقد - تعظيم عياض - رحمه الله تعالى - وتفخيمه في الآيات المذكورة كل ذلك التفخيم، وتعفير شبيهه في تربها وأرضها - ليس ذلك لذاتها، بل لأجل من حل بها حيا وميتاً - وَعَلَى اللَّهِ، فاشتياق عياض - رحمه الله تعالى، وزيارته لها، اشتياق له وزيادة له - وَعَلَى اللَّهِ - فلا فرق إذن بين زرتكم أو زرتها، فلم عظمتم علينا هذا الأمر جداً؟ قلنا لكم: قولكم هذا صحيح في نفسه، وحملنا قولكم أولاً على التصحيف وهو المتبادر إلى الذهن، وكلامكم هذا يدل على تبديل الرواية على جهة العمد، فالتصحيف أبداً أخف من التحريف، وصاحبه أعذر، لأن التحريف محض خيانة وكذب، وهو لا يليق بكم ولا يحمل قولكم عليه. انتهى.

المسألة الثالثة نصها - بعد الحمد لله - وقع السؤال فيما مضى وتقدم: هل ليلة القدر أفضل من ليلة مولده - وَعَلَى اللَّهِ؟ فتولى الجواب في المسألة الإمام الأسنى، فريد دهره، ووحيد عصره، العالم الكبير، العادم النظير، الذي له على أهل زمانه أعظم الحقوق، وهو الشهير بابن مرزوق، فذكر فضائل ليلة القدر، وأطنب فيها غاية الإطناب، ثم ذكر فضائل ليلة مولده - وَعَلَى اللَّهِ، وأتى فيها بأعجب العجائب، ثم إنه صرح بأن ليلة مولده - وَعَلَى اللَّهِ - أفضل، واستدل

على ذلك بما استدل، فقليل له ليلة القدر فضائلها الباقية، تتكرر في كل سنة آتية، وفضائل مولده - ﷺ - لم توجد إلا في تلك الليلة، فقال: بل تتكرر في كل ليلة تقابلها، وأخذ يتطلب الأدلة، فاستدل أنها توجد فيما يوافق تلك الليلة تلك الفضائل بحديث صحيح، وزعم أنه لم يبق بعد هذا الدليل قوله لقائل، وذلك أنه سئل عن صيام يوم الاثنين - عليه الصلاة والسلام - فقال: فيه ولدت، وفيه أنزل على. فجعل ذلك دليلا على أن تلك الفضائل تتكرر وتستدام.

قلت: أما الليلة التي ولد فيها سيد الأولين والآخرين، فلا يعدلها في الفضل شيء، فإنه - ﷺ - رحمة للعالمين، وليلة تقدر بعض رحماته، ولا يخالف في ذلك أحد من المسلمين، وإنما الكلام فيما يقابلها - وهي ليلة اثني عشر أيهما أفضل؟ فالذي عول عليه الإمام، أن ذلك موجود في كل ليلة تقابلها، وأبدأ في ذلك وأعاد، وطول في ذلك حتى خرج عن المعتاد، ورأى أن فضيلة الليلة التي ولد فيها سيد الثقلين هي موجودة فيما يقابلها، واستدل بحديث يوم الاثنين، وأكثر في ذلك حتى قال: ما معناه ومن عنده شيء غير هذا، فهذا وقت الميدان، فهذا مقتضى قوله، وطول بذلك اللسان؟

وعندى أن ما ادعاه غيره متعين، وما استدل به غير بين، وذلك أن ليلة مولده - ﷺ - ظهرت فيه أمور خارقة للعادة بالعيان، كانقضاء الشهب، وتنكيس الأصنام، وارتجاج الإيوان، وهتف الجن، وإخماد المجوس، وغير ذلك مما ظهر للعين وبرز للمحسوس، وهناك فضائل باطنة، استأثر بها الملك القدوس، فكما أن هذه الخارقات لم تظهر إلا في تلك الليلة السعيدة، كذلك الفضائل الباطنة، ومن ادعى وجودها في غيرها فدعواه بعيدة، فإن ذلك رجم

بالغيب، ولا يسلم مدعيا بغير دليل من الغيب، وما استدل به من حديث يوم الاثنين فليس له فى ذلك دليل، وذلك بين ظاهر لكل حاذق نبيل، لأنه يلزم منه أن يكون يوم من الاثنين تكون فيه تلك الفضائل، وهذا لا يقوله هذا الإمام ولا يقوله قائل، وأيضا فإنه لا خلاف أن يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين، فإذا اضمحل هذا الدليل ولم يبق له أين - انتهى .

قال أحمد بن محمد المقرئ - وفقه الله - كتب الإمام الوائشريسى بخطه على قوله: فإذا اضمحل هذا الدليل ما نصه: قلت: اضمحلال الدليل لا يكون إلا بمصادمة دليل له أقوى، وأنه لم تأت بمطلق دليل أصلا فضلا عن دليل أقوى، وقصارى ما رددتموه به مجرد الدعوى، وهو لا يفيدكم فائدة، وما ألزمتموه يلتزمه عنه، ودليله ماأبداه من الحديث الصحيح، وهو بين لمن معه مسكة إنصاف، ولا سيما - والفضائل عملية، ولا تؤخذ بقياس، ﴿وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾، فإذا تقرر هذا، فاسمع يا عمر، إذا بدت رايات النصوص فى ميادين الكفاح، طاحت أعلام المقاييس فى مهاب الرياح، وعجبا من هذا الرجل كيف يحكم باضمحلال دليل الخصم فى أفضلية يوم الاثنين، ويدعى أفضلية يوم الجمعة عليه بالكتاب والسنة والإجماع، وأى دليل له من الكتاب يسلم له، وأى إجماع يسلم له ويقبل منه، حتى يزيف به دليل الخصم، وقد طلب بتحقيق هذا الإجماع نقلا عن الأئمة، فاشتغل بالروغان والحيدة، وقد حكى بعض الأكابر إجماع الأمة على أفضلية ليلة القدر على يوم الجمعة، وعلى يوم عرفة، فما حيلتك أيضا فى رد هذا الإجماع وإنكاره. انتهى كلام الوائشريسى.

ولنرجع إلى كلام الجزنائى فنقول: بعد قوله "ولم يبق له أين" ما

نصه: ومما قال هذا الإمام أيضا - رضى الله تعالى عنه - أن الإمام أبا بكر بن العربى - رحمه الله - قال: من فضل الله تعالى على هذه الأمة أن أعطاها ليلة القدر، فجعل لها عاما بألف شهر، ثم قال الإمام ابن مرزوق: هكذا وقع لهذا الإمام وصوابه: جعل لها ليلة بألف شهر - وإن كانت كما قال، إلا أن الواقع ما ذكرناه، وهذا أبلغ فى التفضيل وسعة الإحسان. انتهى.

قال أحمد المقرئ - وفقه الله: كتب الشيخ الوائشريسى - رضى الله عنه عند قوله - ومما قال هذا الإمام إلى آخره - ما نصه: قَوْلَ الرجل - يا أخى ما لم يقل: اذكروا أمواتكم بخير.

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تصف أحدا منهم بما فيكما انتهى. ولنرجع إلى ما كنا بصده فتنقول: قال الجزنائى بعد قوله: وسعة الإحسان ما نصه: فعرض لى فى كلام هذين الإمامين - رضى الله تعالى عنهما - أشكال، وذلك أن ابن العربى جعل العام بمثابة ألف شهر، وابن مرزوق جعل الليلة بمثابة ألف شهر، وكل واحد منهما لا يساعده القرآن، فإن الله - تعالى - يقول: ﴿... خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)﴾ [القدر] ولم يقل بمنزلة ألف شهر، فقد تكون خيرا من ألف شهر بأضعاف كثيرة - كما قال تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّكَ مِنَ الْأُولَى (٤)﴾ [الضحى]. فأنت ترى فضيلة الآخرة على الدنيا، لا سيما عند من يرى أن الألف لم يقصد به العدد، وإنما أراد الدهر كله - كما قال تعالى: ﴿... وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ... (٩٦)﴾ [البقرة] - إنما أرادها هنا: الأبد، ولم يرد العدد، والسلام على من يقف عليه، ولم أرد بما قلته الانتقاد عليهم - رضى الله تعالى عنهم، وإنما أردت ظهور الحق من حيث هو (حق)، قال ذلك وكتبه بخط يده الفانية،

العبد المذنب عمر من عبد الرحمن بن يوسف الجزنائي - لطف الله تعالى بالجميع - مسلماً على من يقف عليه، والحمد لله رب العالمين.

أقول - والله سبحانه وتعالى المستعان - قد سلم هذا المعترض صحة حديث يوم الاثنين، غير أنه استبعد الاستدلال به بل أبطله، واستبعاده يدل أنه مزكوم عن فهم معنى ذلك الحديث، واحتجاج العالم المحقق ابن مرزوق به على ما صرح به من استدامه التفضيل فيما يقابل الليلة السعيدة، هو في محله على ما نقله عنه، وهو ظاهر جلي، وبيان ذلك أن جوابه - ﷺ - للسائل بعد أن نبيء ونزل عليه الوحي، وبين جوابه وولادته أزيد من أربعين سنة، فجوابه - ﷺ - أدل دليل، لكل فطن نبيل، على إثبات الفضيلة والشرف لليلة السعيدة وصيحتها، واتصال ذلك وتكرارهما في كل ليلة تقابلهما من وقت جوابه للسائل، ثم بعد إلى قيام الساعة. وقول المعترض في المسألة الثالثة - قبل هذا: ومن ادعى وجودها في غيرها، فدعواه بعيدة وذلك رجم بالغيب، ولا يسلم قائلها بغير دليل من الغيب، هو كلام صدر من المعترض بغير تأمل، لم يدر فيه ما يقول، يستوجب عليه خلع لسانه، بعد تعزيزه وهد أركانه، لأنه أثبت فيه سوء الفهم والبعد عن الصواب ووجوب الغيب، والرمي بشبه الكذب - وهو الرجم بالغيب، لمن قال باستدامة التفضيل وتكراره في كل زمان يقابل بالزمان الذي ولد فيه سيد الخلق، وأتى بمن التي هي للعموم، فعمت كل شخص، ومن جملتها نبينا - ﷺ، لأنه أخبرنا - وخبره صدق، وشهادته حق، بتكرار الفضيلة واستدامتها، إلى قيام الساعة في جوابه للسائل عن صيام يوم الاثنين فقال: فيه ولدت، وفيه أنزل على. فراعى - ﷺ - فضيلة اليوم الذي ولد فيه، ولاحظ شرفه من يوم

ولادته إلى حين الجواب، فكسف يصف هذا المعارض من ادعى تكرار الفضل والشرف بسوء الفهم والعيب، والرجم بالغيب، ونبينا - ﷺ، مدعيه. وقوله: يلزم منه إلى قوله: وهذا لا يقوله قائل. وقوله: أيضا لا خلاف أن يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين، فاضمحل هذا الدليل، ولم يبق له أين، وجعله الخوارق الظاهرة، والفضائل الباطنة، مقصورة على تلك الليلة، فجوابه عن هذه الفصول الثلاثة أن يقال له: أنت بمثابة رجل يطلب ولده وهو على عنقه، لأن الحديث المسلم صحته عندك، يخبرك أن إلزامك تلك الفضائل في كل اثنين إلزام صحيح عامل، ونفيك الخلاف عن يوم الجمعة قول باطل، وجعل تلك الخوارق مع الفضائل قاصرة على تلك الليلة شيء لا يفهمه عاقل، لكون الحديث المذكور نصا صريحا في ولادته - ﷺ - يوم الاثنين نهارا، والذي تقرر عند علمائنا - رضى الله تعالى عنهم - أن الأزمان والبقاع لا فضيلة فيها لذاتها، ولكن لما خصت به، وحل بها، فكما فضل الموضع الذى ضم جسده - ﷺ - على جميع أقطار الأرض وبقاعها إجماعا، فكذلك الزمان الذى ولد فيه، فضل جميع الأزمان إجماعا، لأن شرف كل زمان ومكان، بحسب ما شرف به، فيوم الجمعة له فضل جسيم، وشرف عظيم، لكون آدم - عليه سلام الله تعالى - خلق فيه، وأهبط وتيب عليه، فروعى شرفه، وفضله من ذلك الوقت إلى وقتنا هذا بعد قرون وأعصار لا تعد ولا تحصى، فيكون هذا الزمان الذى ولد فيه سيد الخلق، أولى أن يراعى بالتعظيم والإجلال، وبالبدعاء فيه والابتهاال؟ انتهى.

قال أحمد بن محمد المقرئ - وفقه الله - كتب الإمام الوائشريسى - صب الله عليه شآبيب رحمته - على قول هذا المؤلف، فيكون هذا الزمان إلى آخره - ما نصه: قلت: قال بعض أهل الحقائق: لصاحب الوقت يومان.

يوم بأرواح يباع ويشترى نقدا وآخر لا يسام بدرهم
وفصل الفضل بينهما:

وما تفضل الأيام أخرى بذاتها ولكن أيام الملاح ——— ملاح
فافهم الإشارة، انتهى كلام الوانشريسى.

قال أحمد بن محمد المقرئ - وفقه الله - أشار الإمام الوانشريسى بقوله: بعض أهل الحقائق إلى أشهر أسلافنا، الإمام العلامة، القاضي بالخرصة الفاسية - أيام المتوكل عنان، الشيخ العارف، القدوة المؤلف، الكبير الشهير، أبو عبد الله المقرئ التلمساني القرشي - رضى الله عنه، فإن ذلك نص كلامه فى كتاب الحقائق والرقائق له، وهو كلام منور وبالله التوفيق.

ولنرجع إلى ما كنا بصده من كلام المؤلف الراد على الجزئائى، قال - بعد قوله والابتهاال - فإن رتب الشرف أبدا مختلفة: فليس يوم ولد فيه سيد الأنبياء والرسل، كيوم خلق فيه آدم عليهم أجمعين سلام الله - فى الشرف سواء، فأين قولكم يوم الاثنين لا يكون فيه تلك الفضائل، ولا يقول هذا الكلام قائل؟ وأين قولكم: فإذا اضمحل هذا الدليل، ولم يبق له أين؟ وأين تحجيركم تلك الفضائل مع الخوارق على تلك الليلة؟ فلا تقف أيها الرجل ما ليس لك به علم، ولا تتبع من أمور دينك إلا الأمر المهم، وواجب عليك أن لا تختصر شيئا من كلام العلماء، ولا تنقله بالمعنى ولا بالمقتضى - إن أردت تعقبه، فإن النقل أمانة، والتحريف خيانة، وبعد تعقبك إياه ينظر الناس فيه، فيقرأ ويسمع، والحق وأولى أن يتبع، ومن هناك ينكشف عن المسألة الغبار، ويتبين الفرس الجنيب من الفار، وما ذكرتم أيضا فى آخر كتبكم عن الإمام ابن العربى - رحمه الله تعالى - حين تكلم عن ليلة القدر فقال: من فضل

الله تعالى على هذه الأمة، أن جعل لها عاما بألف شهر، وإن كان - كما قال. ثم إنكم، بارك الله تعالى فيكم - أفرغتم كلامها في قالب الإشكال والتعقيد، ليتهايأ لكم الرد عليهما والتعقيب، فقلت: عرض لى فى كلامهما إشكال، فإن الأول جعل العام بمثابة ألف شهر، والثانى جعل الليلة بمثابة ألف شهر، وكل واحد منهما لا تساعده الآية، لأن القرآن لم يقل: بمنزلة ألف شهر، وإنما قال ﴿...خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (٣) - قلت: ظاهر كلامك أن القرآن لم يقل بمنزلة، أنهما قالاه، وهما لم يقولوا بمنزلة ولا بمثابة، ولم يتلفظا بواحد منهما.

قال أحمد المقرئ - وفقه الله - كتب الوائشريسى هما ما نصه: قلت: صحة الرد عليه، تتوقف على تحقيق متن كلام الشيخ ابن مرزوق - رحمه الله - انتهى.

رجع إلى كلام المذكور، قال - بعد قوله منهما - ما نصه: وإنما القائل لذلك أنت، لتركب عليه اعتراضك، وهلا قلت - كما قال من سبقك بالسيادة، ولين الجانب، فقلت: صوابه كذا، فتكون مثله فى السيادة والأدب أو تقارب، وأنت أيها السيد والأخ - فى الله تعالى - دع الولوع عنك بمثل هذا، وأقبل على شأنك، وانظر إلى سنك.

قال أحمد المقرئ - وفقه الله - كتب الوائشريسى على قوله سنك، ما نصه، قلت: ويرحم الله القائل:

أبعد الأربعين تروم هزلا فما بعد العشية من عرار

انتهى.

رجع، قال المذكور: واعلم أن العلماء هم أهل الله - تعالى - وخاصته وحماءه، فلا ترع حول الحمى، تقرب إلى الله - تعالى - بغير هذا، وليكن هذا آخر النصح إليكم. والسلام.

خاتمة: ذكر هذا الفقيه أبو حفص عمر، كلاما ختم به المسألة الثالثة المتقدم ذكرها، ونص ذلك الكلام: ولم أرد بما قلته الانتقاد عليهم - رضى الله تعالى عنهم - وإنما أردت ظهور الحق من حيث هو حق، قال ذلك وخطه بيده الفانية، عمر بن عبد الرحمن بن يوسف، الشهير بالجزنائي، مسلما على من يقف عليه، والحمد لله رب العالمين. انتهى.

قلت: هذا الكلام فى نفسه فى غاية الحسن والأدب، والتواضع مع هؤلاء العلماء والأولياء الجلّة - رضى الله تعالى عنهم أجمعين. ثم إنى تأملت هذا الكلام وألفاظه الواقعة فى المسائل الثلاث المتقدمة، فوجدتها تنافى ما قصده من ظهور الحق والأدب معهم، والتواضع والدعاء لهم - رضى الله تعالى عنهم. فمن ذلك: قوله: ومن ادعى وجود هذه الفضائل فى غيرها، فدعواه بعيدة، وذلك رجم بالغيب، ولا يسلم قائلها بغير دليل من العيب. ومنها ليس له فى حديث يوم الاثنين دليل، وذلك بين ظاهر لكل حاذق نبيل، ومنها هذا الكلام لا يقوله قائل. ومنها: وطول بذلك اللسان، وأبدأ وأعاد، حتى خرج عن المعتاد. ومنها: فاضمحل دليل يوم الاثنين، ولم يبق له أين. ثم ختم كتابه - وكان ختامه مسكا، مخبرا عن القاضى أبى الفضل عياض - رحمه الله تعالى، ورضى عنه - بقوله: وهذا لا يليق بما قصده، والذى يليق به أن يقول كذا وكذا، ثم يقول: هذا هو الصواب، ولو كان حيا لم يسعه إلا الموافقة على ما قلناه والسلام. انتهى.

قلت: الظواهر إذا تكررت وتظافرت، قامت عند علمائنا - رضى الله عنهم - مقام النص، يقول هذا الفقيه: لم أرد إلا ظهور الحق، كلام جرى على لسانه، فهو محمول على المجاز، والحقيقة ما اقتضته ظواهر هذه الألفاظ، وشهدت به القرائن الحالية، ودل عليه سياق كلامه - وهو شهود نفسها وتعظيمها، ورؤية حظها، واتباع هواها، وانفراده لا بزعمه فى وقته بالسؤدد، ومساواته لهؤلاء العلماء المعترض عليهم فى العلم والحفظ والفهم، بل يرى أن له شفوفا عليهم فى اعتقاده لكونه غاص على ما أغفلوه، وعلم ما جهلوه، فكان ذلك سببا للخط من أقدارهم الرفيعة، وغضا لهم عن مناصبهم العلية، وبحصول ذلك فى نظره نسب لبعضهم العيب، ورماء بما يقارب الكذب الذى هو الرجم بالغيب، ول بعضهم القصور والغفلة، ولآخرين البعد عن الصواب، وعدم فهم الكتاب، مع أنه وضع خمسمائة مجلد بعد خروجه من بلده غريبا مهاجرا، ويرى فى ذلك كله أنه على المنهاج القويم، وصراط الله المستقيم، ولت شعرى ما معنى قوله فى الإمام ابن مرزوق: وأبدأ وأعاد حتى خرج عن المعتاد، ما هذا المعتاد عنده؟ وما حده؟ فإن العلم نور الله عز وجل، فإذا أشرق من صدر صاحبه واسطاع أيملك حصره أو يستطاع؟

وقد قدمنا فى هذه الخاتمة، ما ختم به أبو حفص كتابه بما فيه كفاية، وأعظم دلالة على جرأته فى نقله، وتحكمه بعقله، وقلة أدبه، وسوء فهمه، فأغنى ذلك عن شرح بقية ألفاظه الحسنة، وجمل من كلماته المستحسنة، ثم نسأل الله جل وعلا - بجاه الخلق عنده - أن يختم لجميعنا بالحسنى، وأن يسامحنا أجمعين، ولا يؤاخذنا بما قلنا، وعملنا وظننا، إنه على ذلك قدير،

وبالإجابة جدير، وصل أولا وآخرها، وظاهرا وباطنا، على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله، وخاتم النبيين، وسيد المرسلين، وشفيع الملائكة المذنبين، وأن يعم بهذا الدعاء والدينا، وجميع المسلمين آمين، آمين يارب العالمين.

ثم بعد فراغى من هذا المجموع، نبهنى بعض الفضلاء، أن يقع الجواب عن المسألة - وهى قوله فى المسألة الثانية، (كما وقعت من القاضى أيضا غفلة، حيث ضعف قول الشافعى وابن المواز)، ثم قال: (وهذا لا يليق بما قصده من تعظيم الصلاة عليه - ﷺ) إلى قوله: (ثم نقول وهذا الصواب، ولو كان حيا لم يسعه إلا الموافقة على ما قلناه والسلام). فأقول - والله سبحانه المستعان - أن الجواب عن هذه الجملة التى اكتنفت طرفى المسألة الثانية: أولها وآخرها هو أن يقال لهذا المعارض: إن نظرت بعينى بصيرتك وأنصفت، لم تجد منافاة بين ما قصده - رضى الله تعالى عنه ونفع به - من تعظيمه الصلاة على رسول الله ﷺ، وبين تضعيفه قول الشافعى، وبيان ذلك: أن قصده للتعظيم قصد صحيح، لأن تعظيم الصلاة عليه - ﷺ - تعظيم ذاته ومحبه، واتباع سنته، وسنة السلف الصالح بعده، واتباع هديهم القويم - سرا وإعلانا، ﴿... لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا...﴾ [المدثر]، فيجب اتباعهم - على كل حال فيما نقلوه، وقعدوه وأصلوه، وحسنوه أو وهنوه، فإنكار المعارض على القاضى - رحمه الله تعالى - تضعيف قول الشافعى وابن المواز - اعتمادا منه على ما حسنه له عقله ووهمه، وانتهى إليه فكره وفهمه، جهلا منه أن الإجماع انعقد من السلف الصالح قبل الشافعى وابن المواز على صحة ما قاله القاضى - رضى الله تعالى عنه - واختاره وأمضاه، وعلى إبطال ما أشار إليه المعارض وحسنه

وارتضاه، وإن كان الشافعى وابن المواز - رضى الله تعالى عنهما - وأفاض علينا من بركاتهما، وقد بلغا هناك من العلم والاجتهاد، المبلغ العظيم، ولكن كما قال مولانا فى كتابه الكريم: ﴿... وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)﴾ [يوسف]، فلما جعل المعارض ذلك، ونظر فى المسألة بفرد عين، لم ير بها الإجماع منصوباً مسطراً، فمن أجل ذلك، صير المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ثم إنه بكيسه، وحسه وحده، ولم يقنع بهذا كله، ولم يحتشم مما قال حتى أشلى^(١) القاضى - رحمه الله تعالى - على نفسه، مع جلالة قدره، وعلو منصبه، أن ينتقض ما أخذه الله تعالى من العهد والميثاق، على الذين أوتوا العلم ليسيننه للناس، ولا يكتمونونه، بأن يوافق المعارض عن قوله وفهمه، فيحسبه عليه الكرام الكاتبون ويكتبونه، فيقوله بذلك قول الزور، ويوقعه فى الحذور، حاشاه متلاعبا بالدين عمداً واعتماداً، ويحرف الكلام عن مواضعه قولاً واعتقاداً، وهنا انتهى الجواب عن هذه الجملة المنسوبة الكلام عليها، وبعد كتب هذا الجواب، عرضت لى مسألة أخرى، فأجبتة هنا، وذلك أن المعارض ذكر فى المسألة الثالثة ما نصه: (وعندى أن ما ادعاه ابن مرزوق غير متعين، وما استدلل به غير بين، وذلك أن ليلة مولده - ﷺ - ظهرت فيه أمور خارقة. إلى قوله: (فاضمحل هذا الدليل، ولم يبق له أين)، انتهى الجواب عنها، فأقول - والله سبحانه المستعان: محل الحاجة من هذا الكلام، هذا الإلزام، وذلك أن قوله - عليه السلام - لسائله عن صيام يوم الاثنين مجيباً: (فيه ولدت، وفيه أنزل على) - تعظيم وتشريف لذلك اليوم، وأن الفضائل التى نفاها المعارض عن ذلك اليوم، هى بكمالها كامنة فى ذلك اليوم لولادته فيه، كما أخبر - ﷺ، وقد تقدم الجواب عن هذه المسألة بكمالها، وأن الزمان الذى ولد فيه سيد الخلق، فضل جميع الأزمان إجماعاً. فقال هذا

(١) أشلاه: أغراه وادعاه.

المعترض: هذا كلام لا يقوله قائل، ويعنى بذلك أن تلك الفضائل، لا تكون فى ذلك اليوم؟ وقوله: لا يقوله قائل، معناه قائل يعتبر قوله، ويلاحظ علمه ونقله، كأن هذا الكلام عنده فى حيز القطع والتحقيق، ومن قال غيره فهو عنده فى غاية الضعف والتلفيق، هذا هو الظاهر البين من كلامه، فلما عم هذا النفى ولم يخص، جاء الإشكال والتليس والإجمال، فيحتمل أن يكون الكلام المنفى عنده، قول النبى عليه الصلاة والسلام، ويحتمل أن يكون الكلام المنفى كلام غيره، فإذا تقرر هذا وسلمه كل ذى عقل سليم تعين الوقوف، وجاءت الحيرة، وتردد النظر، واشتدت الفكرة: أيهما يغلب، هل حرمة النبى ﷺ، فيكشف ظهر المعترض، ويبالغ فيه بالضرب الوجيع، لأن الجاه عظيم، وحماية كريم عرضه حق واجب على كل مسلم سليم، وإلى هنا بلغت إذايته، وكادت تتكشف للمسلمين سريرته، من إطلاقه العنان، وعدم ضبطه الكلام وإمساكه اللسان، فكيف بمن دون هذا النبى، من الأولياء والعلماء والصلحاء، فمنهم الصديق الأكبر، أبو حامد الغزالى، والولى الصالح أبو بكر بن العربى، والفقيه القاضى ولى الله - تعالى - أبو الفضل عياض، والفقيه الإمام العالم العلم الشهير، أبو عبد الله بن مرزوق - رحمهم الله تعالى أجمعين، ونفعنا ببركاتهم، فما منهم واحد إلا وقد أهانه، وغض من منصبه العظيم.

قال أحمد المقرئ - وفقه الله - كتب هنا الشيخ الوائشيشى ما نصه: قلت: ويرحم الله الشيخ أبا القاسم ابن عساكر حيث يقول: اعلم يا أخى أن لحوم العلماء مسمومة، وأن من أطلق لسانه فى العلماء بالثلب، بلاه الله قبل موته بموت القلب - انتهى.

رجع إلى كلام المؤلف المذكور، قال - بعد قوله العظيم - ما نصه:
فانظر عاقبة أمره، هل تزيد اعوجاجا، أو يتداركها ربنا عز وجل فتستقيم؟
غير أن الغزالي - رحمه الله تعالى - لم أقف على نص معارضته إياه، ولكن
ذلك شائع عند أهل الفضل من علمائنا، وذكر لى بعض الأكابر من أهل
العلم، أن الصمم الذى أصابه، إنما كان من وقوعه فى الغزالي، قبل هذه
السنة - أعنى سنة كتب هذا المجموع.

قال أحمد المقرئ - وفقه الله: كتب الوائشريسى على قوله من وقوعه
فى الغزالي ما نصه:

ستعلم لىلى أى دين تداينت وأى غريم للتقاضى غريمها
انتهى.

رجع، قال المذكور: فبعدما فرغ من معارضته، أصابه - والعياذ بالله -
ما أصابه، فإن قال هذا المعارض: أشققت على قلبى فى دعوى العموم، وإن
ذلك يعم المعصوم وغير المعصوم؟ وهذا من سوء الظن المنهى عنه، إن بعض
الظن إثم، وما أشرت إليه، لم أقصده ولم أنوه، ولم يخطر لى ببال؟ قلت له
فى الجواب: فسألتك هذه، هى من باب خطاب الوضع، فلا نتعرض لنتيك
وقصدك، ولا نسألك عنهما، ولكن حيث وجد هذا اللفظ أو مثله منك، أو
من غيرك، وجد ما يقابله من أدب فى الظهر، أو حد فى العنق، وقضية
سيدى عمر الرجراجى - رحمه الله تعالى ونفع به - مشهورة، وذلك أنه كان
مولعا بسوق الكتبيين فى كل جمعة، فجاءه الدلال بكتاب فيه سيرة النبى
ﷺ، وكان خط الكتاب ركيكا جدا، فقال رجل - إلى جنبه - ما هذه إلا
سيرة سوء، فسمعه من حضر، وأدوا عليه، فأفتى فقهاؤها بقتله، فحلف

الرجل أنه لم ينو، ولم يقصد عيباً، ثم حلف الشيخ رضى الله تعالى عنه - بعد أن توجه إلى القبلة: إنه لصادق فى يمينه، وما أغنى عنه ذلك شيئاً، إن ضربت عنقه فى الوقت، فكما وجب القتل هنا على هذا مع كونه لم يصرح بسبب هذا النبى الأمى، فكذلك يجب الأدب الوجيع على من غرض قلامة ظفر من منصبه العلى - إن كانت القضية مثل هذه، وإلا فلا فرق فى القتل بين من تعرض لسبه، أو غرض غضا بينا من منصبه - ﷺ، وشرف، وكرم، وسواء كان ذلك فى قوله - كان فى هذه القضية، أو فعله أو خلقه، أو خلقه أو دينه، أو نسبه أو ضحكه أو مزاحه - ﷺ، وسواء كان ذلك تلويحاً، أو تغلب حرمة الظهر، فإن ظهر المؤمن حمى، وفى الصحيح ادرءوا الحدود بالشبهات. وهذا كله موكل إلى القضاة والحكام، فرب شخص يكفى فى زجره قتل أذنه، وآخر ألف سوط على قول العوام؟ انتهى. وحكايته مع الفقيه الإمام، العالم المفتى، أبى العباس أحمد بن زكرى التلمسانى الدار، معروفة مشهورة، وذلك أنه وصل إلى مدينة فاس بعض كلامه، فوضع عليه المعارض المذكور بطاقة كلها مفقرة، وحملنى مع رجل إلى منزله، وقرأها علينا كلها، لا يدرى من سمعها أهى هجو أم غيره؟ فكان يقرؤها علينا - والعسل والسكر يقطر من فمه، وعاب كلامه كله، ثم بعد ذلك، لقيه رجل من طلبة الفقيه أبى العباس أحمد المذكور، فتكلم معه فى مسألة من علم الكلام، وطال الكلام بينهما، وسمعت من وراء الناس أن الطالب ظهر على المعارض المذكور بالحجج والدلائل، وربما شنعوا فى ذلك الوقت عنه شيئاً قبيحاً، وتمشى ذلك فى الألسنة، ثم إن يوماً بعد صلاة العصر، قامت الأولاد وصبيان المكاتب فى صحن جامع القرويين، يصيحون صيحة واحدة بكلمتين مفقرتين، يقولون فى الكلمة الأولى: عمر، ثم يكملون القافية الأخرى على وزنهما فقر ترتعد منها

الفرائص، بقى كذلك إلى أن جن الليل، فخرجوا وكتبوا الكلمتين على غلق حانوته فى الشهود بحجر أبيض، غلظ الإصبع، يقرؤه كل أحد، وبقيت حانوته مغلقة أياما حتى محا ذلك جيرانه وغيرهم، ولم يعلم أن انتصار الله تعالى لهؤلاء السادات، أتم انتصار لهم من انتصارهم لأنفسهم، فلما فقر عليهم، وعرض قوافيه على الناس فى الأسواق، فقر عليه، وكتبت تلك القوافى على بابه فى الإغلاق - جزاء وفاقا؟

قال أحمد المقرئ - وفقه الله: كتب الإمام الوائشريسى على هذا المحل، ما نصه:

قلت: ولقد أحسن القائل فى هذا المعنى ما شاء:

(ومن يمت فله الرحمن يتتصر)

انتهى.

رجع إلى كلام المؤلف المذكور، قال: فاهتد أيها المعترض بهدى ساداتك ومن تقدمك، وأنصف أصحابك كإنصافهم، واعترف بخطئك الظاهر البين، فإن الاعتراف، يمحو الاقتراب وإن لم تعترف وتقر لمن هو دونك فى المنزلة والمكانة، وغلبك الهوى والشيطان ولم تعصمهما، فشمّر عن ساعد جدك، وأجب عما كتبت به بخطك، وقل ما شئت من هجومك ونوعه من نثرك ونظمك، وأمل ذلك على حفظتك، تجده غضا طريا قريبا من خاتمتك.

ثم إن هذا المعترض لما بلغه كلامنا وكتبنا الذى فى هذا المجموع، فلما قرأه وتبين له خطؤه وسوء أدبه على العلماء، وقلة حياته عليهم، واشتد نكير غير واحد من علماء الوقت عليه ضجت نفسه من ذلك، وأنفت وضافت،

وأخذ يكتب بالرد علينا فى ألفاظ يغفلها الكاتب، ولا يحسبها كل سيد فاضل إلا طغيان قلم، فيعظم هو شأنها، ويشنع أمرها، ويطوف بها على الحوانيت، ولا يقتصر على القول وحده، بل يكتب فى ذلك كتباً مفقراً، ويقرؤه على الناس فى حوانيتهم بنفسه، وقد فعل ذلك مع الفقيه العالم المحقق، مفتى مدينة تلمسان، سيدى أحمد بن زكرى - رحمه الله تعالى، وقد رأى لذلك أعجوبة عظيمة تقدم ذكرها، وهو يعلم أو لا يعلم أن ذلك من الغيبة المتفق على تحريمها، ورحم الله الشيخ أبا القاسم بن عساكر حيث قال: اعلم يا أخى أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله تعالى فى هتك أستار مستنقصيهم مشهورة معلومة، وأن من أطلق لسانه فى العلماء بالثلب، ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب. ومقصوده بهذا الطواف على الحوانيت، وأعلام الناس بأنى كتبت المحذور - بالضاد، فأسقطت قرن الظاء فى الكتب، ويكتب الكلمة فى آخر السطر، وتكمل بقيتها فى السطر الثانى - تنفيرا للناس عن النظر فى هذا الكلام، وتقبيحه فى أعين الناس، وإطفاء نور الله الذى أظهر منه حقوق أولئك العلماء والسادات المعترض عليهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره - على رغم أنفه ولو كره، وقد صرحت فى هذا المجموع فى مسائل، أنه يلزمه فيها خلع لسانه، وثقب أشداقه، وهذ أركانه - وكشف ظهره للأدب الوجيع، ولم يتكلم على مسألة واحدة منها، ولم يعتذر وكأنه لم يرها أصلاً، وتعامى عنها، ومن هذا المعنى ما كتبه بخطه، ولم يدر فيه ما يقول، ولو حضر بين يدى السلطان، أو من بيده تنفيذ الأحكام الشرعية، لأوجب عليه الأدب الوجيع، للعبه بالأحكام الشرعية كيف يشاء.

قال بخطه: إن يوم الجمعة أفضل جميع الأيام، بالكتاب والسنة

والإجماع، وليت شعري ما هو هذا الكتاب؟ ومن نقل هذا الإجماع؟ ثم قال أيضا بخطه: لا خلاف أن يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين، ثم قال: وأما الزمان الذى ولد فيه سيد الخلق، فقد فضل جميع الأزمان، ولا خلاف فى ذلك بين المسلمين، وهو يزعم أنه أحدهم، فتدخل الليالى والأيام الفاضلة عند الناس، كيوم عرفة، ويوم الأضحى، وليلة القدر، وعشر ذى الحجة، والأشهر الحرم، وغير ذلك حتى يوم الجمعة، وقد نص المعترض عليه أنه أفضل من يوم الاثنين من غير خلاف، ومن جميع الأيام بإجماع، فيدخل يوم مولده - ﷺ - لأنه عنده مفضول بإجماع، فانظر إلى هذا التناقض والتدافع والتهاوتر، فيجب عليه أن يبين من قاله من العلماء ويعين اسمه، فإن قال المعترض لم نزل نسمع العلماء والخطباء، أن يوم الجمعة هو سيد الأيام، ومظنة انحطاط الذنوب والآثام، وقد شاع فى الإسلام حظه وخطره، وانتشر فى العالمين ذكره، فمن ثم أخذت أنه أفضل من يوم الاثنين، قلنا له فى الجواب: هيهات، لقد حكيت، ولكن فاتك الشنب! وها هو الكون كله من العرش إلى الثرى، وما تحث الثرى، وجميع ما فى العالم كله، علوه وسفليه، من ملك وجن وإنس، وجميع الحيوانات كلها، والجمادات وغيرها، تخبرك أن لا يوم أفضل، ولا أشرف، ولا أعظم خطرا، ولا أعلى قدرا، من يوم الاثنين، الذى ولد فيه سيد الثقلين، وقلت أنت - وقولك هذا حق: لا يعادل زمان ولادته - ﷺ - فى الفضل شىء أى زمان وكتبت بخطك، وقلت - ولا يخالف فى هذا أحد من المسلمين، وأن المسلمين كلهم متفقون على هذا، ونحن نعتقد أنك أحد المسلمين، فكيف تعد نفسك منهم، وتقول أن يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين من غير خلاف، فيوم الجمعة - وإن كان معظما قديما وحديثا، وخصه الشرع بخصائص لم توجد فى يوم سواه،

وتلك الخصائص لا تحصى كثرة، وأعظمها فريضته المعلومة، وما يتبعها من السنن والآداب وخصال الفطرة، كما خصت بساعة الإجابة، وكون ميته لا يروع ولا يسأل، وقيام الساعة، وغير ذلك، فالخصوصية التي خص بها هذا اليوم العظيم، لا تؤذن بأفضليته من كل الوجوه، وقول الخطباء والوعاظ: هو سيد الأنام، وخير يوم طلعت عليه الشمس، محمول على التحريض منهم على القيام بحقه، وتعمير أوقاته كلها بما يليق بكل وقت من العادة، وليس ليوم الجمعة مزاحم عند المعارض إلا يوم الاثنين، وما هو يدعى أن المسلمين كلهم متفقون على أفضلية يوم الاثنين، إذ فيه ولد سيد الثقلين، وبإقراره في كتبه - بخطه، اتفقت المزاحمة عن يوم الاثنين، واستقل - والحمد لله - بالأفضلية التامة على كل حال، التي أجمع عليها المسلمون كافة، وباستقلاله وانتفاء المزاحمة عنه، انتفت حجة المعارض وانقطعت واضمحلت، ولم يبق لها وجود لمن أنصف، ورجع إلى الحق واعترف، وما خصت به الجمعة من البركات والخيرات، وتضاعف الحسنات، ومحو السيئات، استمدت ذلك كله - جداولها وأنهارها من البحر العظيم - وهو بحر يوم الاثنين، ومن فيضان بحر نور ذلك اليوم العظيم، كان سبب قبول توبة آدم حين توسل بمحمد - ﷺ - فوجد محمد ﷺ - سر وجود آدم، عليهم أجمعين صلوات الله تعالى وسلامه .

ثم إن المعارض ذكر في هذا المجموع بخطه - مسائل جملة، وجزم بالحكم فيها، ولم يعين صاحب ذلك الحكم، ولم ينسبه لأحد من العلماء، فأردت تجريدها هنا، وحصرها وتبيينها، وأطلب من المعارض ما يخلصه ويرثه من الجواب عنها، فأقول - مستعينا بالله سبحانه وتعالى عليها - المسألة

الأولى، ذكر - بخطه تصريحاً - أن النبي ﷺ ولد ليلاً، وتلك الليلة صادفت ليلة اثنى عشر من ربيع الأول، وأن هذا هو المشهور، فيجب عليه أن يعين من شهره من العلماء، المسألة الثانية، ذكر أن الليلة التى ولد فيها سيد الخلق، خصت بفضائل: ظاهرة وباطنة، فشرح الفضائل الظاهرة وسكت عن الباطنة لم يشرحها ولم يذكرها ولم يصفها، - غير أنه جزم عليها بالحكم، وأن الملك القدوس استأثر بها فى علم غيبه، ولم يظهرها لأحد من خلقه، فيجب عليه أن يعين من أين علم هذا، فإن هذا الحكم الذى حكم به، لا يعلم إلا من طريق النبوة، لأنه من الأمور التوقيفية، ولا سبيل له إلى الحرز والتخمين فيها. المسألة الثالثة: ذكر عن ابن مرزوق - رحمه الله تعالى - أنه يقول هذه الفضائل التى خصت بها ليلة مولده - ﷺ - تتكرر، وتستدام فى كل ليلة اثنى عشر من ربيع فى كل سنة آتية، وقلتم: هذا الذى عول عليه هذا الإمام، فيجب عليه أن يعين من أين نقل هذا عنه، وهو - رضى الله تعالى عنه - روى حديث يوم الاثنين وولادة النبي - ﷺ - فيه، فنسب كلامه - رضى الله تعالى عنه - إلى التدافع والتناقض، وهو لا يليق بمقامه.

المسألة الرابعة، ذكر أيضاً عن القاضى أبى الفضل - رحمه الله تعالى - أنه نقل عن الإمام الشافعى وابن المواز أن من لم يصل على النبي ﷺ، فصلاته باطلة، فيجب عليه أن يعين من أين نقل هذا عنه.

المسألة الخامسة: ذكر أيضاً - بخطه - أنه لا خلاف أن يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين، ثم ذكر أيضاً فى المكتوب الثانى، أن أفضل الأيام يوم الجمعة بالكتاب والسنة والإجماع، فيجب عليه أن يعين من قال هذا الكلام، ومن نقل هذا الإجماع، وذكر لى رجل من أصحاب المعترض وأهل سره، أن

شيخنا البركة سيدى أحمد بن يحيى^(١) الوانشريسى - حمد الله عاقبته، وجبر صدعه، وأمن روعته، جرت بينه وبين المعارض مسألة، وذكر المعارض أنها مجمع عليها، فطلبه شيخنا بالمستند، فراغ المعارض عن الجواب، واستعمل طريق الحيدة، وألقى عليه مسألة - وكأنه يلقيه فيها حجرا يشغله بها عن طلب حقه بالمستند، ومضمن المسألة أن يبين له أى اليومين أفضل: أى يوم الجمعة، أم يوم الاثنين؟ فإن كان الأمر على ما ذكر لى هذا القائل، الذى هو صاحب المعارض ومن أهل سره فأنا أكون بينه وبين سيدنا، كالحاجز بين المتنازعين فى حق من الحقوق، فأبلغه غرضه - إن شاء الله - بالجواب عن مسأله فى عين نازلته، جوابا يشفى علة، ويقطع حيدته، على أن يبلغ شيخنا غرضه، بتعيين المستند، ومن نقل ذلك الإجماع، ويناجزه بأحد جوابين: أما أن يدعى أنه وهم فى دعوى الإجماع، وإما أن يشمر عن ساعد جده، ويلج على علماء الوقت فى السؤال، عسى أن يفتح عليه منهم فيما يبريه، ويظهر صدقه فى دعوى الإجماع، وإن لم يفعل شيئا من هذا، نسب إلى الظلم والكذب، والروغان عن الحق، وذلك لا يليق بطالب العلم، سيما وقد بلغ هذا المعارض من السن تسعين عاما أو قاربها، والجواب عن المسألة التى ألقاها على شيخنا البركة - والله سبحانه الموفق للصواب بمنه - أن جماعة من أكابر أئمتنا وعلمائنا المحققين المحدثين، اتفقوا على ولادة النبى - ﷺ - يوم الاثنين، فإن قلت: اليوم إذا أطلق - هكذا عم الدورة كلها، فمن أين تتحقق أحد زمانى الدورة؟ قلت: القرينة هنا تمنع من إرادة الليل، لأن جوابه - ﷺ - لمن سألته عن صيام يوم الاثنين، فقال له: فيه ولدت وفيه أنزل على، أخرجه مسلم فى صحيحه فى آخر كتاب الصيام، فتعين صرفه إلى محل الصوم، لا إلى الليل الذى هو محل النوم، كما عينت القرينة أيضا

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «أحمد يحيى».

قول الفقهاء: وأجاز مالك صوم يوم الجمعة منفردا. فكما عينت القرينة هنا الزمان المنحصر فيه الصوم، وهو ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فكذا عينته في جوابه - ﷺ - لمن سأل عن صيام يوم الاثنين، إذ لا فرق بين المسألتين، فإذا تقرر هذا عند السائل، وفهم شرح هذا الحبيب، وسلم صحته تعينت القضية أنها نهائية - لا محالة، ولا يكابر في هذا الكلام وصحة نقله، إلا رجل مصاب في عقله، ويبقى المعترض على حقه في سؤاله: أى الزمانين أفضل؟ فنقول - والله سبحانه المستعان - قال بعض العلماء من فقهاءنا وأئمتنا الماضين، المسلم له في فقهه، المشهود له بثقته وأمانته وحفظه، ما نصه: أعملت النظر في ظواهر النصوص الواردة في هذا الباب، فإذا هي أكثرها تشهد لولادته - ﷺ - نهار يوم الاثنين، ولم يبق ليوم الاثنين مزاحم إلا يوم عرفة، ويوم الجمعة، فموجب أفضلية يوم الجمعة، نبينا محمد ﷺ، وهى ولادة آدم فيه، وقبول توبته، وهبوطه إلى الأرض، وقيام الساعة، فيه رحمة لأمته، لئلا يطول مقامهم تحت الأرض، وهو العيد الذى اختصت به أمته كرامة له، كما اختصت اليهود بالسبت، والنصارى بالأحد، ويوم عرفة جاء فيه ما رويناه فى الصحيح من قوله: ما رُئى الشيطان يوما هو فيه أذل ولا أحقر من يوم عرفة، لما يرى من نزول الرحمات، وتجاوز الله - تعالى - عن الذنوب العظام والسيئات، فيوم عرفة ويوم الجمعة، من المواهب الربانية، التى منحها وأنعم بها على نبينا - ﷺ، فثبتت أفضلية يوم الاثنين، قال: وفضله باق مستمر، وشرفه ثابت، ومراعاة حرمة زمان ولادته مستمر. ثم قال: إذ لا نزاع فى الحديث الوارد فى يوم الاثنين وصحته، ولا يرد عليه شئ من الأسئلة الواردة فيما تقرر من المتون، وعند الأصوليين وأهل النظر. انتهى.

قلت: وبانتفاء اليومين المزاحمين للذين هما: الجمعة وعرفة، استقل بالأفضلية يوم الاثنين، الذى ولد فيه سيد الثقلين، وثبتت أفضليته على سائر الأيام، وبطلت حجة المعارض، وانقطعت واضمحلت، ولم يبق لها وجود، ومشى إجماعه الذى لا مستند له فى هبوب الرياح، عندما بدت رايات النصوص تقفو أثره بالعويل والصياح، فإن كانت المسألة التى جرى فيها الكلام بين سيدنا وبين المعارض، التى ادعى فيها الإجماع، هى مسألة يوم الجمعة هذه، فهذا هو قد سمع المعارض فيها ما قد سمع، وإن كانت غيرها، فالمعارض مرتهن بالمستند، فإن أتى به معزوا لعالم مرضى أمين على علمه، مسلم له فى علمه ودينه، فقد برئ، وعلم صدقه وأمانته، وكان مأمونا فى نقله، معمولا بقوله، وإن بقى على روغانه وحيدته، ظهر وهمه أو كذبه على العلماء، وقد كنت حين فرغت من هذا المجموع، أطلعت عليه الأستاذ الفقيه، الخطيب البليغ، أبا عبد الله محمد بن غازى، فرآه وأعجبه واستحسنه، وربما دعا لى بخير، ثم بعثت به إلى شيخنا وسيدنا، البركة العالم، العلم الشهير، سيدى أبى العباس أحمد الوائشريسى أبى الله تعالى بركته، فبقى عنده أياما عديدة ينظره ويتأمله، وقد كنت بعثت به إليه - ومعه ورقتان منفصلتان منه، تكلمت فيهما على بيت جلبه المعارض، ليضعف به كلام القاضى أبى الفضل عياض - رحمه الله، وهو البيت الذى ذكره فى الشفا - وهو قوله: لولا الأعادى والعوادى - البيت.

قال أحمد المقرئ: هنا انتهى التأليف المذكور، ثم وجدت متصلا به كلام المؤلف المذكور، ما نصه: الحمد لله، وكان من قضاء الله تعالى وقدره، حين وقع لأبى حفص ما وقع من اعتراضه على الإمام العالم العلم، ولى الله

تعالى، أبى الفضل عياض - رحمه الله تعالى ورضى عنه، وناولنى ما اعترض به عليه ليبيت عندى، فتأمله ونساعد عليه، فقيد على اعتراضه بعض كلمات، ثم بعثت بها لسيدنا أبى العباس الوانشرىسى - رحمه الله تعالى، فلما نظرها، أعجبت به وأثنى عليها ثناء حسنا، وكتب لى بذلك، فسرني وفرحني، وأشار على بأن أكمله ونضيف إليه شيئا من فصول كنت ذكرتها له، حتى يجتمع منه مجمع حسن - فى نظره الجميل، فكان - كما قال بنيت الصالحة، وزادنى ذلك نشاطا وقوة فى نفسى ببركته والكتب التى كتب لى بخطه، وأثبتته فى آخر ورقة من أول هذين المجموعين، ثم إنه - رضى الله تعالى عنه - تعقب على خمس مسائل من المجموع المذكور، وكتب على كل مسألة منها حاشية حسنة جيدة، باعتبار ظاهرها، وأمرنى أن نبذل منها ألفاظا، وقد كنت كتبت ما كتبت، وفرغت منه، وأردت أن أجمعها حتى ينظر فيها، وبدأت بجمعها بالحاشية الرابعة من حواشيه كيف تيسر فى الوقت، كتبت جميعها بصنع يخالف شرحها، ليسهل ذلك على الناظر فيها، والخمس المسائل المتعقبة، هى مجموعة فى ورقتين، على كل مسألة منها حاشية - رحمه الله تعالى بخطه، فأزلتهما من الأصل، وأبدلتها بغيرهما، وجعلتهما فى آخر هذا المجموع، فينظر فى الحاشية وأصلها. انتهى.

قال أحمد المقرئ - وفقه الله: ثم وجدت بعده ما نصه: «لوامع الدرر، على أبداع الطرر» - الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، ومما يجب أن يكتب عقب هذا المجموع، قضيتنا مع شيخنا الفقيه العالم العلم، أبى العباس أحمد الوانشرىسى - أبى الله تعالى بركته، وحسن عاقبته، وذلك أنه اطلع على مجموعنا المسمى بـ «الإعلام للقريب والنائى، فى بيان خطأ عمر الجزنائى»، فأعجبه جدا وأثنى

عليه ثناء حسنا، وكتب عليه بخطه، غير أن بيتنا واحدا جلبه المعترض عمر المذكور، ليستشهد به على ضعف معنى بيت عياض - رضى الله تعالى عنه، وبيت عياض قد تقدم - وهو قوله:

لولا الأعادى والعوادى زرتها أبدا ولو سحبا على الوجنات
والبيت المستشهد به على ضعف بيت عياض، هو ينسب إلى أبى الطيب
الواعظ كان معاصرا للخمى - رحمه الله تعالى، وكان يحضر مجلسه،
والبيت هو قوله:

إن كان سفك دمي أقصى مرادكم

فما غلت نظرة منكم بسفك دمي

فلما تأملت البيت المستشهد به، ظهرت لى فيه وجوه تحطه عن رتبة
الاستدلال، ويبقى بيت عياض - رحمه الله تعالى - على ما هو عليه من
الحسن والكمال، فاستطردت الكلام على تلك الوجوه، ولم أجد بدا من أن
أبسطها، وطال الكلام فيها، فجاء شيخنا - أعزه الله تعالى - وعابه بالطول،
وتعقب علينا فيه ألفاظا، وكتب عليها حواشى وطررا تقتضى - بزعمه -
خطأنا فى تلك الألفاظ، وعاب عبارات منها لخشونتها وسماجتها، وأمرنا أن
نبدلها ونتلطف فيها، لأن فيها قلة أدب على المشايخ - رضى الله تعالى
عنهم، وكنت كتبت ذلك وسطرته، فأبقيته على ما هو عليه حتى ينظر فيه
الناظر ويتأمله، وأنا أذكر - إن شاء الله - تلك الحواشى بنصها، مرتبة على
كلامنا، ثم نذكر جوابنا عليها كل حاشية بجوابها.

الحاشية الأولى رتبها - رضى الله تعالى عنه على قولنا: فكما هو الآن، القاصد إلى الحج، أو إلى زيارة قبره - ﷺ، من قطرنا، ممنوع شرعا، فلا يبعد أن يكون ذلك فى زمانه - رضى الله عنه - لوجود المانع المذكور فى الزمانين، والعلة فى ذلك الإلقاء باليد إلى التهلكة. انتهى.

ونص الحاشية: قلت: قولكم ممنوع شرعا، فيه تحامل على المذهب، لأن الذى عليه الناس فى انتفاء السبيل الآمنة بوجود المانع والقواطع فيها، إنما ينهض إلى سقوط فرض الحج، ويبقى على الإباحة والندب والكراهة، وأما منعه وتحريمه فلا - خلافا للشذوذ، فلا يسعكم الاقتصار عليه. وإن قلت: قصدنا بالمنع الكراهة، فخلافا للظاهر، ومما لا يخطر بالبال إلا بالأخطار، ويقال لكم أيضا: اقتصرتم على الكراهة، ولم تعرجوا على الإباحة والندب - وهما مما للمكلف فيه مجال، فالكلام غير محرر فلا يسلم مطلقه من القلق والعجرفة، وكلاهما مما لا ينبغى، فتأمل - منصفا واقفا مع الحق - انتهت.

قلت فى الجواب عنها: لعلكم - رضى الله تعالى عنكم - أشرت فى قولكم: تحامل على المذهب، إلى إعمال القاعدة المشهورة، الجارية على السنة العلماء كثيرا فى المجالس العلمية وغيرها، وهى قولهم: الوسائل حكمها حكم المقاصد، وكأن المقصود عندكم هو الحج، والوسيلة هى الذهاب والقصد إليه، فالحج عندكم لا يوصف بكونه ممنوعا شرعا فى زماننا، وغايته سقوط فرضيته - كما صرحتم به لقيام الموانع والقواطع الموجودتين فى زماننا، وكلامكم هذا فى غاية الحسن والصواب، ويبقى الكلام فى القاصد والذاهب إلى الحج فى وقتنا، فوصفناه نحن بكونه ممنوعا شرعا لإلقائه بيده إلى التهلكة، فقلت أنتم - رضى الله تعالى عنكم - نحن نقول بمنع الحج الذى

هو المقصود، فكذلك فى وسيلته التى هى : الذاهب والقاصد - عملا بالقاعدة، فيتعين على هذا، خطأكم وتحاملكم على المذهب - على كل حال.

وهذه القاعدة - سيدى - تعقبها الإمام، العالم الدارك، أبو العباس القرافى - رضى الله تعالى عنه فضعفها ووهنها وعطلها عن الأعمال، وسلك بها طريق الإهمال، لكونها خولفت فى بعض الصور، ولم تطرد عنده لمعارض عارضها، حتى يقوم الدليل والبرهان على ذلك المعارض أنه مقصود فى نفسه، وإلا، فالقاعدة منخرمة عنده.

قال رحمه الله فى الفرق الثامن والخمسين ما نصه: تنبيه! القاعدة: أنه كلما سقط اعتبار المقصد، سقط اعتبار الوسيلة، فإنها تبع له فى الحكم، وقد خولفت هذه القاعدة فى الحج فى إمرار موسى على رأس من لا شعر له، فيحتاج إلى دليل يدل على أنه مقصود فى نفسه، وإلا فهو مشكل على القاعدة. انتهت.

فإذا تقرر هذا وعلم صحته بعد الوقوف عليه، ظهرت براءتنا من التحامل على المذهب، وبقي كلامنا على ما هو عليه محررا من أن القاصد إلى الحج، أو إلى زيارة قبره - ﷺ - من قطننا فى زماننا ممنوع شرعا، وسلمنا - والحمد لله - من القلق والعجرفة بشهادة من سلم له فى العلم والدين والإنصاف والمعرفة.

الحاشية الثانية: رتبها على قولنا: فرأى عياض - رحمه الله - أن زيارة قبره - ﷺ - لا يدوم على حال، وغلب السلامة فى الزمان المستقبل، ورجا أن ما تعذر فى الوقت يتحول. انتهى.

ونص الحاشية: قولكم: غلب السلامة... الخ، الأمور المستقبلية كلها وهمية، فلا يتصور معها غلبة، وإذا كانت الأعذار موكولة إلى نظر المكلف، فلم تبعثرون عنها بالحدس والتخمين، وذلك كله ضرب في حديد بارد، لا يومن معه من الوقوع في الخطأ والخلل، والدين النصيحة، ونعوذ بالله من الفضيحة. انتهى.

قلت في الجواب عنها ما نصه: المتبادر إلى الأذهان، أن الأمور المستقبلية الوهمية، كلها عدمية، وهى ضد الحقائق الوجودية، وباعتبار تصور وجودها في الأذهان، فلا بد من تقاسمها الثلاث، وهى الظن والشك والوهم، فالوهم مرجوح أبداً، والظن راجح، والمساوى شك، وقد نص على هذا علماؤنا المحققون - رضى الله تعالى عنهم، وسيدنا - رضى الله تعالى عنه - أجمل في كلامه، وحجر ما هو واسع، وحصر الأمور المستقبلية كلها، وحكم عليها بأنها وهمية، وليس ذلك بتحقيق، وهو لمن تأمله وأبقاه على إطلاقه يؤدى إلى أمر فظيع، وحال شنيع، على ما يقتضيه العقل، ويحكم به العلم، فتفسد بذلك الأحوال، ويختل النظام، وتحجى الحيرة، ويتشتت العقل، ويتغير خاطر، ويتنكد العيش، ويشتد القنط الذى هو من العقوبات، وينقطع الأمل الذى هو من أعظم الرحمات، ثم لنا أن نقول إن هذه الغلبة التى أنكرها سيدنا فى الأمور المستقبلية قد تتأكد فتبلغ درجة المندوب، وربما بلغت درجة الواجب، لأن ذلك يصير من باب حسن الظن بالله تعالى، وقد جاء فى الصحيح عنه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا تطيرت فلا ترجع فنهى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - هذا المتطير عن الرجوع لثلا يقع فى مهواة سوء الظن بالله تعالى، وأمره أن يمضى على رسله، ويغلب السلامة فى الأمور، ويحسن ظنه بمولاه - جل وعلا، وهذا

نص صريح، أو كالنص فى تغلب السلامة فى الأمور المستقبلية، فأين هذا من قول سيدنا: والأمور المستقبلية لا يتصور معها غلبة، ومما يزيد كلامنا هذا قوة وبياناً، ما ثبت عنه - ﷺ - أنه كان إذا سمع فألاً حسناً، ظهر السرور فى وجهه واستبشر. قال علماؤنا - رضى الله عنهم - لأن ذلك من باب حسن الظن بالله تعالى، وبذلك فسروه، وعليه حملوه، ففيه أيضاً تغليب وقوع ما سمعه - ﷺ - على نحو ما سمعه، وهذا كله من باب حسن الظن بالله تعالى. وقوله - رضى الله عنه - وإذا كانت الأعذار موكولة إلى أمانة المكلف، فلم تبعثون عنها إلى آخر الطرة.

قلت: هذا التبعر الذى أوجبت نصيحة سيدنا التحذير منه، والنهى عنه - وكأنه عنده من جملة ذنوبنا الموقعة فى الخطأ والخطأ، وأنواع المعاييب والزلل، فيجب عنده أن نقلع عنها فى الوقت، نتوب قبل أن تحل بنا فضيحة، أو تنزل بنا قارعة، فإن الإصرار على الذنوب، موجب لحرمان المثوبة، وتعجيل العقوبة، ونسأل الله - تعالى - العافية، كما نسأله - جل وعلا - بحرمة هذا الشيخ العالم، الولى الصالح، الوجيه عند الله تعالى، المقرب منه، أبى الفضل عياض - رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته - أن لا يجعلنا ممن يقلع عن هذا الذنب، ولا يرجع عن هذا التبعر، وأن يمينتى مُصِراً عليه، حتى نلقاه، فإنه العالم بالنيات، والخير بالطويات، يعلم ما احتوت عليه سريرة كل واحد منا، وأنتم - سيدى وبركتى - إذا نظرت بعين الإنصاف، الذى هو من شيمة السادة والأشراف، لم تجد فى اعتذارنا عن الشيخ - رضى الله تعالى عنه - عيباً ولا كذباً، ولا فحشاً ندلسه به ولا قلة أدب، ولو قدرنا وفرضاً - أن هذه القضية اتفقت لكم، ووقع منا هذا الاعتذار، والتبعر عنكم وفى جانبكم، فلا نشك - أنا ولا غيرى ولا نرتاب،

أن نفسكم تطيب بذلك غاية الطيب، وتبتهج به غاية الابتهاج، وتشكرنى عليه، وتدعو لى بكل خير، لأنه اعتذار حسن، لائق بمقام السادات وأهل الفضل مثلكم، وإن كان هذا معكم - بارك الله تعالى لنا فى عمركم، مع وجودكم وقيام ذاتكم، يحسب أنكم ممن يخاف ويرجى، مرجو الثواب الجسيم، والأجر العظيم - عند الله تعالى، فما الظن بمن ألصق خده بالتراب، وانقطعت عنه الأسباب، وكان مقربا وجيها عند رب الأرباب. وبعد: فتأمل هذا الاعتذار والتبعر، والنظر فيه وتكراره على الألسن عند ناظره ومتأمله، فيكون غرضه - قل تكراره أو كثر، لأنه من الأعمال، فيا فرحاه ويا بشراه، من يعرض اعتذاره هذا، وتبعثره فى كل أسبوع مرتين على سيد هو عند الله تعالى بهذه المثابة، أتراه يخيب أمله، أو ينقطع رجاؤه، أو يضمحل عمله؟ وقد جاء فى الأثر، إن من الحسنات ما هو مقبول ومردود إلا الصلاة على رسول الله - ﷺ، فإنه مقبول غير مردود.

قال علماؤنا - رضى الله عنهم - وإدخال السرور على قلب المؤمن، وما يفرحه ويشرح صدره، مثل الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم فى القبول وعدم الرد. فإذا تقرر هذا وتعين صدقه بان، وظهر الحق الذى لا شك فيه واستبان، فحسن من سيدنا أن يقول: ضرب فى حديد بارد، والدين النصيحة، نعوذ بالله من الفضيحة؟ فليت شعرى أى مناسبة بين الكلامين؟ وأى اقتراب بين البابين؟

الحاشية الثالثة: رتبها على قولنا، وأما البيت الذى أنشده الواعظ فى مجلس اللخمى - رحمه الله تعالى وهو قوله: إن كان سفك دمي - البيت، فقد وقع فى محله، وأسكت القوم حسن نظمه، وبديع ألفاظه، ويبقى الكلام فى قائله، فلا شك أن قائله إلى قولنا أبدا إلا هكذا، انتهى.

قال - رضى الله عنه - فى حاشية فى هذا المحل ما نصه: قلت: كيف يكون حب من عاوض على نظرة واحدة من محبوبه بإراقة دمه المعصوم فى مرضاته، أنزل من حب أولئك، حتى يكون مدخولا معلولا، مع تصريحه برخص العوض وتفاهته، ونفاسة المعرض، وإن كان أقل درجات الوصال بالعطف على المحب، والرقعة عليه؟ لا أدرى ما هذا؟ بل قد يقال مقام هذا الواعظ - وهو أبو الطيب أقوى، ولهذا قال المازرى: واستحسن اللخمى هذه النادرة من جهة طريق التصوف، لا من جهة طريق الفقه - يشير إلى أن المحبين، وأصحاب الأحوال - كهذا الفاضل، لا ينكر فى حقه عدم المبالاة بالمهج والأنفس فى رضى محبوبه، ونيل مطلوبه - والله تعالى أعلم. انتهى.

قلت فى الجواب عنها ما نصه: نحن وسيدنا وفاق على وجود المعاوضة الصادرة فى البيت من قائله، ووجود تلك المعاوضة المتفق عليها نحن وأنتم، هى عين الدخول والشوب والعلة، لأن من حجة المحبوب أن يقول: لو كان حبك صادقا - ولا دخل فيه، ما بذلت سفك دمك على نظرة فى وجوهنا، ولفوضتم لنا أن نحكم فيكم بما شئنا من سفك دم أو غيره على قاعدة كل محبوب أن الحكم له، فلما عوضتم لأنفسكم، واحتطتم لها، صار تنعمكم وتلذذكم بنظرة فى وجوهنا، كأنه مشروط فى أصل عقد معاوضتكم، والمحب إذا احتاط هذا الاحتياط خرج بذلك عن قاعدة المحبين، وصار حبه كما قلنا مدخولا، مشوبا معلولا، وما أنكره سيدنا من قولنا: حبه مدخول مشوب معلول، ثم قال: لا أدرى ما هذا - على جهة الإنكار؟ جوابه: أن الأستاذ الإمام الأوحى، أبا القاسم القشيرى - رحمه الله تعالى - ادعى الإجماع على ما قلناه، وصحح قولنا، نص عليه فى التعبير فليُنظر هناك. قال فى التعبير

ما نصه: وأجمعوا أن كل محبة تكون على ابتغاء بذل عوض تكون معلولة، حتى تكون صافية من كل طمع. انتهى.

قال ابن عطاء الله، فى حكمه - رضى الله عنه: ليس المحب الذى يرجو من محبوبه عوضا، أو يطلب منه غرضا.

وقال سيدى محمد بن عباد - رحمه الله تعالى: أما من رجا العوض، وطلب الغرض من محبوبه، فليس هو من مقام المحبة فى شىء.

وقال أبو عبد الله القرشى: حقيقة المحبة: أن تهب كلك لمن أحببت، حتى لا يبقى لك منه شىء.

وقول سيدنا فى آخر هذه الحاشية: ولا ينكر فى حق هذا الفاضل، عدم المبالاة بالمهج والأنفس فى رضى محبوبه، ونيل مطلوبه.

قلت: لا يتصور رضى المحب للمحسوب، إلا مع التفويض التام، المطلق العام للمحسوب، حتى يحكم بما يشاء، مع الإلقاء باليد إليه، وعدم الاختيار معه، وسلب الحول والقوة وعدة التدبير معه، أما حيث يحتاط لنفسه، ويختار لها فى معارضته ما تبتهج به نفسه، وينشرح به صدره، فليس هو من المحبين، فضلا أن يكون حبه مدخولا معلولا، بشهادة العالمين الوليين الصالحين، أبى العباس بن عطاء الله، وأبى عبد الله بن عباد. فقول سيدنا: فى رضى محبوبه، ونيل مطلوبه، كلام جرى على لسانه من غير تدبر ولا تأمل، فرضى المحبوب الذى ذكر، هو فى الحقيقة راجع لرضى نفسه، لا لرضى محبوبه. انتهى.

الحاشية الرابعة، رتبها على قولنا. فإطلاق المحب على هذا الواعظ،

محمول على المجاز إن كان هو قائل البيت، والحب الصادق الخالص، حب رشيد فى قوله:

وتالله لو أن الأسنّة أشرعت وقامت حروب دونه ما تركناه

قال رضى الله تعالى عنه ما نصه: قلت: دعوى المجاز لا سبيل لها هنا، ولا مجاز، لأن المجاز ما تجوز به عن موصوف، ولا يجوز فى كلامه، ولقائل أن يقول إن كلام ابن رشيد خرج مخرج المبالغة والتكنية، فالمعتبر فيما كان من هذا القبيل، معناه لا لفظه فيصير المجاز فى جهته أظهر - والله أعلم. انتهت.

قلت فى الجواب عنها ما نصه، قد تقدم لنا أن من شرط المحب الصادق فى حبه، أن يكون مفوضا لمحبوبه، وأن لا يختار معه، وأن يترك مراده وهواه لمрад محبوبه، فإذا كان كذلك، كان إطلاق الحب عليه حقيقة، وإن انتفت هذه الشروط، واختار لنفسه ما يليق بها من المعاوضة المذكورة وغيرها، واتبع حظ نفسه وهواه، كان إطلاق الحب عليه مجازا - وهذا سيدى، فى غاية الظهور والبيان، فأين قولكم: دعوى المجاز لا سبيل لها هنا؟ وقول سيدنا: ولقائل أن يقول: إن كلام ابن رشيد خرج مخرج المبالغة والتكنية.

قلت: فى الجواب عن ذلك: هما من خواص الشعراء، وكثيرا ما يستعملونهما فى كلامهم، وليس ذلك من شأن المحبين، ولا هو فى طبعهم، ولا هو من أخلاقهم، وهم منزهون عن المغالاة والكذب فى حبهم، ودعهم صالحين كانوا أو طالحين، فلا يحملون فى دعواهم الحب إلا على الصدق، سيما هذا السيد الذى هو: ابن رشيد الذى أشرتم إليه، فكلامه أبدا محمول على الصدق فى كل حال دون يمين، فكيف ينسب له ما لا يليق به من

المغالاة والكذب فى حبه - مع كونه أقسم بالله العظيم، وحلف يمينا قال فيها: وتالله لو أن الأُسنة أشرعت - البيت، فلا سبيل لدعوى المغالاة والكذب لهذا السيد، إذ لا يليق ذلك به.

وأما الشعراء، فذلك من شأنهم وشئشئهم ومن أخلاقهم، ويرون أن أحلى الكلام عندهم، وأرقه وأعذبه، أكذبه، فيستميلون بذلك القلوب الحشنة الكثيفة حتى تحن وترق، ويستمطرون بذلك المنح والعطايا فى الأيدى الممسكة، المجبولة على البخل، حتى تبذل العطاء الجزيل، وهذا الباب باب واسع، رحب المجال، وبحر لا ساحل له، والحكايات فى هذا المعنى، لا تنحصر ولا تحصى، ولا تنهاى قضاياهم وأخبارهم فيها ولا تستقصى، وقد أخبرنا مولانا، فى كتابه العزيز فى مغالاة الشعراء وعدم صدقهم فى قولهم وكلامهم، فقال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ (٢٢٦) [الشعراء]؟ فالمغالاة والتكينة التى ذكر سيدنا، هى من خواص هؤلاء القوم. انتهى.

الحاشية الخامسة، رتبها على قولنا، فخرج من هذا، أن المعارض لم يشم من بيت الواعظ رائحة حظ نفس قائله، وطلب راحتها وبلوغ أملها، ونيل شهوتها. انتهى.

قال - رضى الله عنه فيها: ما نصه:

قلت: قوله رائحة حظ نفس قائله إلى آخره، لا يخفى على من جبله الله - تعالى - على توقير المشايخ وتنزيههم، وتعظيم أقدارهم، ما فى هذه العبارة من خشونة وسماجة الأدب، مع الفاضل أبى الطيب، فليحسن العبارة ويتلطف فى الإشارة، وقد طولتم فى غير محل الطول، وهو مظنة التمشدق

والتنهيق بما لم تمس إليه حاجة، ولا سيما مع عدم الذوق، ومكابدة الشوق، وعدم تقدم المشول بين يدي شيخ ما هو في الطريقة فتاح، فما أرى خوضي وخوض أمثالي في هذا المقام الشريف، العزيز الوجود، الصعب المنال، إلا محض تطفل وتعالج ما تيسر في المقدور، وتشبع بما لا يملك. أستغفر الله، أستغفر الله. انتهت؟

قلت في الجواب عنها، ما نصه: هذه اللفظة، التي شنعها سيدنا، وعظم أمرها، ونسبنا فيها إلى الخشونة والسماجة، وسوء الأدب، هي عند المحققين لفظة مشتركة على وجهين، وجه منها محرم بإجماع لا يليق أن يتصف به المشايخ والوعاظ، وأهل الفضل من أهل العلم والخير، ووجه آخر، قد يجوز ذلك في حقهم، وليس في حقهم بمحرم، وغايته الإخلال ببعض الكلمات، فالوجه الأول المحرم كثيرا ما يتعاطاه عوام الناس فيما بينهم، فيصفون من توفرت فيه أسباب الكبر والعجب، أو بعضها من علم أو مال أو جاه أو جمال، أو شدة أو شجاعة أو فصاحة، أو صوت حسن، أو ما أشبه ذلك، فيقولون فلان يرى لنفسه حظا، ويعنون بذلك تكبره عليهم، وعلى أقرانه وأبناء جنسه، وهذا الوجه، نحن وسيدنا - متفقون على قباحتته وسماجته وخشونته - كما قال، ولم أقصد أنا لهذا الوجه، ولم أعنه، ولم يخطر لي قط ببال، ولا في كلامنا ما يدل عليه، والذي قصدته وعنيته، وانصب كلامنا وتوجه إليه، ما يتعاطاه أئمة الخير والصوفية كثيرا، وأصحاب الأحوال، وقد ملئوا بذلك دواينهم وكتبهم، فالمنقطعون منهم إلى الله تعالى الزاهدون في الدنيا، لا يشاهدون في تصرفهم غير الله تعالى، ولا يؤثرون على أنفسهم سواه، فإذا وقعت من بعضهم غفلة وميل لحظ نفس من اتباع

شهوتها، ونيل غرض من أغراضها، أدبهم على ذلك، فبعضهم يؤدبه بالضرب الوجيع ظهرا وبطنا، وبعضهم بالحجب عن مقامه الذى هو فيه، أو مقام توجه إليه، وبعضهم بحرمان الطاعة أو بالفتور عنها، وبعضهم بقطع شراك نعله فى ذهابه إلى المسجد، وكلهم يطلعهم الله تعالى - على تلك العقوبة، ويفهمه ذلك الأدب - رحمة منه - سبحانه ولطفًا، كل على قدر مقامه، وما يستوجبه من الله - تعالى .

ذكر الأستاذ القشيري - رضى الله تعالى عنه - أن رجلا من الزهاد، كان يشتهى الخبز والعدس زمانا طويلا، فكان يمنع نفسه، ويجاهدها فى ذلك، فاتفق أن وجده يوما فأكله، فلما فرغ من أكله، ونالت نفسه حظها وشهوتها منه، أبصر فى حانوت بقال قوارير من زجاج - وفيها خل، فظن أنها خمر، فقال: منكر وجب على تغييره، ففتح الحانوت، وأخذ تلك القوارير يصبها دنا دنا فى الأرض، فجاء صاحب الحانوت، وحمله إلى الحاكم، فضربه مائتى خشبة، وطرحه فى السجن، فلما قدم الأستاذ - وأظنه أبا عثمان - فسأل عنه، فقليل له: هو فى السجن، فلما دخل عليه، قال له: ما هذا؟ قال له: شبعة خبز وعدس، وجلد مائتى خشبة، وسجن أربعة أشهر، فقال له: نجوت مجانا، حيث كان ذلك على سطح بدنك، ولم يكن فى باطنك، فشفعه إلى الحاكم وأطلقه، وحسبك تأييدا لهذا الباب الواسع، الذى لا تحصى قضاياها، ولا تنضب آدابه، ولا تتبع مزاياه، قضية آدم عليه السلام الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (١١٩)﴾ [طه]. فلما نسى - عليه السلام - هذا الوعد لما سبق فى سابق علمه، مد يده إلى رغبته، ومال إلى حظ نفسه وشهوته، فلقى ما لقى

(١) الذى فى المطبوع: «ونالت نفسها».

من مفارقة الجنان، والوقوع فى الهموم والأحزان، وفى القضية طول واعتبار، ولتأملها زيادة إيمان واستبصار.

قال بعض العلماء: والله ما أهبط الله سبحانه آدم من الجنة لينقصه، وإنما أهبطه منها ليكمله، فإذا تقرر هذا، وعلم منه صدقنا فيما أشرنا إليه من حظ النفس، وتفسيره على مذهب القوم - رضى الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم - ظهرت براءتنا فيما نسبنا إليه سيدنا من الخشونة والسماجة وسوء الأدب، وأمره بتبديل العبارة، والتلطف فى الإشارة، ولكن كل واحد يجازيه الله تعالى على قدر نيته، و﴿... كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ...﴾ (٨٤) [الإسراء]. وقول سيدنا: وقد طولتم فى غير محل الطول، جوابه أن هذا الكلام، وهذه العبارات، وهذه الأفهام - وهى فضل الله العظيم، وفضله - سبحانه - يؤتیه من يشاء كيف يشاء، والناس أبدا مختلفون ومتفارقون فى هذا المعنى، ويستحيل أن يكونوا كلهم على طبع واحد، أو خلق واحدة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ...﴾ (٢) [الإنسان]، وقد جعل الله سبحانه هذا العلم، أمانة عند صاحبه، وعرض سبحانه تلك ﴿... الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ...﴾ (٧٢) [الأحزاب] كل ظلوم وجهول منا، فإذا علم صاحب هذه الأمانة، أنه لا يحصل إفهامه بالقائه العلم، أو كتبه أو بيانه، إلا بمقدار يعلمه، وكنتم منه شيئا كان كاتما للعلم، خائنا له، مسئولا عنه، حيث لم يبلغ ما لا يشك أنه يصل إلى أفهام السامعين، أو الناظرين المتأملين، فكيف يعيب سيدنا علينا ما نحن مسئوليون عنه، وهو موكول إلى نظرنا وأمانتنا، فإن قصرنا عن يقيننا، كنا غاشين خائنين.

ولقائل أن يقول: الحواشى أبدا هى محل الاختصار، والإشارة فيها بأدنى شىء يكتفى به، مع أنكم تخاطبون فيها من تظنون أنه يفهم إشارتكم، فلم طولتم ذلك الطول؟ وقول سيدنا أيضا: وهى مظنة التمشدق والتفهيق - إلى آخر تلك الجملة، جوابه أن التعليل بالمظان عند علمائنا - رضى الله عنهم، كاف فى الأحكام، سواء وجدت تلك العلة أو لم توجد، فمن أين علمتم أن قصدنا إنما توجه للتمشدق والتفهيق، فالقلوب لا سبيل لكم إلى تشريحها وانشقاقها - حتى تعلموا ما فيها، فلم يبق إلا سوء ظن، و﴿... إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...﴾ [الحجرات]، وأنتم قد أنزلكم الله - سبحانه - منزلة شريفة، وأحلکم محلة منيفة، فكونوا حيث أنزلكم، ولا تفتحوا هذا الباب المغلق الذى سده الله - سبحانه - ورسوله على المسلمين، فتكونوا أنتم فاتحين له، فتنحطوا عن منزلتكم بفتحه، وتصيروا منهيين بعد أن كنتم ناهيين.

الحاشية السادسة فيها طول، ورتبها سيدنا على كلام المعترض - وكلام المعترض فيه أيضا طول، وإذا اختصرنا، أخللنا ببعض معانيه، فنذكر محل الحاجة من الحاشية، وجوابنا عليه - إن شاء الله تعالى.

قال رضى الله تعالى عنه: وحكى بعض الأكابر - إجماع الأمة على أفضلية ليلة القدر على يوم الجمعة، وعلى يوم عرفة فما حيلتك أيضا فى رد هذا الإجماع وإنكاره؟ انتهى.

قلت: هذا خطاب من سيدنا المعترض - كما قدمنا، وجوابه أن المعترض يقول بلسان حاله: نحن نقول فى إجماعكم بالموجب، وندعى أن الليل غير النهار، فلا يتم احتجاجكم علينا، ولا يتوجه إلا لما كان من جنس المجمع عليه، كليلة عرفة، وليلة الجمعة، وليلة النصف من شعبان، وليلة

الفطر والأضحى، ونحن لا نقول فأفضلية هذه الليالى على ليلة القدر،
والذى قلناه وكتبناه بخطنا، إجماع الأمة على أفضلية يوم الجمعة، فلا يحسن
احتجاجكم علينا، إلا لو نقلتم الإجماع على أفضلية يوم عرفة، أو يوم
عاشوراء، أو غيرهما من الأيام - مما هو من جنس ما ادعينا نحن فيه
الإجماع، وهى الأيام لا الليالى، وبتمام الكلام على هذه الحاشية، تم^(١)
الكلام على جميعها، ونسأل الله العظيم بجاه سيد الخلق، أن يسامحنا بما
قلنا، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، ولا يلطم به وجوهنا وبطوننا
وظهورنا، وأن يختم لجميعنا بالحسنى، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير،
وصلى الله على سيدنا محمد، خاتم النبيين، وسلم كثيرا، وأن يغفر لنا
ولو الديننا ولجميع المسلمين.

قال جامع هذا عبيد الله أحمد بن محمد المقرئ - وفقه الله: هذا آخر
ما وجدت من كلام هذا الرجل، وأوردته بطوله - لأنه لا يخلو من فائدة،
على أن فى بعض كلامه للنظر مجالا، وخصوصا ما نذكره فى شأن آدم -
على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فإن النفوس تنفر منه، وقد حذر العلماء من
مثله، والأعمال بالنيات.

ولنرجع إلى ما كنا بسبيله من نظم القاضى عياض - رحمه الله، فنقول
من نظمه - رحمه الله، قوله:

إذا ما نشرت بساط انبساط

فعنه - فديتك - فاطو المزاح

فإن المزاح قد حكاه

أولو العلم قبل عن العلم زاحا

(١) فى المطبوع: «ثم».

ومنه قوله :

لك الخير عندى لهذا البعاد فعقل يهيم وقلب يراع
يعزز علينا تنائى الديار وذاك سلامك لى والوداع
لكم أمل كان لى فى اللقاء وأمنية قد طواها الزماع
فلم أجن منها سوى حسرة فوجد جميع وأنس شاع
لئن حمل القلب ما لا يطاق فما كلف الجفن لا يستطاع

ومن ذلك قوله - رحمه الله ورضى عنه - وقد أنشدناه غير واحد من
أشياخنا، بسندهم إلى الإمام الرحال، أبى عبد الله بن جابر الوادى آشى، عن
القاضى أبى العباس بن الغماز، عن الخطيب أبى الربيع بن سالم، قال:
أنشدنى القاضى أبو عبد الله بن زرقون، قال. أنشدنا القاضى أبو الفضل
عياض، فى خامات زرع يتخللها (شقائق) نعمان هبت عليه الريح:

انظر إلى الزرع وخاماته تحكى وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح
قال: وحسبك بهذين البيتين، دليلا على سبقه وشاهدى عدل لمفضله
بسبقه - أقول لنا: وقد أطبق الناس على استحسان هذين البيتين، مع ما
فيهما من التضمنين، على رأى - حسبما نبه على ذلك بعض المتأخرين ممن
شرح الشفاء وقال الحافظ أبو الربيع ابن سالم: أنشدنا أبو عبد الله بن زرقون،
قال: أنشدنى القاضى أبو الفضل عياض لنفسه:

يا من تحمل عني غير مكترث

لكنه للضنى والسقم أوصى بى

تركنتى مستهام القلب ذا حرق

أخا هوى وتباريح وأوصاب

أراقب النجم فى جنح الدجى سهرا

كأننى راصد للنجم أو صابى

وما وجدت لذيد النوم بعدكم

إلا جنى حنظل فى الطعم أو صاب

قال أبو زيد بن القصير فى كتابه الذى ألفه فى مناقب من أدركه من أعيان عصره، وقد ذكر أبا الفضل عياض، فقال فيه بعد كلام: ومن شعره عند صدره من قرطبة بعد تقييده ما قيد بها من الروايات، وطلب بها من العلم ما طلب، وقد تنفس مودعه بزفرات الفراق، وأراق كل واحد منهم من الدمع للبين ما أراق:

أقول وقد جد ارتحالى لطيتى

وزفت على وشك الفراق ركائبى^(١)

وقد غمصت من كثرة الدمع مقلتى

وصارت هواء من فؤادى ترائبى

ولم تبق إلا وقفة يستحثها

وداعى للأحباب لا للحبائب

(١) قلائد العقيان، ص ٦٨٩.

رعى الله جيرانا بقرطبة العلى

وسقى رباها بالعهاد السواكب^(١)

وحى زمانا بينهم قد ألفته

طليق المحيى، مستلان الجوانب

أإخواننا بالله فيها تذكروا

معاهد جار، أو مودة صاحب

غدوت بهم من برهم واحتفائهم

كأنى فى أهلى وبين أقاربي

وقال الشيخ محمد بن البرذعى - رحمه الله: كان شيخنا الإمام العلامة، أبو عبد الله بن رشيد شديد البحث عن تمام هذه الأبيات السبعة المذكورة، وقال لنا: لم أقف عليها، ولا وجدت من ذكرها، أو كلاما هو من هذا المعنى، فاتفق أن وجدها صاحبنا أبو محمد البسيلي، فى الكتاب المعروف بقلائد العقبان. انتهى.

ومن نظمه - رحمه الله - يعتذر لمرض عرض له:

عسى تعرف العلياء ذنبى إلى الدهر

فأبدى له جهد اعترافى أو عذرى^(٢)

(١) فى الأصل: «الصوائب» والمثبت رواية قلائد العقبان.

(٢) قلائد العقبان، ص ٦٨٧.

فقد حال ما بينى وبين أحبة
ألفتهم ألف الخمائل للقطر
هم أودعوا قلبي تباريح لوعة
فنايهم أذكى وأنكى من الجمر
على أن لى سلوى بأن فراقهم
وإن طال لم يمزج بصد ولا هجر
سأفرغ للريح الشمال لعلى
أَحْمَلُهَا شوقاً تَلَجَلَجُ في صدرى
تبلغ منها للوزير تحية
معطرة الأرجاء دائمة النشر
تظله من حر كل هجيرة
وتؤنسه في وحشة البلد القفر
وتنبئه أنى أكن صباة
بحسن بدا في غير شعر ولا شعر
أهز بها عطفى من غير نشوة
وأرخبى بها ذيلا من التيه والكبر
وأنى أشدو فى النوادى^(١) بذكره

كما شدت الورقاء فى الغض القطر

(١) فى المطبوع: «النواحي» والمثبت رواية فلانند العقيان.

أجل وعساها أن تبلغ مهجتي

فأبلى بها عذرى وأقضى بها نذرى

ومن نظمه - رحمه الله :

ولكنها سبل صعب المسالك

لإتيان مال مال كل مؤمل

صراط وكم نأج هناك وهالك

كذلك جنات النعيم ودونها

ومن نظمه - رحمه الله :

أخذ مرة أمان الزمان

أترانى وما عسى أن ترانى

من شباب وصاحب وأمان

سلبتنى صروفه كل علق

علقت كفه بذاك الفلان

كلما حزت يغيثى بفلان

لم ترعهم روائح الحداث

عمرك الله هل سمعت بحى

ومن العجب أن ترى للتدانى

كل يوم طليعة لفراق

شاهدا ما تقوله الشعران

فاسأل الشعرين عنها وحسبى

فستدهى بأمرها الفرقدان

ودع الفرقدين إن جهلاها

وله أيضا :

للتى غادرت فؤادى عليلا

يا خليلي فاحملا بعض قولى

واذكرانى لها وقولا جميلا

بلغا عنى الثريا سلاما

فى يديها تخيلا مستحيلا

خلت أنى ملكتها وإذا بى

حين ألقى الدجى عليها السدولا

لست أنسى وكيف لى أن أنسى

هل إلى نظرة سبيل فإنى لست أبغى إلا إليها سبيلا
وله يخاطب الفتح صاحب القلائد عن كتابين كتبهما له معاتبا:
أبا النصر إن شدوا رحالك للنوى
فإن جميل الصبر عنك بها شدوا^(١)
وإن يتركوا قلبى مقيما ويرحلوا
فماذا ترى فى مهجة معكم تغدو؟
وقال أيضا:
ليهن العلى إن زفت الشمس للبدر
وحلى جيد الملك بالأنجم الزهر
وقرت عيون المجد أية قرّة
بيوم تعالى أن يكون من الدهر
لدن ساعة أفضت إلى كل بغسة
كما اعتلق الغواص بالدرة البكر
قران كلا السعديين فيه تلاقيا
كما يلتقى فى المقلة الشفر بالشفر
لتجر المنى فى حلبتيه مغذّة
فحق لها فى مثل ذلك أن تجرى

(١) قلائد العقيان، ص ٦٨٥.

بسعد أمير المؤمنين تطلعت

أساريه تندى بمائية البشر

نهناه نجل الملك حظا ممتعا

بعز إلى عز، وقدر إلى قدر

تمن بهما الأيام ثم ترودها

على بدئها ما فيه من كرم البر

وقال أيضا - رحمه الله :

غراء جامعة السرور

سمح الزمان بليلة

قطف الأمانى والحبور

أجنت أكف جناتها

فيما تقدم من دهور

ما فض طين ختامها

د بمثل أشباه البدر

دارت على فلك السعو

بتة العيون أو الصدور

من كل ما ملأت مها

را حازا إرثا عن أمير

ما إن ترى إلا أمي

وثووا بها عوض السرير

تخذوا القلوب أسرة

ء وإن تدوولت الأمور

فعليهم وقف العلا

وقال أبو الحسن بن شاکر الشقوری: أنشدنی القاضي عیاض لنفسه:

ولله قوم كلما جئت زائرا

وجدت نفوسا كلها ملئت حلما

إذا اجتمعوا جاءوا بكل فضيلة

ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

أولئك مثل الطيب، كل له شذى

وأجمه أذكى أريجا شما^(١)

قلت: كذا ذكر غير واحد من الشقورى، وفى ذلك - عندى نظر،
يتبين بما تراه الآن، وذلك أن ابن خاتمة، ذكر فى مزية ألمرية فى ترجمة
الإمام أبى القاسم بن ورد ما نصه: وحكى أبو عمر بن عات قال: رأيت أن
أبا بكر بن العربى، حدث أبا القاسم بن ورد، أن أبا حامد كان ينشد فى آخر
مجلسه:

إذا اجتمعوا جاءوا بكل فضيلة

ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

فوصله أبو القاسم بن ورد بيتين، أحدهما قبله - وهما:

ولله قوم كلما جئت زائرا وجدت شخوصا كلما ملئت فهما

أولئك مثل الطيب كل له شذى وأجمعه أذكى أريجا إذا شما

قال ابن العربى: أريجا لغة أهل خراسان. قال ابن خاتمة: وقد أنهيت
هذه الأبيات إلى خمسة، أنشدنى صاحبنا، الفقيه العدل، المشارك أبو عبد الله

(١) فى المطبوع: «ومجموعه يزداد ريجا إذا شما» ولا يستقيم به الوزن والمعنى، والبيت من
الطويل، وأثبتنا البيت الآتى بعد وهو تكرار لهذا البيت وذلك لصحة وزنه ومعناه. وجاء
بهامش المطبوع: «ريجا: ن: أريجا: ل وهو الصواب إذ لا يعم «ريج» عندنا بمعنى
«أريج».

محمد بن محمد بن الحاج الأنصاري، قال: أنشدني الشيخ المدرس، الحاج
الرحال: أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الرباطي التازي، نزيل فاس،
أنشدني تقي الدين بن دقيق العيد:

ولله قوم كلما جئت طارقا

رأيت شخوصا كلها ملئت فهما

إذا اجتمعوا جاءوا بكل طريفة

ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

تساقوا كئوس العلم روضة التقى

فكلكم من ذلك الرى لا يظما

نفوس على لفظ الجدل قد انطوت

فتبصرها حربا وتعلقا سلما

أولئك مثل الطيب كل له شذى

ومجموعة أذكى أريجا إذا شما

قال الفقيه أبو عبد الله بن الحاج، قال الشيخ أبو عبد الله بن عبد

الواحد الرباطي:

وكان شيخنا تقي الدين المذكور، إذا أنشد هذه الأبيات يقول: كانت

عسلا بمثلهم، فتعلقمت بمثلنا. انتهى كلام ابن خاتمة - والله أعلم بالصواب.

رجع، قال عياض يخاطب الحافظ أبا طاهر، أحمد بن محمد السلفي

الأصبهاني.

أبا طاهر خذها على البعد والنوى

تحية مرتاح، لذكرك شيق

طوى لك ما بين الضلوع مودة

يشف صفاء كالزلال المروق

يناجيك بالذكرى فيشفى غليله

ويخلص بالود الصحيح ويلتقى

أقمت عمود الدين والأثر الذى

سناء هدى للحق كل موفوق

وطار بك الصيت البعيد فلرخت

مآثره ما بين غروب ومشرق

فما من ثرى إلا بذكراك عاطر

ولا أفق إلا بنورك مشرق

بقيت لإسناد الحديث تقيمه

وللعلم تملئ منه كل محقق

ولا زلت تحوى كل فضل وسؤدد

وتسمو بمعراج الجلال وترتقى

فأجابه الشيخ أبو طاهر بقوله:

يميس اختيالا بين غرب ومشرق

أتانى نظم الألعى المونق

فطالعته مستبشرا فوجدته
وأنشدته الأصحاب بعد تأمل
فمطريهم مما رأى من فصاحة
ومطرقهم من حيرة وتعجب
وحق له هذا المحل عـلا
وأضحى فريدا فى الحديث وحفظه
وفى الفقه من بعد الذى هو علمه
وفاز بمجد ليس يرجو بلوغه
توارثه من والد متقدم
أبا الفضل خذ بالفضل فيما بعثته
فشعرك در والذى قد نظمته
وإلا كمثل الأتحمى متانة

وثق بوداد لا يزال مجددا
ودرس لما قد حزته وحويته
فنحن وإن لم يقض يا قاض بيننا

وجل اعتماد المرء فى الود إنما

نتيجة فهم فى البلاغة مشرق
فلم يبق فيهم غير مطر ومطرق
بلا كلفة فيها وغير تفيهاق
ومن دهش قد ناله وتقلق
على جرول فى نظمه والفرزدق
وقصر عنه كل فحل ومفلق
فقد فاق أهل الأفق قول محقق
مدى الدهر إلا كل أحقق أخرق
عن الجد قرم فى الرئاسة معرق
وطالعه ثم انبذه عنك وشقق
فمخشلب قولاً بغير تملق

وما صغته فى الوهن مثل الخدرنق
يزيد على مر الزمان ويرتقى
وغرس لغصن من ولائك مورك
لقاء فبالأرواح ندنو ونلتقى

عليه لما فى ضمنه من توثق

فلا زلت تبقى فى النعيم وظله

على وفق ما تهوى وعز محقق

وتلقى الذى عادى علاك معذبا

بطرده وتشريد وطول تفرق

فما إن يعادى عصبة الدين والهدى

سوى مارق، أو ملحد متزندق

ومما اشتهر من كلامه - رحمه الله - على طريق التورية يصف غداة

باردة:

كأن كانون أهذى من ملابسه

لشهر تموز أنواعا من الحلل

أو الغزالة من طول المدى خرفت

فما تفرق بين الجدى والحمل

ومن نظمه ما افتتح به رسالة هى مذكورة فى نشره من هذا الكتاب:

قل للأماجد - والحديث شجون ما ضر إن شاب الوقار مجون

ولئن غدوت من العلوم بموضع تومى إليه أصابع وعيون

فلدى للآداب نفس صبة فيها إلى ملح الظروف ركون

كنا افترقنا عند دعوى خطة ساءت بها فيما فهمت ظنون

فأتيت بالبرهان فيها نيرا وعدت عواد بعد ذا وشئون

وبعثت حيثئذ ليعلم أننى عين الزمان وسره المكنون

وله - رحمه الله فى الطريق الغزلى والنسيب:

يا راحلين وبالفؤاد تحملوا أترى لكم قبل الممات قفول
أما الفؤاد فعندكم أنباؤه ولواعج تتتابه وغليل
أترى لكم علم بمتزح الكرى عن جفن صب ليله موصول
أودى بعزمه صبره ولبابه طرف أحم ومبسم مصقول
ما ضرركم وأضنكم بتحية يحيى بها عند الوداع قتيل
إن البخل بلحظة أو لفظة أو عطفة أو وقفة لبخل
وقال رحمه الله:

الله يعلم أنى منذ لم أركم كطائر خانه ريش الجناحين
فلو قدرت ركب البحر نحوكم فإن بعدكم عنى جنا حينى
وقال رحمه الله:

أذات الخل كم ذا تتضيها على سيوف عينيك انتضاء
بمطلق لى مواد أقتضيها من التوريد واللعس اقتضاء
فقضى وعد مطلق وانجزيه خيار الناس أحسنهم قضاء

تذكرت هنا ما كتب به الشيخ الشهاب ابن حجر العسقلانى، إلى الإمام
بدر الدين بن أبى بكر الدمامينى، يهنئه بدخول العام، ونص ما -
للدمامينى^(١) فى حاشية شرح البخارى، وذكرت هنا أن الحافظ العلامة،
شهاب الدين بن حجر - نفع الله بعلومه، كتب إلى بالإسكندرية فى أول عام

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «للدينامى».

ثمان وتسعين وسبعمائة رقعة، يهنئ فيها بالعام المذكور، ونصها ومن خطه
نقلت - لله الحمد - فى سائر الأحوال :

أيا بدرا سما فضلا وأرضى رعيته، وفى الظلما أضاء
ويا قاضى القضاة ومرتضاها وأحسنها لما يقضى أداء
تهن العام أقبل فى سرور وأبدى للهناء بكم هناء
روى وأشار مقتبسا إليكم خيار الناس أحسنهم قضاء
ثم قال الدمامينى: فانظر إلى هذا الاقتباس الذى أشرق ضياؤه، واستمد
من هذه المشكاة الشريفة فبهر سناه وسناؤه، لله دره من شهاب، ثاقب الفهم،
وفاضل ضرب فى أغراض المعانى بأوفر سهم. انتهى.

رجع، ومن مشهور نظم القاضى عياض - رضى الله عنه - قصيدته
الفريدة التى نظمها على سور القرآن فى مدح سيد ولد عدنان - ﷺ، ولها
بركة عظيمة، وحق لها ذلك، ورأيت لبعض المحققين نسبتها إلى غيره، ويدل
عليه عدم ذكر جماعة ممن جمع نظمه لها فالله أعلم بصحة نسبتها إليه، ثم
تحققت أنها ليست له، وإنما هى للشمس بن جابر - حسبما ذكره فى شرح
البديعية فى الكلام على التورية، ولندكرها وإن لم تكن له تماما للفائدة،
وهى:

فى كل فاتحة للقول معتبره

حق الشاء على المعبوث بالبقرة^(١)

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٣٢٤.

فى آل عمران قدما شاع مبعثه
رجالهم والنساء استوضحوا خبره
من^(١) مد للناس من نعماء مائدة
عمت فليست على الأنعام مقتصره
أعراف نعماء^(٢) ما حل الرجاء بها
إلا وأنفال ذاك^(٣) الجود مبتدره
به توسل إذ نادى بتوبته
فى البحر يونس والظلماء معتكره
هود ويوسف كم خوف به منا
ولن يروع صوت الرعد من ذكره
مضمون دعوة إبراهيم كان وفى
بيت الإله وفى الحجر التمس أثره
ذوأمّة كدوى النحل ذكرهم
فى كل قطر فسبحان الذى فطره
بكهف رحماه قد لاذ الورى وبه
بشرى ابن مريم فى الإنجيل مشتهره

(١) فى المطبوع: «قد» والمثبت رواية نفح الطيب.

(٢) فى المطبوع: «رحماه» والمثبت رواية نفح الطيب.

(٣) فى المطبوع: «ذلك» ولا يستقيم به الوزن والبيت من البسيط.

سماء طه، وحض الأنبياء على
حج المكان الذى من أجله عمره
قد أفلح الناس بالنور الذى شهدوا
من نور فرقانه لما جلا غره
أكابر الشعراء اللسن قد خرسوا
كالنمل إذ سمعت آذانهم سوره
وحسبه قصص للعنكبوت أتى
إذ حاك نسجا باب الغار ستره
فى الروم قد شاع قدما أمره وبه
لقمان وفق للدر الذى نثره
كم سجدة فى طلى الأحزاب قد سجدت
سيوفه فأراهم ربه عبره
سباهم فاطر السبع العلى كرما
لمن بياسين بين الرسل قد شهره
فى الحرب قد صنفت الأملاك تنصره
فصاد جمع الأعادى هازما زمره
لغافر الذنب فى تفضيله سور
قد فصلت لمعان غير مختصره^(١)

(١) كذا فى النفح ج ٧ ص ٣٢٤ والذى فى المطبوع: «منحصره».

شوراه أن تهجر الدنيا فزخرفها
مثل الدخان فيعشى عين من نظره
عزت شريعته البيضاء حين أتى
أحقاف بدر وجند الله قد حضره
فجاء بعد القتال الفتح متصلا
وأصبحت حجرات الدين منتصره
بقاف والذاريات الله أقسم فى
أن الذى قاله حق كما ذكره
فى الطور أبصر موسى نجم سؤده
والأفق قد شق إجلالا له قمرة
أسرى، فنال من الرحمن واقعة
فى القرب ثبت فيها ربه بصره
أراه أشياء لا يقوى الحديد لها
وفى مجادلة الكفار قد نصره
فى الحشر يوم امتحان الخلق يقبل فى
صف من الرسل كل تابع أثره
كف يسبح لله الحصاة بها
فاقبلُ إذا جاءك الحق الذى قدره

قد أبصرت عنده الدنيا تغابنها
نالت طلاقا ولم يصرف لها نظره
تحريمه الحب للدنيا ورغبته
عن زهرة الملك حق عندما ذكره
فى نون قد حققت الأمداح فيه بما
أثنى به الله إذ أبدى لنا سيره
بجاهه سال نوح فى سفينته
حسن النجاة وموج البحر قد غمره
وقالت الجن جاء الحق فاتبعوا
مزملا تابعا للحق لن يذره
مدثرا شافعا يوم القيامة هل
أتى نبيء له هذا العلى ذخيره
فى المرسلات من الكتب انجلي نبأ
عن بعثه سائر الأخبار قد سطره
ألفافه النازعات الضيم حسبك فى
يوم به عبس العاصى لما ذعره
إذ كورت شمس ذاك اليوم وانفطرت
سماؤه ودعت ويل به الفجره

وللسماء انشقاق والبروج خلت
من طارق الشهب والأملأك منتشره
فسبح اسم الذى فى الخلق شفعه
وهل أتاك حديث الحوض إذ نهره
كالفجر فى البلد المحروس غرته
والشمس من نوره الوضاح مستتره^(١)
والليل مثل الضحى إذ لاح فيه ألم
نشرح لك القول فى أخباره العطره
ولو دعا التين والزيتون لابتدرا
إليه فى الحين واقراً تستبن خبره
فى ليلة القدر كم قد حاز من شرف
فى الفخر لم يكن الإنسان قد قدره
كم زلزلت بالجياد العاديات له
أرض بقارعة التخويف منتشره
له تكاثر آيات قد اشتهرت
فى كل عصر، فويل للذى كفره
ألم تر الشمس تصديقا له حبست
على قریش، وجاء الروح إذ أمره

(١) هذا المأثب فى نفح الطيب وهو أولى، والذى فى المطبوع: «مأثبره».

أرأيت أن إله العرش كرمه
بكوثر مرسل فى حوضه نهره
والكافرون إذ جاء الورى طردوا
عن حوضه فلقد تبت يدا الكفره
إخلاص أمداحه شغلى فكم فلق
للصبح أسمعت فيه الناس مفتخره
أزكى صلاتى على الهادى وعترته
وصحبه وخصوصا منهم عشره
صديقهم عمر الفاروق أحزمهم
عثمان ثم على، مهلك الكفره
سعد سعيد زبير طلحة وأبو
عبيدة وابن عوف عاشر العشره
وحمزة ثم عباس وآلهما
وجعفر وعقيل سادة خيره
أولئك الناس آل المصطفى وكفى
وصحبه المقتدون السادة البرره
وفى خديجة والزهراء وما ولدت
أزكى مديحى سأهدى دائما درره

عن كل أزواجه ارضى وأوثر من

أضحت براءتها فى الذكر مشتهره

أقسمت لا زلت أهديهم شذى مدحى

كالروض ينثر من أكمامه زهره

قلت: لم أر من سلك هذا السبيل، وانتمى فيه إلى خير قبيل - بعد
شدة الفحص والبحث، ولعمري أن ما أبداه هذا الناظم من ذلك، لا يجارى
ولا يبارى، وإن فى مثله لحكمة واعتبارا، قواف فى محلها متمكنة سهلة،
وألفاظ تسلب العقول من أول وهلة، ومعانى رائعة، وتوريات فائقة، وزاد
ذلك كله مدح خير العالمين عليه الصلاة والسلام، حسن طلاوة، وانسجاما
ورقة وحلاوة، فالله ينفع بالقصد فى ذلك والنية، ويبلغ الجميع غاية الأمانة،
غير أنى وقفت على قصيدة فى مقيداتي لا بأس بها، شاركت هذه القصيدة
فى طرف من نسبها، وهى من نظم الشيخ القلقشندى - رحمه الله، وهأنا
أثبتها تكميلا للغرض، وأداء لحق المصطفى - ﷺ - الواجب المفترض،
ونصها^(١):

عوذت حبى برب الناس والفلق

المصطفى المجتبى الممدوح بالخلق

إخلاص وجدى له والعذر يقلقنى

تبت يد لعذول جاء بالقلق

يهدى لأمته والنصر يعضده

والكافرون وعذالى على نسق

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٣٢٨.

هذا له كوثر، والدين شرعته
والمصطفى من قریش دین وتقى
ألم تر الماء قد سحت أصابعه
ویل لكل جهول بالنبی وشقى
فى كل عصر ترى آياته كثرت
أضحى تكاثرها فى سائر الأفق
وعند قارعة فهو الشفیع لنا
والعادیات من الأجفان فى طلق
وزلزلت من غرامى كل جارحة
وكل بینة تحكى لكم علقى
یا عالى القدر رفقا مسنى ضرر
فأالله قد خلق الإنسان من علق
ولو دعا التین والزیتون جاء له
والشرح عنه طویل غیر مختلق
یبدو كشمس الضحی واللیل طرته
كالشمس فى بلد والفجر فى أفق
أنى بغاشية لولاك یا أملی
أنت الشفیع إلى الأعلى وخیر تقى

كم طارق منك بالإحسان يطرقنى
مثل البروج أتى فى أحسن الطرق
وفى انشقاق فؤادى عبرة وبه
ويل من الصد والأجفان فى أرق
والانفطار به مما يكابده
والشمس قد كورت فى القلب واحرقى
والصب فى عبس والنازعات به
وقد أتى نبأ من دمعه الغدق
والمرسلات دما الإنسان جارية
إلى القيامة من دمعى ومن حدقى
وبالمدثر إنى مــــاسك أبدا
وبالمزمل إن أجمت بالعرق
فالجن والإنس فى خير ببعثته
هذا ونوح به أنجى من الغرق
وفى المعارج معراج الرسول علا
حقا وفى حاقة كنز لمخترق
والله مــــرسله فى نون بشـره
والملك خيره حتى رأى ولقى

وجاء بالحل والتحريم أمته
وبالطلاق من الدنيا لمنطلق
وفى التغابن تجار به ربحوا
إذ المنافق فى خسر وفى نفق
يا صاحب الجمعة الغراء يا أملئ
فى الصف عند امتحانى أختشى زلقى
وأنت فى الحشر عونى فى مجادلتي
عسى تزيل حديد النار من عنقى
وعند واقعة إن كان لى رمق
فاشفع إلى ربك الرحمن فى رمقى
لم أزع يا قمرى للنجم فى سهر
إلا لعلك من نار الجحيم تقى
قلبي الكليم غدا للطور مرتقبا
ودر دمعى بدا بالذاريات سقى
وقاف يعجز عن حمل الغرام بكم
وليس فى حجرات الوجد من رفق
إنا فتحنا قتالا للعدول ففى
أحقاف جاثية فى الغيظ والحق

دخان زخرف ما العذال فيه هبا
شورای تتركه فى أنف محترق
وهم بمن فصلت فى مدحه سور
نبينا المصطفى الهادى إلى الطرق
فغافر الذنب كم أعطى به زمرا
وكم سقى كفه صاد بمندفق
وليس غيرك فى الصافات أقصده
وأنت ياسين لى من سائر الفرق
يا فاطر، قد سبا الأحزاب طلعتة
كم سجدة لك فى الأسحار والغسق
لقمان يشهد أن الروم تعرفه
والعنكبوت فقد سدت على الغلق
هذا ولى قصص فالنمل قد كتبت
هامت بها الشعرا فى خده اليقق
تبارك الله من النور جملة
قد أفلح الحج لما زاره فوقى
يأيها الأنبياء^(١) طه ختامكم

ويابن مريم خذ من مكسه العبق

(١) فى المطبوع: «يأيها الأنبياء» ولا يستقيم به الوزن، والبيت من الوسيط.

لاذوا بكهف له سبحانه خالقه
حتى أتى إلا من بعد الخوف والفرق
فالركن والحجر حقا قد أضاء له
وذاك دعوة إبراهيم ذى الخلق
والله ربي برعب الرعد ينصره
مسير شهر بلا سيف ولا درق
فيوسف مع هود والخليل إذا
ويونس شربوا من كأسه الدهق
لتوبتي أرتجى الأنفال منه غدا
فلإننى رجل أضحيت فى قلق
أعراف أنعام أنعام له اشتهرت
وكم لمائدة أسدى لمرتزق
كل النساء لم تلد مثل الرسول إذا
فينا وفى آل عمران ولم تطق
أعطيت خاتمة من سورة البقره
لم يعطها أحد فيما مضى وبقي
فأنت فاتحة الأنبياء وخاتمهم^(١)
وكلهم قد أتوا بالعهود والملق

(١) الذى فى المطبوع: «فاتحة الأنبياء» ولا يستقيم به الوزن، والبيت من البسيط.

والقلقشندى محب قال سيرته
فى مدح خير الورى الممدوح بالخلق
فاقبل هدية عبد أنت مالكة
وانظر إليه فإن العبد فى قلق
صلى عليك إله العرش ما صدحت
ورقا على فن والورق فى الورق
انتهت. ثم وقفت على قصيدة أخرى على هذا النمط، سقط من آخرها
بيتان، وهى نظم فقيه، ولكن ذكرتها تبركا، ونصها:
بحمد إله العرش أستفتح القولا
وفى آية الكرسي أستمح الطولا^(١)
وفى آل عمران أتى ذكر أحمد
نساؤهم بالعقد قد أنعموا القولا
بأعراف رحماه بأنفال جوده
شرفنا وفضلنا وتبنا إلى المولى
له يونس نادى وهود ويوسف
وذاكره فى الرعد لا يسمع الهولا
ودعوة إبراهيم كان محمد
وفى الحجر خير الخلق قد فضل الرسلا

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٣٣١.

له أمة كالنحل قد صح فضلهم
فسبحان من أسرى بأحمدنا ليلا
علا فضله والناس فى كهف نيله
ومريم فى الأخرى يكون لها بعلا
وطه، له فضل على الخلق كلهم
ولكن جميع الأنبياء علا فضلا
ولولاه ما حج المقام وكعبة
فأفلح من قد طاف فيها ومن حلا
ومن نوره الوهاج كل منور
وفرقانه قد أحمد الكفر والبُطلا
ترى الشعرا كالنمل حول محمد
إذا قصص فى العنكبوت لهم تتلى
علا ديننا روما ولقمان عالم
بأن السيوف أسجدت كل من ضلا
والاحزاب يسيهم بحكمة فاطر
وياسين قد صفت له الملاء الأعلى
وصاد جميع الكافرون بزمرة
لهم غافر فى الحرب قد فصلت فصلا

وشوراه فى الدنيا بها كل زلفة
وقد زخرف الكفار فى دينهم جهلا
لقد رأوا الدخان حول بيوتهم
بجائية الأحقاف قلا قتلوا قتلا
محمدا لم يخلق الله مثله
وفى الحجرات فضله أبدا يتلى
وقد أنزل الجبار قافا بذكره
كما تذر الكفار ريح بها تبلى
بطور سما والنجم ما ضوء أحمد
كما قمر بل نور خير الورى أجلى
له الله رحمن وفى وقعت ترى
حديدا به الكفار يجدلهم جدلا
وقد سمع الغفار دعوة أحمد
بحشر ولكن بامتحان به تتلى
صففنا بجمع للأعداى فمنهم الـ
منافق إن الكفر فى درك سفلا
يرى غبنه فى الخير منهم مطلق
ولكن من يحرم نعيما فقد ضلا

لأحمد ملك لا يوازيه سيد
ونون لقد قلنا مقالا به نجلا
بحق لقد سالت أباطح مكة
بفضل له قد كان نوح به استعلى
صحيح بأن الجن جاءت لأحمد
ومزمل كان الغمام له ظلا
لمدثر فضل القيامة واضح
أتاه وجمع المرسلات حوت سبلا
وعم بجدواه فلا من منازع
فحيث تراه لا عبوسا ولا بخلا
لقد كورت شمس بها انفطر السما
لويل أتى الكفار وانشق واستولى
ولكن بروج الجو تزهو بأحمد
وفى طارق الأفلاك فضله الأعلى
وغاشية كالفجر حلت ببلدة
بها حرم أمن كشمس جلت ليلا
كأن الضحى وجه النبي محمد
به شرح الله الحنيفية الفضلى

فاقسم بالتين الذى عم نفعه
وبالقلم الأعلى لقدر له أعلى
ألم يكن الكفار قد ضل سعيهم
وقد زلزلوا بالعاديات كما يتلى
وقارعة جلت وألهاهم الهوى
ووالعصر إن الويل يقربهم نزلا
ألم تر أن الله فضل أحمدا
لا من قریش حیثما سلكوا السبلا
أرأيت بأن الكوثر العذب خصه
به جميع الكفر لن يردوا أصلا
لقد نصر الرحمن ربى محمدا
فأردى أبا لهب وم يكتسب نيلا
فيا أحد أنى بفضلك عائد
إذا غسق الديجور ناديت يا مولى
انتهى ما ألفيته، وقلت مكملا ما سقط منها^(١):
ويا مالكا للناس عبدك لائد
بعفوك فاغفر ما جنى عمدا أو جهلا
ويارب عاملنى بما أنت أهله
من الجود والرحمى وإن لم أكن أهلا

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ٣٣٢.

وصل على مسك الختام محمدا

أتم صلاة تملأ الحزن والسهلا

ولنرجع إلى ما كنا بصده فنقول: ومن نظم الإمام عياض ما أنشده

الإمام ابن رشد، قال:

أنشدني أبو عبد الله محمد بن مسعود بن الحسن التادلي الفقيه -

للقاضي عياض - رحمه الله تعالى، وقالها حين ولى القضاء بمدينة داي ببلاد

تدلا، سنة واحد وأربعين وخمسمائة:

أقمـرية الأدواح بالله طارحي

أخا شـجن بالنوح أو بغناء

فقد أرقـتني من هديلك رنة

تهيج من شوقي ومن برحائي

لعلك مثلى يا حمام فإننى

غريب بداى قد بليت بداء

فكم من فلاة بين داي وسبـتة

وخرق بعيد الخافقين قواء

تصفق فيه للرياح خوافق

كما ضعـضعتنى زفرة الصعداء

يذكرنى سح المياه بأرضها

دموعا أريقـت يوم بنت ورائى

ويعجبني في سهلها وحزونها

خمائل أشجار ترف لرائي

لعل الذي كان التفرق حكمه

سيجمع منا الشمل بعد تناء

ومن ذلك قوله - رحمه الله :

يا طالب العلم استمع قول امرئ محض النصيحة للمريد الراغب

العلم في أصلين لا يعدوهما إلا المضل عن الطريق اللاحب

علم الكتاب وعلم الآثار التي قد أسندت عن تابع عن صاحب

جاء بها الإثبات منهم واعتنت بمساند ومراسل وغرائب

وقال رحمه الله مما كتبه لبعض أصدقائه :

إذا الأخلاء لم تحمل عيوبهم

ميثاقهم في البعد أوحالا

فلى بأغمات خل لا أذم له

من الحياة وإن شطت مدى حالا

ومنه ما أنشده بلدينا الإمام البركة العلامة، سيدي أبو عبد الله بن سعد

الأنصاري التلمساني، قال: أنشدني وأفادني، شيخنا الإمام الحافظ، أبو عبد

الله التنسي للقاضي عياض - رحمه الله :

إليك بوئت بذنبي فاغفر خطايي ربي

وامن على بلطف تجبر به صدع قلبي

فقد ركبـت ذنوبـا سودت منهن كـتبـي
 و طال تقصير سعيـي في كل فرض وندب
 وقد أسأت فأحسن فلم تزل محسنا بي
 وجئت أطلب توبـا إذ ضاق بالذنب رحيـي
 فاقبل بفضلـك توبـي واغفر برحماك ذنبـي
 وعافني واعف عني فأنت يارب حسيـي
 انتهى .

ومن نظمـه رحمـه الله :

أعوذ بربي من شر ما يخاف من الإنس والجنة
 وأسأله رحمة تقتضي عوارف توصل بالجنة
 فما للخلائق من ناره سوى فضل رحمـاه من جنة
 ولنجعل هذه القطعة آخر ما أوردناه من نظمـه، تفاؤلا بها وبالتالى
 قبلها، وتطارحا على باب الله - أن يسلك بنا طرق رحمته وسبلها، ويقينا من
 كل محذور يتقى، ويحشرنا فى زمرة من خاف مقام ربه ونهى النفس عن
 الهوى فسمـا قدره وارتقى، بجاه سيدنا محمد - ﷺ تسليما .

٥ - روضة النسرین فی تألیفه العدیمة النظیر والقربین

أقول: هذه ترجمة نذكر فيها ما كمل من مصنفاته، وما لم يكمل أو تركه في المبيضة من مؤلفاته، فنقول: وعلى الله أعتمد، ومن بحر عونه أستمد، لا إله غيره، ولا خير إلا خيره - أما ما كمل من تأليفه - رضوان الله عليه - فمنه كتاب الشفا، الذي بلغ فيه الغاية القصوى وكان فيه لضرب الإحسان مرتشفا، وبذ فيه المؤلفين وأربى، وحاز قصب السبق به دونهم وطار صيته شرقا وغربا، وقد لهجت به الخاصة والعامة عجماء وعربا، ونال به مؤلفه وغيره من الرحمن قربا، سمعت غير ما مرة شيخنا الإمام، علم الأعلام، المفتي عمنا سيدى سعيد بن أحمد المقرئ - رحمه الله - يقول: ما ألف في الملة المحمدية، مثل كتاب الشفا - للقاضى عياض، وحرز الأمانى للشيخ أبى القاسم الشاطبى، وفضائل هذا الكتاب لا تستوفى، وسنذكر منها شيئا في الباب الثامن - إن شاء الله تعالى، ويرحم الله القائل:

كلهم حاول الدواء ولكن ما أتى بالشفاء إلا عياض
ولا يمتري من سمع كلامه العذب السهل المنور، فى وصف النبى - ﷺ، أو وصف إعجاز القرآن، - أن تلك نفحات ربانية، ومنحة صمدانية، خص الله بها هذا الإمام وحلاه بدرها النظيم، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة]. حكى غير واحد، منهم: الشيخ الرحال ابن جابر الوادى آشى أن القاضى عياض - رحمه الله - أوقف عليه شيخه القاضى أبا بكر بن العربى - رضوان الله عليه - فقال له: - بارك الله فيك يا أبا الفضل، واستحسنه جدا!

قال ابن جابر: ولما قرأته على شيخى الإمام العالم، قاضى الجماعة، الخطيب أبى العباس أحمد بن أحمد بن الغمار الخزجى - بمنزله من تونس، فى مجالس آخرها فى رمضان عام أحد وتسعين وستمائة، وكان يحضره جماعة من العلماء الجلّة، منهم شيخنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائى القرطبى، وموضعه عن يسار الشيخ، فلما بلغت يوما من الكتاب قول القاضى أبى الفضل:

يا دار خير المرسلين ومن به هدى الأنام وخص بالآيات
إلى آخرها، وأراها من نظمه، وكان بفراغها ختم المجلس، ودعا الشيخ على عادته، - أدار وجهه لشيخنا أبى محمد بن هارون، وأنشده ارتجالا:

إن الشفاء شفاء للنفس غدت هدى الأنام وخص بالآيات
ثم قال له: أجز أبا محمد، فلم يجبه إذ ذاك، وحفظت هذه عن ناظمها، فلما كان فى الغد بعده، وقرأت مجلسا منه وختم الشيخ بالدعاء، ناولنى أبو محمد بن هارون أبياتا نسجها على روى البيت الأول ومعناه، وقرأتها - والقوم يسمعون، وهى:

جازى الله العياضى الإمام بما

يجزى به كل من يحيى به الأثر

أنوار ذكر الرسول المصطفى ائتلت

تجلو الدياجى منها الأنجم الزهر

شمس الضحى أشرقت من نوره وذكا

من عرف روض الربى للناشق الزهر

سلك به ازدان جيد العلم وانتظمت
فيه لجامعة الياقوت والدرر
أروت ظماء الورى عن الغمام به
بواكف للحيا سحت به الدرر
جديدة ليس يبلى الذكر منه على
مر الجديدين تستجلى له صور
غض يلذ على الأسماع يملؤها
منه السرور إذا تتلى له سور
لله در ذوى الألباب قد عمروا الـ
أعمار منه بما قد بورك العمر
يرددون على الأسماع ما قرأوا
منه فيا نعم ما الدنيا به عمروا
الشعر شاخ وكل الفكر حين مضى
عصر الشباب، وشاب الرأس والشعر
تمضى الحياة وأبناء الزمان به
فى غفلة بانصرام العمر ما شعروا
أنا لمن بشر جلت ذنوبهم
والله يصفح عما قد جنى البشر

الفضل والكرم الجم العميم له

جاءت به لعبيد أذنبوا البشر

قال ابن جابر - رحمه الله - وقيدت من خط الشيخ الصالح الزاهد،
أبى الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد الأزدي الرندي، وتوفى ببجاية
- رحمه الله تعالى - فى أحواز التسعين وستمائة على كتاب الشفاء، وكان
نسخة بيده وسط شعبان عام ثمانية وخمسين وستمائة، ما مثاله: وقد قرت -
والحمد لله - عينه بنسخه وكماله، وثلج فؤاده لتعلق رجائه أن يجعله الله
تعالى فى صحيفة أعماله، فنسأل الله تعالى أن يجازى مؤلفه خيرا، ويعظم له
بما ألفه وانتخبه أجرا، فلقد جرى - رضى الله عنه - فى ميدان أشرف العلوم
جرى السابق، ونظم فى جيد الزمان سلك المعارف ودرر الحقائق، وشفى
بكتاب الشفا قلب كل مؤمن صادق، كما كبت به قلب كل عدو منافق، فإذا
طالعه المؤمن استنارت فى باطنه حقائق أنواره، وإذا جال فى روض معارفه
تنفست له نفحات نسيمه الأريج وتبسمت له مباسم أزهاره، فهو - كما قال
القائل تعظيما لمحله الكريم، وتشريفا لحמיד آثاره:

كتاب الشفاء شفاء القلوب	قد ائتلفت شفاء شمس برهانه
إذا طالع المرء مضمونه	رسا فى الهدى أصل إيمانه
وجال بروض التقى ناشقا	روائح أزهار أفنانه
ونال علوم ما ترقيه فى	ثريا السناء وكـيـوانه
فـلله در أبى الفضل إذ	سرى فى الورى نيل إحسانه
فعزر قدر نبى الهدى	وخير الأنام بتبـيـانه

وجازاه ربى خير الجزا وجاد عليه بغفرانه
ومنا الصلاة على المجتبى وأصحابه ثم أعوانه
مدى الدهر لا ينقضى دائبا ولا يثنى طول أزمـانه
وذكر حفيده ابن الفقيه أبو الحسين، أن الأبيات من نظمه - رحمه الله
تعالى ونفعنا به - وفيه أيضا يقول الفقيه المحدث الخطيب، أبو عبد الله محمد
ابن عمر بن رشيد:

جزى الإله عياضا بالشفاء غدا رياض فردوسه نزلا بجنـته
دواؤه قد شفى الأدوية فهو له ذخـر يقـيه يقينا لبس جنـته
قال ابن جابر: وكنت قلت فى زمن نسخى له - أبياتا أثبتـها هنا - نفع
الله بالقصد فيها - وهى:

شفاء عياض للنفوس الأبية
دواء سنـاه وهو أسمى وسيلة
به أشرق الإصباح واتضح الهدى
برغم أنوف للطغاة وذلة
له الله من حبر إمام وعالم
غدا فيه يهدى الخلق لكن لسنة
ولما رأى الأهواء زاد امتدادها
وجاء بنوها بالضلال وشبهة

نضا صارم الإسلام فى نحر كيدهم
وقال لهم: بالله حسبى وعدتى
أبان الذى يعتاص صدقا بحجة
أنت تجتلى كالشمس وسط الظهيرة
له فى بلاد الله نور مشعشع
ومطلع ذاك أرجاء سبته
ولاعجب للغرب قد خص ربنا
به الفضل بل فى الشرق مطلع فتنة
جزى الله ربه روحه الناعم الذى
توارى غريبا خير أعضاء مية
وآناه مما قد أعد لمن قضى
شهيدا من الخيرات فى صدق جنة
قال ابن جابر: وفيه أيضا يقول صاحبنا الفقيه، الحاج المكرم المحدث أبو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الصنهاجى بن الحداد.
شفاء عياض للقلوب دواؤها
من الجهل فاجتهد أن تكون به مغرى
لقد حاز بالأجر الجزيل حقيقة
لدى حلبة السباق فى موقف الأخرى

فطالع معانيه تفز بمعارف

ترقى معانيها وتكسبه أجرا

وتدينه من نهج الحقيقة واصلا

إلى العالم الأعلى وتوجده ذكرا

فيرقى عن الأغيار فى كل وجهة

ويظفر بالحسنى ويا حبذا ذخرا

وينعم بالأحباب فى حضرة البقا

ويشهد سر الجمع جهرا إذا أسرى

قال: وحدثنى أنه وجد على ظهر كتاب الشفا أبياتا بخط أحمد بن

إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن فرقد القرشى، قال:

وأظنها من نظمه - رحمه الله ونفع به:

شفى نفس كل امرئ مسلم

وأبهجها ما تضمنه

وفى شرف الأنبياء وفى

جزى الله واضعه جنة

أفاد علوما جهولا بها

علوم تزيد القلوب هدى

رياض من العلم صنفه

إذا مــــا تأمل أزهاره

بنور البيان كتاب الشفا

من القول فى شرف المصطفى

طهارتهم من ضروب الجفا

وقرب زلفى بما ألفا

وزحزح عنه عمى ونفى

فأفلح قلب زكا وصفا

عياض فأكرم بما صنفا

أريب سقيم الفؤاد اشتفى

وللشيخ الأجل المحدث الكاتب، أبى العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم الماردى، قال ابن جابر وأنشدنيها:

قرأت كتاب الشفا	وما هوى إلا الشفا
فبورك فيه لما	قد حوى من حلى المصطفى
كتاب علا قدره	على كل ما صنفا
عياض بتصنيفه	على كلا صنفه شرفا
كفانى عكوفى على	فوائد فيه كفى

انتهى ما أوردته من كلام جابر الوادى آشى - رحمه الله - ولا بأس أن نورد ما حفظناه زيادة على ما عنده، فنقول: قد وجدت بخط الشيخ البركة، الحافظ، الإمام أبى عبد الله، سيدى محمد بن سعد التلمسانى - رحمه الله - ما نصه: وتواليف القاضى أبى الفضل - رحمه الله - دالة على ما له عند الله من الكرامة والعناية، فمن تأمل انتفاع المسلمين بها شرقا وغربا، علم أن ذلك من أسرار القرب والولاية، وكتابه الشفا هو وسطى القلادة، وبرنامج السعادة، وفيه يقول بعض الفضلاء - رحمهم الله:

أنس الوحيد وديمة الأنداء	ونسيم عرف الروضة الغناء
وضياء مأمول الرضى ومديده	وقلادة الحنفاء والسعداء
وأمان كل مخوف وعاذه	من طارق الأهوال والأهواء
كتب الشفا وفت لنا بحقوق من	قد خصصته مكارم الآباء
ونصوص أنباء النبى محمد	كرمت مصححة عن العلماء

بشر عياضا أن غرس بنانه وزكائه فيه من الشفعاء
تتلذذ الأرواح فى تخليصها كتلذذ العافين بالنعماء
أنى بذكر محمد وصفاته لهج وفيه همتى ورجائي
ووسيلتى يوم الشفاعة حبه وإذا مرضت ففى الشفاء شفائي
أهلا به وبآله وبصحبه غر الوجوه وزين كل ملاء
انتهى .

وقال بعضهم:

جزى الإله عياضا عنا بخير الجزاء
ألفى الأنام مراضا فعمهم بالشفاء
ورأيت على نسخة من الشفاء، بخط الإمام العلامة الأوحى، سيدى
يحيى السراج، تلميذ الشيخ العارف، سيدى محمد بن عباد - رحمهما الله،
ونفع العبد ببركتهما - ما نصه: أنشدنى الشريف القاضى المشاور، أبو محمد
عبد النور بن محمد بن أحمد الحسنى العمرانى، قرأت عليه هذه القصيدة،
التي من نظمه، ومن خطه نقلت:

أبو الفضل حاز الفضل والبر إذ أتى
بعقد من الياقوت قد حف بالدر
وحلى بها جيد الزمان فأصبحت
على نحره تزداد حسنا مع الدهر

تمد ضياء الشمس من حسن نورها
ويقوى بها نور الكواكب والبدر
كما قد محت من قبل عند ظهورها
بأنوارها ليل الضلالة والكفر
شفى بالشفاء ما فى النفوس فلم يدع
مقالا لذى قول بسر ولا جهر
فقسم أقساما وبوبها معا
وفصلها مقبولة العلم والذكر
وقدم آيات الكتاب التى بها
سما قدره فوق السماكين والنسر
وثنى بأخبار صحاح شهيرة
كما أتبع شمس السموات بالبدر
وكم غاص فى بحر المعارف يتتقى
من الدر ما قد غاب فى غامض البحر
فجود منها كل قاص وشارد
وما ضله الحفاظ فى سالف الدهر
وكل غريب النقل صحت طريقه
وكل طريف المتن عار عن النكر

والحق منها كل نوع بجنسه
ورتبها مثل الجمان على النحر
وأجرى علومها بين ذاك جليلة
فيا حسن ما يروى، ويا حسن ما يجرى
فلو كان ممن يدعيه كرامة
لصدقته النقاد في ذلك الدهر
فقد جاء شهباً للخوارق عادة
ولا سيما إذ جاء في ذلك العصر
فلولا الذي قد كان من أمر ربه
من الفتح والإمداد بالعضد والنصر
لما انفجرت من بين كفيه حكمه
تهون مرقى كل ممتنع وعر
فجاء بما أعيا القرون التي مضت
وما عجزت عنه عنه جحاجة الغر
هنيئاً له فيما أعد له وما
ينال من الإحسان والفضل والبر
انتهى. وهو نظم فقيه، والأعمال بالنيات. ول بعضهم:
وقالوا: نراك تحب الشفا وتخير فيه عن المصطفى

فقلت: لأني عليل الفؤاد وكل عليل يحب الشفا

ولبعضهم فيه - وهو نظم فقيه أيضا:

أيا شاكيا دهره إن جفا عليك بنسخ كتاب الشفا
ففيه الجلاء لكل الهموم وفيه لداء الذنوب الشفا
وتبلغ لا شك ما ترتجى إذا أنت رسمه أحرفا
فذلك حتم جرى عادة لتضمنه شرف المصطفى
عليه صلاة من الله ما بدا النجم في أفقه أو خفا
وفيه أيضا:

رجوت الشفاء لما شفني وأثقل ظهري بنسخ الشفاء
ولم أتمس في سواه شفائي ولم أرج إلا لديه شفائي
ففيه الشفاء لمن لم يجد لداء ألم به من شفاء
وقال ابن آقبرس:

أيا قاض عياض حويت فضلا

وأحكاما بأحكام الدواء

أزلت من العقائد داء شك

فصحت باليقين من الشفاء

حكى السحائب لونه ومذاقه

لكنه بالمسك فيه ذكاء

والسحب إذ ناديتها وأمرتها
سبعاً همت ومياها سحاء
وكففتها إذ قد تواتر وكفها
سفت وقد زالت بها الضراء
الريق منك حلاً الأجاج بمجة
فيه وصحت مقلة رمداء
والعين من بعد الفصال رددتها
نظر البصير وأبصر النظراء
نطقت لتخبرك الذراع بسمها
إذ سبحت يمينك الحصباء
والجذع إذ فارقتة مع حكمة
أضحى يئن وقد شجاء بكاء
ودعوت بالأشجار إذ ناديتها
فأتت إليك وما استتم نداء
عادت لمنبتها كأحسن ما أتت
أغصانها من حسنها خضراء
والشمس من بعد الغروب رددتها
فغدا لها بعد الذهاب بقاء

والبدر حين رآك شق لوقته
فكأنه منك اعتراه حياء
بشفائه تشفى الصدور وإنه
لرشاد قارئه الشهاب النير
هو للتألف روح صورتها وقل
هو تاج مفرقها البهى الأنور
أفنت محاسنه المدائح مثل ما
لمفيدة نغد الثناء الأعطر
وله اليد البيضاء فى تأليفه
عند الجميع ففضلها لا ينكر
هو مورد الهيم العطاش هفت بهم
أشواقهم فاعتاض منه المصدر
فيه تنال من الرضى ما تبتغى
وبكونه فينا نغاث ونمطر
انظر إليه تيممة من كل ما
يخشى من الخطب المهل ويحذر
لكأننى بك يا عياض مهناً
بالفوز والملا العى مبشر

لكأننى بك يا عياض منعما
بجوار أحمد يعتلى بك مظهر
لكأننى بك يا عياض متوجا
تاج الكرامة عند ربك متجر
لكأننى بك راويا من حوضه
إذ لا صدى ترويه إلا الكوثر
فعلى محبته طويت ضمائر
وضحت شواهدا بكتب تؤثر
ما أمهن لشرعة الهادى الرضى
صدف يسان بهن منها جوهر
فجزاك رب العالمين محبة
يهب النعيم سريرها والمنبر
وسقى أجش هزيم مضجعك الذى
ما زال بالرحى يؤم ويعمر
انتهى .

ومن كتاب "البقية والدرك"، فى كلام ابن زمرك - وقد رأيتہ بتلمسان
عند الكاتب المغيلى، ونقلت منه، وهو كما قدمناه من تأليف بعض سلاطين
الأندلس - ما نصه: وقال - يعنى الرئيس الكاتب، العلامة أبا عبد الله بن
زمرك - يمدح كتاب الشفاء، طلبة شيخه الخطيب أبى عبد الله ابن مرزوق
عندما شرع فى شرحه:

وحسر ركاب للصبا قد ونت به
نجائب سحب للتراب نزوعها
تسل سيوف البرق أيدي حداتها
فتنهل خوف من سطاها دموعها
تعرضن غربا يبتغين معرسا
فقلت لها مراكش وربوعها
لتسقى أجداثا بها وضرائحها
عياض إلى يوم المعاد ضجيعها
وأجدر من تبكى عليه يراعة
بصفحة طرس والمداد نجيعها
فكم من يد فى الدين قد سلفت له
يرضى رسول الله عنه صنيعةها
ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه
فقد بان فيه للعقول جميعها
بمراة حسن قد جلته يد النهى
فأوصافه يلتاح فيه بديعها
نجوم اهتداء والمداد يجنحها
وأسرار غيب واليراع تذيعها

لقد حزت فضلا يا أبا الفضل شاملا
 سيجزيك عن نصح البرايا شفيعها
 والله من فذ تصدى لشرحه
 فلباه من غر المعاني مطيعها
 فكم مجمل فصلت منه وحكمة
 إذا كتم الأمداح منها تشيعها
 محاسن والإحسان يبدو خلالها
 كما افتر عن زهر البطاح ربيعها
 إذا ما أجلت العين فيها تخالها
 نجوما بأفاق الطروس طلوعها
 معانيه كالماء الزلال لذى صدى
 وألفاظه در يروق نصيعها
 رياض سقاها الفكر صوب ذكائه
 فأخصب للرواد منها مريعها
 تفجر من عين اليقين زلالها
 فلذ لأرباب الخلوص شروعها
 ألا يابن جـار الله يابن وليه
 لأنت إذا عد الكرام رفيعها

إذا ما أصول المرء طابت أرومة

فلا عجب أن أشبهتها فروعها

بقيت لأعلام الزمان تنيلها

هدى ولأحداث الخطوب تروعها

انتهى .

وقال الشيخ الأديب ابن عبد المنان:

علماء الحديث كم خلصت فى مدح خير الورى لهم أغراض

بمعانى الرسول تجلى وتلى عندها تنعش القلوب المراض

كلهم عالج السقام ولكن ما أتى بالشفاء إلا عياض

وقال الفقيه الأجل القاضى شهاب الدين، أحمد بن أبى المحاسن

يوسف الرعيونى الشافعى المصرى - رحمه الله:

هذا الشفاء من السقام حقيقة

إن مس ضرر أو توالى بئوس

سر إذا ما الراح سرت أنفسنا

دارت على الأرواح منها كئوس

شرف به خص النبى محمد

دون الورى فمديحه تقديس

جدعت أنوف المشركين ونكست

بصفاته للملحدين رءوس

وعلا به من قدر آدم رتبة
حسدا عليها قد هوى إبليس
أهدى عياض للنفوس لنعته
أنسا تميل براحه وتميس
من كل معنى قد حكى نفس الصبا
يحويه لفظ كالمدام نفيس
لو أسمعت بلقيس وصف كتابه
نزلت له عن عرشها بلقيس
فعليه رحمة من ربه من دارس
حييت به بعد الممات دروس
ووقفت على قصيدة الشيخ بدر الدين بن الحسن على بن محمد
التميمي الهمداني - نزيل مصر في مدح النبي ﷺ، وكتاب الشفاء ومؤلفه
القاضي عياض - رحمه الله - وهى:
صحت بحسن صفاتك الأنباء
فلنا بها - وهى الشفاء - شفاء
ضاءت بك الدنيا فكل بلادها
أضحى بها بعد الظلام ضياء
فالغرب من إشراق نورك مشرق
والشرق فيه من سناك سناء

لاح الصباح وما اعترته ظلمة
وبدا الضياء وما لديه خفاء
لا تختفى شمس الضحى إلا إذا
نظرت إليها مقلة عمياء
يا صاحب الخلق العظيم تأخرت
عن بعض رفعة قدرك العلماء
الأمر أعظم من مقالته قائل
فمقصر ما طول البلغاء
الله قد أثنى عليك وإنه
ما بعد هذا فى الثناء ثناء
والله أعطاك الذى لم يعطه
أحدا سواك فدونك الكبراء
وبراك حقاً فى البرايا واحدا
وأبوك آدم طينة صماء
أو ما إليك قد ترسل آدم
بك إذا دعا وتشفعت حواء
أو ما لإدريس العلى مكانة
رفعت له بك رتبة علياء

أو ما نجا نوح بجاهك فاستوت
 لطفاً سفيتته وغيض الماء
 أو ما غدت بك نار إبراهيم بر
 داحين شب ضرامها الأعداء
 أو ما ابتلى بالذبح إسماعيله
 فلقد غدا بك للذبيح فداء
 أو ما أبوك لنذر جدك قد فدى
 يا سيذا عاشت به الآباء
 أو ما اهتدى الجم الغفير من الورى
 بهــــــــــــداك والآباء والأبناء
 الله أحيا قبل مولدك النفو
 س وبعده بك حبذا الأحياء
 سماك بالرءف الرحيم وكم كذا
 حسنت من الحسنى لك الأسماء
 والله محمود وأنت محمد
 هذا اشتقاق ما علاه علاء
 أسرى بك السبع الطباق بليلة
 جليت بها من نورك الظلماء

جبريل صاحبك الأمين وكم كذا
صحبتك من رب العلى أمناء
فعلى البراق لقد سما بك للسماء
ولكم سمت بك فى الصعود سماء
ما زال دونك ممسكا بعنانه
هذا العلاء وهكذا الإسراء
فى ساعة فيها المهيمن شاهد
وملائك الرحمن والنبىءاء
ولقد صعدت لمستوى أقلامه
منك اعتلى لصريفها إصغاء
فتأخر الروح الأمين وفقته
فلقد حلا وصل وآن لقاء
من بعد خمسين الصلاة خمسة
جعلت لأجلك والأجواء سواء
ورجعت للحرم الشريف وما انقضت
بسراك تلك الليلة الغراء
أصبحت تخبر بالرجوع وبالسرى
فمصدقون وحسد أغباء

وجلى لك البيت المقدس فى غد
فوصفته للقوم لما شاءوا
فخلائق سعدوا وأقوام شقوا
ومن الإله سعادة وشقاء
لم يجهل الأقوام ما أوتيته
لكنهم مع علمهم جهلاء
آذانهم صمت وقد أسمعتهم
وعيونهم عميت وهم بصراء
عميت لمقدور الإله قلوبهم
فمع السويدا ظلمة سوداء
شهدت بوصفك كتبهم والمرسلو
ن لهم وهم لو نصفوا شهداء
توراة موسى قد أتى من بعدها
إنجيل عيسى ما لديه خفاء
وتواترت أخبار أخبار لهم
وعن النبيين اعتلت أنباء
سموك نبينهم باسمك الميمو
ن إذ ظهرت لوقت ولادك اللاألاء

طلبوا الرئاسة والنفاسة والعلی
ولکم علت بك سادة رؤساء
شرقوا لما أوتيت من تحقیقهم
ولديهم لولا الشقاء ذكاء
حسدوك للفضل الذی أوتيته
من ذا یحق له سواك عطاء
الله أعلم حیث یجعل رسله
ویدبرا الأفلاك کیف یشاء
أیدت منه بنصره والمؤمنیـ
من فقد - وحقق - زالت الأعداء
وأنت لنصرتك الملائكة العلی
حزب الإله أعزة أكفاء
أظهرت دین الله بعد خفائه
وأبدت دین الشرك فهو هباء
ومضیت فی قتل الحواسد والعدی
ولأنت سیف الله فیک مضاء
دارت علی الأعداء دائرة القضا
لكن إسراع الممات أداء

(لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى) تراق لحاسديه دماء
من يوم مولدك الشريف عناية
ما زال فيهم ذلة وعناء
أصنامهم خرت وصلبهم هوت
لو يعقلون لها وهد بناء
نيراهم منذ ألف عام أوقدت
فلقد غدا للهيبتها إطفاء
غاضت بحيرة ساوة ولكم طغوا
لما طغى لهم عليها الماء
بدت البراهين المنيرة كالضحى
وأضاء صبح إذ أنير مساء
صدق الإله هو الختام لنوره
أبدا ولو كره العدى السفهاء
لما أظلتك الغمامة دونهم
فلها عليك من الحرور رداء
نظروا عليك الظل فانتقلوا له
فغدا له إلا عليك جلاء

أضحى "بحيرا" بالعلائم شاهدا
وهنا لعمك حين ذاك هناء
الله أكبر كم غدت لك آية
كثرت فلا عد ولا إحصاء
أشبت خلقا باليسير كما غدا
للقوم بالماء القليل رواء
وديون والد جابر وفيتها
من ثمرة وغدا وفيه نماء
والماء نبعا من أصابعك اغتدى
كالشهد فيه حلاوة وصفاء

ولما أراد الإمام المحدث الرحال، الرئيس الحاجب، الخطيب سيدى أبو
عبد الله محمد بن مرزوق التلمسانى - رحمه الله - شرح كتاب الشفا
استمطر أنواء قرائح أعلام عصره، فى قطع وقصائد يليق ذكرها فى ديباجة
الشرح، فكان ممن أجابه، الكاتب الفقيه، صاحب القلم الأعلى، أبو القاسم
ابن رضوان النجارى - رحمه الله، قال ابن الخطيب: ومن خطه نقلت:

سل بالعلى وسنا المعارف ييهـر
هل زانها إلا الأئمة معشر
وهل المفاخر غير ما شهدت به
آى الكتاب وخلدته الأعصر

هم ما هم شرفا ونيل مراتب
يوم القيام إذا يهول المحشر
ورثوا الهدى عن خير مبعوث به
فجزاهم الله العظيم الأكبر
وعياض الأعلى قداحا فى العلى
منهم وحق له الفخار الأظهر
والعنكبوت لقد وقتك بنسجها
فعليك فى الغار المنيف وقاء
أعجزت بالقرآن كل منطق
فلذاك عابت نطقها الفصحاء
ولقد نطقت وما نطقت عن الهوى
حكما أقر بفضلها الحكماء
بجوامع الكلم ابتعثت فكم حوت
من أسطر لك فضلة جمعاء
والعلم يجمع من حديثك أربع
فاستنبطت أحكامها العلماء
والطب فى الكلم الثلاث جمعته
حتى لقد صحت بك الأدوية

خاطبت كل قبيلة بلغاتها
فسمت بفصل خطابك الخطباء
شهدت لك الأعداء أنك صادق
والفضل ما شهدت به الأعداء
يكفيك يوم الجمع أنك شافع
يا من به تتشفع الشفعاء
فمقامك المحمود يحمده الورى
ومن المحامد فى يديك لواء
ولك الوسيلة والفضيلة والعلی
ولك الإعـادة ثم والإبداء
يا ربنا بالمصطفى وبجـاهه
قسما به ما إن یرد دعاء
عوض عیاضا بالرياض وبالرضی
ما إن له إلا الجنان جزاء
فلقد شفى كل الصدور شفاؤه
وكتابه كتبت به الحسداء
أبهى من الوشى الرقيم سطوره
وعليه من نور القبول بهاء

أهدى إلينا الحسن والحسنى به
ونعم صفات المصطفى حسناء
وجا بما أحيا المسامع ذكره
ولكم غدا بالمرتضى أحياء
ما زاد فخرا للنبي وإنما
ذكر النبي وسيلة ورجاء
فليهنه إدراك كل مؤمل
وليهنه بعد الهناء هناء
يا سبته فيها العلوم تجمعت
ما أنت إلا جمعة زهراء
يا مغربا منه الفضائل أطلعت
ما أنت إلا مشرق وضياء
يا قاضيا بالحق فى أحكامه
لم ينس عند الله منك قضاء
يا مالكيها مالكا رتب العلى
بجنان رضوان لديك علاء
يا منشئا مدح الرسول لقد أبى الر
حمن أن ينسى لك الإنشاء

الله معطيك الجوائز جمّة
فليهنك النعيم والنعماء
أو ما رئيت مع النبي جليسه
تكفيك هاذي الرتبة العليا
يا سيد الرسل الكرام وكم كذا
بنداك إحسانا أجيب نداء
بالرغم منى عن ذراك تخلفى
فمئى يقدر للمحب لقاء
أملى الإقامة فى ذراك وحبذا
منك الغنى والروضة الغناء
كل امرئ مع من أحب وإنه
للقلب فيك محبة وولاء
لله وجهه فى ثراك معفر
فلقد تكاثر فى ثراك ثراء
أقصى منى وبغيتى أقصى به
فيطيب فى أرض البقيع ثواء
أو ما الدفين هناك أنت شفيعه
فحقيقة أمواته أحياء

يا ويح نفسى قيدت بذنوبها
فمتى يحل من المسىء وكاء
ما لى سواك لhle أنت الرجا
ولديك بالصفح الجميل غطاء
فالله يغفر لى بجاهك ما مضى
ويصوننى إن كان فى بقاء
ويحقق المأمول منه وكم له
بعظيم جاهك يا عظيم عطاء
وكذاك منشدها وسامعها
وكاتبها وحائز لديه قناء
والأهل والإخوان والأخوات
ثم الأمهات كذلك الآباء
ثم الصلاة على النبى وآله
وكذا الصحاب السادة النجباء
ما دامت الأوراق فى أشجارها
وترنمت فى دوحها ورقاء
وقال الشيخ الإمام النظار، أبو إسحاق الشاطبى فى كتاب الإنشاءات
والإفادات له ما نصه: إنشادة لما أخذ فيما زعموا شيخنا الفقيه، الإمام

الشهير، الخطيب المحدث البليغ: أبو عبد الله بن مرزوق، فى شرح كتاب الشفا لللقاضى أبى الفضل عياض، وهو مستوطن مدينة فاس من بر العدو، بعث إلى الأندلس فى طلب أمداح من شعرائها لكتاب الشفا، ليجعل ذلك مقدمة الشرح، فندبنى إلى امتحان الفكر بهذا القصد - صاحبنا الفقيه الكاتب، أبو عبد الله بن زمرك، إلى أن سمح الخاطر بهذه الأبيات.

يا من سما لمراقى النجم مقصده

فنفسه بنفيس العلم قد كلفت

هذى رياض يروق العقل مخبرها

هى الشفا لنفوس الخلق إن دفت

يجنى بها زهر التكريم أو ثمر الت

عظيم والفوز للأيدى التى قطفت

أبدت لنا من سناها كل واضحة

حسانه دونها الأطماع قد وقفت

وشيد العقل أركاناً موطدة

بها على مثل أصل الشرع قد وقفت

قوت القلوب وميزان العقول متى

حادت عن الحجة الكبرى أو انحرفت

فيا أبا الفضل حزت الفضل فى غرض

به أقرت لك الأعلام واعترفت

الكتب بحر علوم ضل ساحله

منه استمدت عيون العلم واغترفت

زارته من جنبات القدس ناسمة

فحركت منه موج الفكر حين وفت

حتى إذا ما همت أرجاؤها قذفت

لنا بدرتها الحسناء وانصرفت

إن العناية لا يحظى بنائلها

حريصها بل على التخصيص قد وقفت

انتهى .

وأشار بهذا البيت الأخير إلى قول الأول: إن السعادة أصلها

التخصيص؟ وقال الوزير ابن الخطيب، في كتاب الإحاطة في ترجمة ابن

مرزوق ما نصه: ومن خط الإمام ابن مرزوق لبعضهم:

كتاب الشفاء شفاء القلوب

وحسبك قولى كتاب الشفا

تضمن أوصاف خير الورى

وهادى البرية والمصطفى

ولما أنشدنى الفقيه الكاتب، الأديب الناظم، الناثر أبو عبد الله محمد

ابن على الوجدى - حفظه الله - قوله:

للنفس منى طموح ليس يثنيها
عما تؤمل من أقصى تمنيتها
يا من يسائل عن ذاتي وعن عرضي
في حالي الحب قاصيها ودانيها
جسمي بفاس رهين في معالمها
وليس ينفك عن بلوى يعانيها
ولي بمكناسة روح مودعة
من دون جسم يكاد الشوق يفنيها
ولي بتطاون دار الصبا طرب
لولا التقية أغواني غوانيها
ولي اتياح إلى القصر الكبير فقد
قضت به النفس بعضا من أمانيتها
ولي بثغر سلالب فلو يئست
منه النفوس لكان اليأس يضيئها
ولي بمراكش شوق أكابده
لو أسعد الدهر في مرأى مغانيها

قلت مذيلا عليه :

مثنوى عياض أبى الفضل الذى بسقت

أفئانه فحلت طمعا لجانيها

فكم من تأليف قد اشتهرت

ألفاظها رائقات مع معانيها

حازت مشاركته خصل السباق كما

شفى النفوس شفاه من تعنيها

كنوز عرفانه والفضل شيمته

تولى نفوس الورى علما فتغنيها

ولى بأرض تلمسان معالم إن

نأت معاهدها فالشوق يدينها

مأوى الشيوخ الهداة المستضاء بهم

و«بأبى مدين» ازدادت مبانيتها

بجاهه النفس ترجو نيل كل منى

إذ لم يزل روح لطف الله يعنيها

أقول وقد تذكرت هنا - والشئ يذكر بالشئ - قصيدة الشيخ حسن

ابن على بن عمر القسطينى، المعروف بابن الفكون، أحد أشياخ العبدى،

وهى من در النظام، وحر الكلام، وقد ضمنها رحلته من قسطينة إلى

مراكش المحروسة، ومطلعها:

ألا قل للسرى ابن السرى

أبى البدر الجواد الأريحي^(١)

ومنها:

وكننت أظن أن الناس طرا

سوى زيد وعمرو غير شئ^(٢)

فلما جئت ميالة خير دار

أماالتنى بكل رشاشا أبى

وكم أورت ظباء بنى ورار

أوار الشوق بالريق الشهى

وجئت بجاية فجلت بدورا

يضيق بوصفها حرف الروى

وفى أرض الجزائر هام قلبى

بمعسول المرافف كوثرى

وفى مليانة قد ذبت شوقا

بلين العطف والقلب القسى

وفى تنس نسيت جميل صبرى

وهمت بكل ذى وجهه وضى

(١) نفح الطيب ج ٢ ص ٤٨٣ .

(٢) نفح الطيب ج ٢ ص ٤٨٣ .

وفى مازونة ما زلت صبا
بوسنان المحاجر لودعى
وفى وهران قد أمسيت رهنا
بظامى الخصر ذى ردف روى
وأبدت لى تلمسان بدورا
جلبن الشوق للقلب الخلى
ولما جئت وجدة همت وجدا
بمنخنث المعاطف معنوى
وحل رشا الرباط رشا رباطى
وتيمنى بطرف بابلى
وأطلع قطر فاس لى شموستها
مغاربهن فى قلب الشجى
وما مكناسة إلا كناس
لأحوى الطرف ذى حسن سنى
وإن تسأل عن أرض سلا ففيها
ظباء كأسراب للكمى
وفى مراكش يا ويح قلبى
أتى الوادى فطم على القرى

بدور بل شمس بل صباح
بهى فى بهى فى بهى
أبحن مصارع العشاق لما
سعين به فكم ميت وحى
بقامة كل أسمر سمهرى
ومقلة كل أبيض مشرفى
إذا أنسيننى حسنا فإننى
أنسيهم غوى غيلان مى
فهأنا قد اتخذت الغرب دارا
وأدعى اليوم بالمراكشى
على أن اشتياقى نحو زيد
كشوقك نحو عمرو بالسوى
تقسمنى الهوى شرقا وغربا
فيا للمشرقى المغربى
فلى قلب بأرض الشرق عان
وجسم حل بالغرب القصى
فهذا بالغدو يهيم غربا
وذاك يهيم شرقا بالعشى

ولولا الله مت هوى ووجداد

وكم لله من لطف خفى

رجع: وأنشدنى الفقيه الأصيل، العلامة سيدى على بن أحمد الشامى
الخزرجى - حفظه الله - لنفسه يمدح كتاب الشفا:

شفاء عياض لدائى شفا فلا زال مورده مرشفا
فمن لم يؤسس بنا حبه على أسه أس فوق شفا
وقد اعتنى الأئمة بشرح هذا الكتاب والتعليق عليه، فممن شرحه:
الإمام الرئيس الخطيب: أبو عبد الله بن مرزوق التلمسانى، شرحا واسعا لم
يكمله. ومن علق عليه عدة تعاليق الشيخ الإمام، سيدى محمد ابن الشيخ
الربانى، الوالى الصالح، سيدى الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان الراشدى
ثم التلمسانى، وقد وقفت على أحد تعاليقه بخطه، وسماه - ب - "غنية أهل
الصفاء فى شرح الشفا".

ومن علق عليه: ابن اقبرس، والشمنى، والشريف، وغير هؤلاء
كالدجى، وابن الفرس. وكما اعتنى الناس بذلك اعتنوا أيضا بتصحيحه
وضبطه وإتقانه، ولقد وقفت من نسخه الصحاح على عدة، ومن أصح ما
وقفت عليه: نسخة بخط تلميذه، عبد الرحمن بن القصير الغرناطى المتقدم
الذكر، وذكر أنه نقلها من نسخة عليها خط المؤلف، ورأيت بخطه (فى الطرة)
تنبيهات على مواضع، هأنا ذاكر بعضها الآن - تنميما للمقصود فمنها عند
قوله فى الشفا: تيامن منهم ستة، وتشاءم أربعة - الحديث بطوله - ما نصه:
تمام الحديث: فأما الذين تيامنوا: فكندة، وأمار وهوازن، وبجيلة، وخثعم

والأزد، وحمير، وعد والأشعريون. وأما الذين تشاءموا: فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة - ذكره أبو نعيم الحافظ في رياضة المتعلمين، انتهى. فتأمله وراجع رياضة المتعلمين. ومنها عند قوله: فإذا أنا بابنى الخالة - إلى قوله: ودعيا لى بخير - ما نصه: كذا كان فى المنتسخ منه، والصواب ودعوا لأنه من دعوت. قال الله تعالى: ﴿دَعُوا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ - ولا شك أنه من الناسخ الغلط، وأما المؤلف - رحمه الله - فإنه كان أرفع من أن يقع فى مثل هذا، بل كان من المستبحرين فى فنون جمّة، وكان خطه بالقراءة عليه فى الأصل الذى انتسخت منه، والسماع يفلت منه كثير للمستمع والمقرر عليه، ويندرج فى لفظ القارئ بالخفى انتهى. ومنها عند قوله: كقلان هجر ما نصه: كالقلال وقع فى المنتسخ منه، وفى البخارى كما كتبت فى نفس الكتاب. انتهى.

يعنى بما كتب كقلال، ومنها عند قوله: حتى ظهرت لمستوى ما نصه: ظهرت أى علوت، قال تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ...﴾ [٩٧] ﴿[الكهف] - أى يعلوه، وقال تعالى: ﴿... وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [٣٢] [الزخرف]. ومنه ما جاء فى حديث عائشة فى صلاة العصر والشمس فى حجرتها قبل أن تظهر - أى تعلو على الجدران. انتهى.

ومنها عند قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا﴾، ما نصه، روى عن سعيد بن المسيب - رحمه الله - فى قوله تعالى: ﴿... وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ...﴾ [٦٠] [الإسراء].

قال: رأى ناسا من بنى فلان على المنابر، فسأه ذلك، فقل له: إنما هى دنيا يعطونها، فسرى عنه. وعن الربيع بن أنس البكرى لما أسرى بالنبى

- عليه السلام - رأى فلانا وهو بعض بنى فلان على المنبر يخطب على الناس، فشق ذلك عليه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١١١)﴾ [الأنبياء].

ومن هذا الباب: روى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ رأى فى المنام بنى مروان يرقون منبره ينزون عليه، فأصبح كالمريض، فقال: إني رأيت بنى مروان ينزون منبرى نزوة القردة، فما اجتمع صاحكا حتى مات.

وذكر ابن أبى خشيمة فى تاريخه، والماوردى فى تفسيره، قال ابن أبى خشيمة: إن رجلا قال للحسن، وسماء الماوردى فقال: إن عيسى بن مازن قال للحسن: يا مسود وجوه المؤمنين، عمدت إلى فلان فبايعته، فقال: إن رسول الله ﷺ - رأى فى منامه بنى أمية يعلون منبره خليفة بعد خليفة، فشق ذلك عليه، فأنزل الله عليه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)﴾ [الكوثر] - و﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢)﴾ [القدر] يعنى ملك بنى أمية، قال القاسم: فحسبنا ملك بنى أمية، فإذا هو ألف شهر، لم يزد ولم ينقص - انتهى.

ومنها عند قوله: يا محمد، فيم يختصم المלא الأعلى - الحديث ما نصه: هذا الحديث رواه أبو الأشعث، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: سألتنى ربى فقال: يا محمد، فيم يختصم المלא الأعلى؟ فقلت: فى الكفارات والدرجات، قال: وما الكفارات؟ قلت: المشى على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء فى السبرات، والتعقيب فى المساجد: انتظار الصلاة بعد الصلاة، قال: وما الدرجات؟ قلت: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام انتهى.

ومنها عند قوله لا سابع لهم ما نصه سمي ابن قتيبة من هؤلاء محمد ابن أحيحة بن الجلاح وقال: هو أخو عبد المطلب لأمه، ومحمد بن سفيان ابن مجاشع، وزاد في آبائه ابن درام، وزاد: حمد بن سواء بن جشم بن سعد. وزاد ابن أبي الزلال في كتاب الأسجاع له - محمد بن الحارث بن خديج بن حويص. وذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه - أن أول من تسمى في الإسلام بهذا الاسم، محمد بن حاطب، وساقته جدته إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، هذا محمد بن حاطب، وهو أول من سمي بك، قالت: فمسح على رأسه ودعا له بالبركة، وتفل في فيه، فكمل بما قال ابن قتيبة، وابن أبي الزلال، ثمانية ممن تسموا به قبل الإسلام.

وقال القاضي أبو الفضل - رحمه الله - لا سابع للسته الذين سمي، وسبحان من أحصى كل شيء عددا، لا إله غيره. انتهى.

قلت: وقد حفظ المتأخرون في ذلك ما لم يحفظه هذا الرجل، قال في المواهب اللدنية ما نصه: قال ابن قتيبة: ومن أعلام نبوته - ﷺ - أنه لم يسم قبله أحد باسمه محمد - ﷺ - صيانة من الله تعالى لهذا الاسم، كما فعل يحيى إذ لم يجعل له من قبل سميا، وذلك أنه - تعالى - سماه في الكتب المتقدمة، وبشر به في الأنبياء، فلو جعل اسمه مشتركا فيه، لوقعت الشبهة، إلا أنه لما قرب زمنه وبشر أهل الكتاب بقربه، سمي قوم أولادهم بذلك رجاء أن يكون هو هو - والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

ما كل من زار الحمى سمع الندا

من أهله أهلا بذاك الزائر

﴿... ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ...﴾ (٥٤) [المائدة]. وقد عددهم القاضى

عياض ستة، ثم قال: لا سابع لهم.

وذكر أبو عبد الله بن خالويه فى كتاب ليس، والسهيلى فى الروض، أنه لا يعرف فى العرب من تسمى محمدا قبل النبى - ﷺ إلا ثلاثة.

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر - رحمه الله - وهو حصر مردود، والعجب أن السهيلي متأخر الطبقة عن عياض، ولعله لم يقف على كلامه، قال: وقد جمعت أسماء من تسمى بذلك فى جزء مفرد، فبلغوا نحو العشرين، لكن مع تكرير فى بعضهم ووهم فى بعض، فيتخلص منهم خمسة عشر نفسا، وأشهرهم محمد بن عدى بن ربيعة بن سواة بن جشم بن زيد مناة بن تميم التميمى السعدى - لم يذكره عياض. ومنهم محمد أحيدة - بضم الهمزة وفتح المهملة - بن الجلاح - بضم الجيم وتخفيف اللام، آخره مهملة - الأوسى، ذكره عياض والسهيلي، ومحمد بن أسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر، ومحمد بن البراء، وقيل ابن بر بن طريف بن عتورة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة البكرى العتورى، ومحمد بن الحارث بن خديج بن حويص، ومحمد بن حرماز بن مالك اليعمرى، ومحمد بن حمران بن أبى حمران ربيعة بن مالك الجعفى، المعروف بالشويعر، ومحمد بن خزاعى بن علقمة بن حراة السلمى، من بنى ذكوان، ومحمد بن خولى الهمذانى، ومحمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن اليعمى الأزدى، ومحمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة، ومحمد بن الأسيدى، ومحمد الفقيمى، ولم يدركوا الإسلام إلا الأول، ففى سياق خبره ما يشعر بذلك، وإلا الرابع، فهو صحابى جزما.

وفيمن ذكره عياض: محمد بن مسلمة الأنصاري، وليس ذكره بجيد، فإنه ولد بعد النبي - ﷺ بأزيد من عشرين سنة، ولكنه ذكر تلو كلامه المتقدم محمد بن محمد الماضي، فصار من عنده ستة لا سابع لهم. انتهى كلام القسطلاني، وراجع فتح الباري فإنه قال: ومنهم: محمد بن عمرو بن مغفل - بضم أوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام - وهو والد هبيب - بموحدين مصغر، وهو على شرط المذكورين، فإن لولده صحبة، ومات هو في الجاهلية.

انتهى المقصود منه، وإنما ذكرته لما فيه من الضبط للفظتين، أعنى مغفل وهبيب والله الموفق، وانظر كلام ابن حجر، فلا يخلو من فائدة.

ومنها عند قوله: والعمائم تيجان العرب ما نصه، هو حديث ذكره صاحب الشهاب، انتهى.

ومنها عند قوله: وفيما ذكرنا منها مقنع - ما نصه: قول القاضي - رحمه الله - مقنع، فيه بعض النقد، لأن أسماءه - ﷺ، وألقابه وسماته، تقتضى معانى الجلال، وجميع المحامد وحسن الخلال، فلا يقنع منها شيء، وكلما كثرت، ازداد المؤمن بذكرها حلاوة، ووجد في نفسه إليها - ﷺ - اشتياقا، وطابت لذاكرها كاستطاب الجائع النافع ذوقا، جعلنا الله - عز وجل - من الدائمين على ذكره، والقائمين بما يجب من أمره - انتهى.

ومنها عند قوله: فلقد بلغنا قاموس البحر، ما نصه: قاموس البحر: وسطه، وفي حديث ابن عباس: ملك موكل بقاموس البحار، أى: وسطها، وعلى قدر ما يكون غمس قدميه فيها يكون الجزر. انتهى.

ومنها قوله: ومخمول ذكرها ما نصه، كذا وجدته، والأشهر: مخمل،
لأنه يقال: أحمل فلان فلانا، وإن كان خمله أيضا منقولا، وفي الحديث: إنه
مما يمن الله به على عبده يوم القيامة، أن يقول له: ألم أحمل ذكرك في الناس
- بضم الهمزة من أحمل - انتهى.

ومنها عند قوله - رحمه الله - والطبع الجمهورى ما نصه: كذا فى
النسخة التى انتسخت منها، وذلك غلط من الناسخ، وإنما هو الجوهرى -
والله الموفق للصواب، انتهى.

ومنها عند قوله: قال أبو محمد الأصيلى: من أعجب أمرهم، أنهم لا
توجد منهم جماعة، ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه - ﷺ يقدم عليه،
ولا يجيب إليه ما نصه: قال كاتبه: هذا الذى قال الأصيلى قد نصه الله تعالى
فى كتابه بقوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا...﴾ (٩٥) [البقرة]، وقوله فى الجمعة: ﴿وَلَا
يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا...﴾ (٧) [الجمعة] فذكر الأبدية فى الموضعين، فتمنيهم محال
وقوعه، وكذلك آية المباهلة، أكدها سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ
...﴾ (٦٢) [آل عمران] انتهى.

ومنها عند قوله: ويعادى إذا عيد ما نصه: كذا وجدت فى المنتسخ منه،
والصواب أعيد، لأنه من أعاد - انتهى.

ومنها عند قوله: هو الفصل ليس بالهزل ما نصه. قال عبد الرحمن:
كان بعض من أدركنا من أهل العلم والمستبحرين فى العلوم، يقول الحديث
الصحيح: اطلبوا لفظه أوبعض لفظه أو معناه فى القرآن تجدوه، وهذا من
ذلك القبيل: قوله فى هذا الحديث: هو الفصل ليس الهزل. قال الله تعالى:
﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)﴾ [الطارق]. انتهى.

وقد ذكر الإمام ابن مرزوق عن بعض شيوخه (الصلحاء) أنه كان كثيراً ما ينتزع مضمن الأحاديث من الآيات، وقال - رحمه الله - حين ذكر الصبر عند الصدمة الأولى - الحديث: أن نظيره من القرآن قوله تعالى: ﴿... وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ...﴾ (١٧٧) [البقرة]. انتهى كلام ابن مرزوق بمعناه. قلت وقد سلك هذه الطريقة صاحبنا وعصرينا، الفقيه الصالح، البركة، العلامة، العارف الصوفى، سيدى عبد الرحمن الفاسى - حفظه الله - فإنه لما قرئ - (بين) يديه - حفظه الله - حديث فاطمة - رضى الله عنها - فى طلبها الخادم من النبى ﷺ، وقول النبى ﷺ - لها ولعلى - رضى الله عنهما - فذلك خير لكما من خادم. قال - حفظ الله - مصداق قوله تعالى: ﴿... وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا ...﴾ (٤٦) [الكهف] وقال حفظه الله - بين حديث "أرأيت إن كان أسلم... الخ مصداقه قوله تعالى: ﴿... وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ (٥٥) [آل عمران]. وله - حفظه الله - فى المعنى وغيره الباع المديد.

وقد أجاب أبقاه الله - من سألته عن بيان الملازمة فى قول البوصيرى: لو ناسبت قدره - البيت بأن النبى ﷺ - روح الوجود، فلو ناسبت آياته قدره، لأحيا اسمه - لأنه الروح. انتهى بمعناه، وله من مثل هذا ما لا يحصى - أعانه الله، ونفع به المسلمين، فلقد أحيا من العلوم والرسوم الدارسة، وخصوصا علم التصوف، فإنه لا يسبق فيه، بل انفرد به عن أهل عصره مع المشاركة التامة فى البيان - والأصلين والمنطق والعربية، وأما التفسير والحديث فهو صاحب العلم المستطيل فيهما - إلى ما هو عليه من الزهد والتقلل من الدنيا والانقباض عن أهلها بكلية، كثر الله فى الأعلام أمثاله بجاه النبى ﷺ.

ومنها عند قوله: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه - رحمه الله -
- بقرأتى عليه، حدثنا القاضى عيسى بن سهل - ما نصه: هو - يعنى ابن
سهل - من شيوخ أبى - رحمه الله، وهو أسدى النسب، وكان من
الراسخين فى المسائل، وصنعة الوثائق، والخط البارع، والكرام المنيف،
والإيثار على نفسه، والجزالة النافذة فى أحكامه، وفصل القضاء، وكثرة
الرواية، رحمه الله وتغمدنا وإياه برحمته. انتهى. وقد قدمنا ذكره فراجعه فى
شيوخ عياض.

ومنها عند قوله: ولم يكن فى ثمرها سنين كفاف - ما نصه: معنى
سنين: أن لو صرمت سنين ما اجتمع فيما يغتل منها كفاف دينهم - انتهى.
ومنها عند قوله: واقبض منه ولا تكبه ما نصه: يقال: كبيت الإناء،
وأكبيته فعلى هذا نقول هنا: تكبه وتكبه - انتهى.

قلت: انظر مع ما اشتهر من أن أكب لازم، وكب متعد وهو مذكور فى
صحيح البخارى وغيره، وفيه وقع اللغز المذكور فى محله، إلا أن يقال هذا
الذى هنا فى الشفا فى كب الإناء، وذلك فى أكب فلان، وفيه للنظر مجال -
والله أعلم.

ومنها عند قوله: وادع لى فلانا وفلانا، ومن لقيت ما نصه: انظر قوله:
ادع فلانا وفلانا، ثم قال بعد ذلك: ومن لقيت، وكذلك قال فى حديث أنس
أيضا الذى فى مقلوب هذا الصفح إذ ابنتى النبى - ﷺ بزینب، وراوى
الحديث واحد، لكنه لم يسم هنا أن الزوجة كانت زينب، فيخرج من تسميته
أولا فلانا وفلانا دعاء الخاصة أولا، لأن لهم ولكل أحد منزلة، وفى الحديث
أن جبريل - عليه السلام - قال له: أنزل الناس منازلهم - انتهى.

ومنها عند قوله: وأكون فى مكان لا أبلى فيه - ما نصه: لا أبلى فيه من الابتلاء، ولا أبلى من البلى، ويحتمل الوجهين، ويحصل الله له فى الجنة المعنيين - لا يتلى ولا يبلى - انتهى.

ومنها عند قوله: فقال أبو بكر: نحن أحق لك بالسجود منها - الحديث ما نصه: يعنى ما جاء فى باب كلام الشجر وشهادتها بالنبوة إذ قال: لو أمرت أحدا بالسجود لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها فتأمله هناك بتمامه. انتهى.

ومنها عند قوله: حدثنا أبو محمد العتابى - ما نصه: يعنى الفقيه الراوية بقرطبة، عبد الله بن محمد بن عتاب - رحمه الله، وهو من جملة شيوخ أبى - رحمه الله - وكتب له خطه بما قرأ عليه وسمع أجازة فى جميع ما يرويه من جميع الوجوه - انتهى.

ومنها عند قوله: إثر الكلام السابق، حدثنا أبو القاسم، حاتم بن محمد - ما نصه: حاتم هذا بينى وبينه الشيخ المحدث الراوية، أبو الحسن، فقيه قرطبة وأحد عظمائها بل عظماء جزيرة الأندلس: يونس بن مغيث عرف بابن الصفار - رحمه الله، فاستوى مع أبى فيما يخرج عنه فيه. انتهى.

ومنها عند قوله: إلا واحدة غرسها غيره ما نصه هو عمر - رضى الله عنه، وربما صحف الناسخ فى الأصل الذى نسخت منه عمر فكتب غيره، وذلك قريب فى الالتباس، انتهى.

ومنها عند قوله: فمات وهو ابن ثمانين سنة فما شاب... ما نصه، تأمل وانظر أن البركة فى رفع الشيب، وكذلك فى الحديث الذى بعد هذا، فى خبر قيس بن زيد لم يشب ما مرت عليه يد النبى - ﷺ من رأسه، وفى

حديث إبراهيم - عليه السلام إذا سأل عن الشيب أول ما رآه فقال الله تعالى :
«وقار» فقال : «يارب زدنى وقارا» - فتأمل كيف يجمع بينهما ، - انتهى .

قلت : والجواب سهل لمن تأمل

ومنها عند قوله : حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى - ما
نصه - هو الطرطوشى ، وكان سكن الإسكندرية ، وكان من العلماء
المستبحرين الزاهدين القوالين بالحق ، رأيت له رسالة كتب بها إلى يوسف بن
تاشفين ، خوفه فيها من عاقبة الجور ، وحضه على نصر جزيرة الأندلس ،
وجمل من الخير ، وجلب فيها آيات وأحاديث ورقائق جمّة ، وحملها مع عبد
الله بن العربى ، وابنه الفقيه القاضى أبى بكر - رحم الله الجميع . انتهى .
وقد قدمنا ذكر الطرطوشى هذا ، فراجعه .

ومنها عند قوله : وينذرون ولا يوفون ما نصه : وهو من النذر ، يقال :
نذر - ينذر - بضم الذال ، وكسرهما فى المستقبل والماضى مفتوح ، قال الله
تعالى : ﴿... إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا...﴾ (٢٦) ﴿[مريم] ، ونذر بكسر الذال فى
الماضى ، معناه : علم تقول : نذرت بالقوم إذا علمت بهم ، فاستعددت لهم ،
وأنذر رباعيا إذا قدم لوقوع أمر ، ومنه قوله تعالى فى الأمر منه : ﴿وَأَنْذِرْ
عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤) [الشعراء] - أى قدم لهم ما يخاف من أمر الله - عز
وجل - انتهى .

ومنها عند قوله : وأخبر بالموتان ما نصه ، يقال : وقع فى الناس موتان ،
وموات إذا كثر فيهم الموت - بضم الميم فيهما ، وأرض موات بالفتح - خاصة
إذا كانت غامرة غير معمورة - انتهى .

ومنها عند قوله: وإن الحسنة بعشر، فتلك مائة وخمسون على اللسان، وألف وخمسمائة فى الميزان ما نصه: هذا الحديث لا يفهم إلا بأوله، وأوله عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله - ﷺ: خصلتان - أو قال: خلتان لا يحصيها رجل مسلم إلا دخل الجنة، يسبح أحدكم فى دبر كل صلاة عشرا، ويحمد عشرا ويكبر عشرا، قال: فأنا رأيت رسول الله - ﷺ، يعقدهن بيده، قال: فهى خمسون ومائة - الحديث، ثم قا بعد قوله فى الميزان: وإذا آوى أحدكم إلى فراشه من الليل أو مضجعه، يسبح الله ثلاثا وثلاثين، ويحمد ثلاثا وثلاثين، ويكبر أربعاً وأربعين، فهى مائة على اللسان، وألف فى الميزان، فقال رسول الله - ﷺ: فأياكم يعمل فى ليلة بألفين وخمسمائة سيئة. انتهى.

ومنها عند قوله: وقوله بموضع نعم موضع الحمام - هذا - ما نصه: هو داخل فى معرفته - ﷺ بالهندسة والبناء، ذكره أبو نعيم فى رياضة المتعلمين، ورواه عن أبى رافع قال: مر رسول الله - ﷺ على موضع، فقال: نعم - الحديث، ثم قال: فبنى فيه حمام - انتهى.

ومنها عند قوله - حاكيا عن مالك: وكنت أرى جعفر بن محمد ما نصه: هو كعفر بن محمد الصادق - رضى الله عنه، وكان مالك - رضى الله عنه - وسط سفيان أن يكون من جملة من يسمع منه، فكلمه سفيان وابن أبى ليلى، فقال لهما جعفر - إنكما لتعلمان أنى لا أخبره - والأمويون بالمدينة كثير، ونكره القول علينا، فأخبراه بسلامته وحسن مذهبه، فأذن له، وكان مالك وسيما، أبيض أحمر، وكان له فى صدره نهدان كنهدي البكر، فجلس مالك فى مجلسه حيث انتهى به المجلس وأقام ركبته اليمنى، وترك عليها خده

الأيمن، وجعل يطرق وجعفر يحدث، حتى أربعين حديثاً، وليس مع مالك محبرة ولا قرطاس، فلما فرغ المجلس، قال جعفر لسفيان، ذكرتما أنه يطلب العلم، والحديث، وليس معه شيء يكتب به، ولا كاتب يكتب له، فقال له سفيان: سله أنت عن خبره، فقال له: يا بني، ما كتبت ولا كتب لك، فما أفدت؟ فقرأ عليه مالك المجلس من حفظه، فأعجب به جعفر، ثم سأل عنه سؤالاً شافياً، حتى ذكر له خبر أمه وعقلها ودينها وجمالها، فسفر سفيان وابن أبي ليلى في خطبتها عليه، فمشيا إليها، وأخذا معها في ذلك، فقالت: لو كان جعفر بن محمد ما أجبت، فقالا: هو ذاك، فأطرقت ساعة ثم قالت: اكفوني وحلمي وقد قبلت، فأعلماه بذلك، فأدخل يده في كيس الأثمان، وقبض منه قبضة، فأرسل إليها مهرها، فكلما مالكا في العقد عليها فأبى، فقالا له: فما الحيلة؟ فقال لهما مالك: توكل أحكما على العقد وأكون أنا مع الشاهد الآخر، فقالا لها: متى يكون الدخول، فقالت: لا تصلح المرأة شأنها في أقل من شهر، فأخبرا جعفرا فقال: وحق أبي وجدى لا صبرت أكثر من يوم، فإما أن تجيبنى، وإما أن لا، قالوا: فدعا بالكيس، وقبض قبضتين وقال: تنفق فيما تريد، وتتهيا الليلة، فأعلماهما بذلك، فأصلحت شأنها، ودخل عليها من ليلتها، وحظيت عنده حظوة كبيرة، ومات وورثت ثلث ثمنه، وكان له زوجتان غيرها وعنه يكنى مالك إذا قال: حدثني الثقة، ومن لا أتهم - فإنما يعنى إياه - انتهى.

ومنها عند قوله: وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق النبي ما نصه التلاوة فوق صوت وأسقط صوت في الكتاب، ولا أدري هل هو من الناسخ، أو كذا قرأ ابن مهدي. انتهى.

ومنها عند قوله: فأثرت حب رسول الله - ﷺ على حبي - ما نصه:
ولا يبعد أن يروى: فأثرت حب رسول الله - ﷺ على حبي - بالكسر
فيهما، لأن أسامة كان حب رسول الله - ﷺ - أى حبيبه، وابن عمر حب
أبيه، وابن أسامة حب أبيه فكما أثر حب رسول الله - ﷺ - على نفسه،
كذلك أراد أن يؤثر ابنه حبه على حبه هو، وفى ذلك كله إشار حب رسول
الله - ﷺ - على حبه، فتأمله . انتهى .

ومنها عند قوله: ثم قصد إلى الروضة - وهى ما بين القبر المنبر -
فاركع فيهما - ما نصه: فيها هو الصواب - يعنى الروضة، لأن فيها هو
الركوع، وقد بينه بعد هذا، فتأمله - انتهى .

ومنها عند قوله: وذهب أهل مكة والكوفة إلى تفضيل مكة . . إلى
آخره ما نصه: قال ابن حبيب فى الواضحة: روى أن النبى ﷺ قال: صلاة
فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فى غيره من المساجد، وإن صلاة
فى مسجد النبى - ﷺ - أفضل من ألف صلاة فى غيره من المساجد، وإن
صلاة فى بيت المقدس أفضل من خمسمائة صلاة فى غيره من المساجد، وإن
صلاة فى المسجد الجامع حيث المنبر والخطبة أفضل من خمسة وسبعين صلاة
فى غيره من المساجد، وإن صلاة فى مسجد غيره، أو فى جماعة فى غيره
مسجد أفضل من صلاة الفذ بخمسة وعشرين صلاة، وهذا إن كان عدد
الجماعة أقل من خمسة وعشرين رجلا، وإن كانوا أكثر من ذلك، فالثواب فى
تضعيف الحسنات على عدد الرجال، وكذلك إن كان العدد فى جامع أكثر من
خمسة وسبعين، فالثواب على عدد الرجال، وكذلك فى الثلاث مساجد
عندئذ والذى ذكر ابن حبيب أن الثواب على عدد الرجال، رأيت لأبى هريرة

وقال له رجل: إن كانوا عشرة آلاف، فقال له: وإن كانوا أربعين ألفا، وكذلك ذكر أبو إبراهيم في معالم الطهارة، وأسند التفسير لابن عباس - انتهى.

ومنها عند قوله: ﴿... إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...﴾ (٥٦) [الحج] - ما نصه: تمنى هنا معناه: تملئ، والأمنية كذلك التلاوة، وكذلك في قوله عز وجل، في سورة البقرة: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي...﴾ (٧٨) [البقرة] - فأمانى: جمع أمنية وهي التلاوة، والأمانى أيضا: الأكاذيب، ومنه قول عثمان - رضى الله عنه - ما تمنيت منذ أسلمت - أى ما كذبت.

وقول بعض العرب لابن دؤاب وهو يحدث: أهدأ شئ رويته أم شئ تمنيته - أى افعلته. والأمانى أيضا: ما يتمناه الإنسان ويشتهي، ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ...﴾ (٩٥) [البقرة]، ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ...﴾ (٧) [الجمعة] أى لا يشتهونه - انتهى. على أن فى متن الشفا قريبا من هذه الحاشية، فلا أدري لم كتبها ابن القصير مع أن أكثر معناها فى أصل الشفا؟ والله أعلم.

ومنها عند قوله: وأما الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام فيتفاضلون فى المعارف.. إلى قوله: لأنه ما علمنا أنه كان فى زمان موسى نبى غيره، إلا أخاه هارون - ما نصه: قال كاتب النسخة: تذكر أن شعيبا - عليه السلام كان فى زمن موسى وقد ذكر الله تعالى - اجتماعهما، إذ مر موسى - عليه السلام، ووجد بناته.. إلى آخر ما ذكر من الخطبة التى كانت بينهما، ومخاطبة شعيب له لنفسه، إذ قال له: ﴿... لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥) [القصص] - وقد ذكر الله تعالى إرسال شعيب فقال: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا...﴾ (٨٥) [الأعراف] - وقال تعالى عن الذين لم يؤمنوا برسالته: ﴿... لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ...﴾ (٨٨) [الأعراف]. وقال عمن قال منهم: ﴿... لئن اتبعتهم

شُعِيًّا ... ﴿٩٠﴾ [الأعراف]. وقال: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعِيًّا كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعِيًّا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ [الأعراف] فهذه الآى صريحة فى نبوته وإرساله، فتذكر ذلك - انتهى ما انتقيته من حواشى المذكور على النسخة التى بخطه من الشفاء، وذكرت ذلك وهو لا يخلو من فائدة - تميما للمقصود - والله الموفق.

وإذ جرى ذكر آية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ...﴾ ﴿٥٢﴾ [الحج] - فلنذكر كلام القسطلانى عليها فى كتابه المسمى بـ «المواهب اللدنية» فهو شاف كاف ونصه: وقدم نفر من مهاجرة الحبشة حين قرأ - عليه الصلاة والسلام: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ ﴿١﴾ [النجم] - حتى بلغ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ [النجم]، ألقى الشيطان فى أمنيته أى فى قراءته: تلك الغرائيق العلى، وأن شفاعتهم لترتجى. فلما ختم السورة، سجد - ﷺ، وسجد معه المشركون - لتوهمهم أنه ذكر آلهتهم بخير، وفشا ذلك فى الناس، وأظهره الشيطان حتى بلغ أرض الحبشة ومن بها من المسلمين: عثمان بن مظعون وأصحابه، وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، وصلوا مع رسول الله - ﷺ، وقد آمن المسلمون بمكة، فأقبلوا سراعا من الحبشة. والغرائيق - فى الأصل - الذكور من طير الماء، واحدها غرنوق، وغرنيق سمي به لبياضه، وقيل هو الكركى، والغرنوق أيضا: الشاب الأبيض الناعم، وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله تعالى وتشفع لهم، فشبهت بالطيور التى تعلقو فى السماء وترتفع، ولما تبين عدم ذلك للمشركين، رجعوا إلى أشد ما كانوا عليه.

وقد تكلم القاضى عياض فى الشفا على هذه القصة، وتوهين أصلها بما يشفى ويكفى، لكن تعقب فى بعضه كما سيأتى - إن شاء الله تعالى .

وقال الإمام فخر الدين الرازى مما لخصته من تفسيره: هذه القصة باطلة موضوعة، لا يجوز القول بها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ [النجم]. وقال تعالى: ﴿سَنَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَىٰ (٦)﴾ [الأعلى] وقال البيهقى: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة طعونون^(١)، أيضا فقد روى البخارى فى صحيحه، أنه - عليه السلام قرأ سورة والنجم، وسجد المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيه حديث الغرائق، ولا شك أن من جوز على الرسل تعظيم الأوثان، فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة، أن أعظم سعيه كان فى نفى الأوثان، ولو جوزنا ذلك، ارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا فى كل واحد من الأحكام والشرائع، أن يكون (ذلك) ويبطل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ... (٦٧)﴾ [المائدة]، فإنه لا فرق - فى العقل - بين النقصان فى الوحي، وبين الزيادة فيه. فهذه الوجوه، عرفنا - على سبيل الإجمال - أن هذه القصة موضوعة، وقد قيل إن هذه القصة من وضع الزنادقة لا أصل لها - انتهى.

وليس كذلك، بل لها أصل، فقد خرجها ابن أبى حاتم، والطبرى، وابن المنذر، من طرق، وكذا ابن مردويه، والبزار، وابن إسحاق فى السيرة، وموسى بن عقبة فى المغازى، وأبو معشر فى السيرة، كما نبه عليه الحافظ عماد الدين بن كثير وغيره، ولكن قال إن طرقها كلها مرسلّة، وأنه لم يرها مسندة من وجه صحيح، وهذا متعقب بما سيأتى، وكذا نبه على ثبوت أصلها

(١) أى مطعون فيهم.

شيخ الإسلام الحافظ، أبو الفضل العسقلاني فقال: أخرج ابن أبي حاتم، والطبري، وابن المنذر، من طرق عن شعبة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: قرأ رسول الله - ﷺ بمكة ﴿وَالنَّجْمِ﴾ فلما بلغ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠)﴾ - ألقى الشيطان على لسانه - تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ... (٥٢)﴾ [الحج] - الآية، وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبة فقال فى إسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فيما أحسب، ثم ساق الحديث.

قال البزار: لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد، وتفرد بوصله أمية بن خالد - وهو ثقة مشهور، وقال: إنما يروى هذا من طريق الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس - انتهى. والكلبي متروك لا يعتمد عليه.

وكذا أخرجه النحاس آخر، فيه الواقدي، وكذا ابن إسحاق فى السيرة - مطولة وأسندها عن محمد بن كعب القرظي، وكذلك موسى بن عقبة فى المغازي عن ابن شهاب الزهري، وكذا أبو معشر فى السيرة له عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس، وأورده عن طريقه الطبري، وأورده، ابن أبي حاتم من طريق أسباط عن السدي، ورواه ابن مردويه من طريق (عباد) بن صهيب، عن يحيى بن كثير، عن الكلبي، عن أبي صالح عن أبي بكر الهذلي، وأيوب عن عكرمة، وسليمان التميمي، عمن حدثه، ثلاثتهم، عن ابن عباس، وأوردها الطري أيضاً من طريق العوفي، عن ابن عباس - رضى الله عنهما، ومعناهم فى ذلك كله واحد، وكلها سوى من طريق سعيد بن

جبير، إما ضعيف وإما منقطع، لكن كثرة الطرق تدل على (أن) للقصة أصلاً، مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح: أحدهما ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب. حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فذكر نحوه، والثاني ما أخرجه أيضاً من طريق المعتمر بن سليمان، وحماد بن سلمة، عن داوود بن أبي هند، عن أبي العالية

قال الحافظ ابن حجر وقد تجرأ ابن العربي كعاداته فقال ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا أصل لها، وهو إطلاق مردود عليه، وكذا قول القاضي عياض هذا الحديث لم يخرج له أهل الصحيح، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته، وانقطاع أسانيد، وكذا قوله: ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين، لم يسندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم ضعيفة واهية. قال: وقد بين البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره، إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير - مع الشك الذي وقع في أصله، وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه - لقوة ضعفه، ثم رده من طريق النظر، فإن ذلك لو وقع، لارتد كثير ممن أسلم، قال: ولم يرو ذلك - انتهى.

وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد، فإن الطريق إذا كثرت وتباينت مخارجها، دل ذلك على أن لها أصلاً، وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك، تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر - وهو قوله: ألقى الشيطان على لسانه - تلك الغرائق العلى، وإن

شفاعتهم لترتجى، فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره، لأنه يستحيل عليه ﷺ - أن يزيد في القرآن عمدا ما ليس فيه، وكذا سهوا إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته، وقد سلك العلماء في ذلك مسالك، فقليل جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته، وهذا أخرجه الطبرى عن قتادة، ورده القاضى عياض بأنه لا يصح، لكونه لا يجوز على النبى - ﷺ ذلك، ولا ولاية للشيطان عليه فى النوم، وقىه، أن الشيطان أجهأ إلى أن قال ذلك بعد اختياره، ورده ابن العربى بقوله تعالى - حكاية عن الشيطان: ﴿... وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ ...﴾ (٢٢) [إبراهيم] قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك، لما بقى لأحد قوة على طاعة. وقيل إن المشركين كانوا إذا ذكر آلهتهم وصفوهم بذلك، فعلق ذلك بحفظه - ﷺ، فجرى على لسانه لما ذكرهم - سهوا. وقد رد ذلك القاضى عياض فأجاد وقيل: لعله قال ذلك توبيخا للكفار. قال القاضى عياض: وهذا جائز إذا كانت قرينة هناك تدل على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام فى ذلك الوقت فى الصلاة جائزا، وإلى هذا نحا الباقلانى. وقيل أنه لما وصل إلى قوله - ﴿وَمِنَ الثَّالِثَةِ الْآخِرَى﴾ (٢٠) [النجم]، خشى المشركون أن يأتى بعدها بشيء يذم آلهتهم فبادروا إلى ذلك الكلام فخلطوه بتلاوة النبى - ﷺ - على عاداتهم فى قولهم: ﴿... لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ...﴾ (٢٦) [فصلت]، ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك، أو المراد بالشيطان: شيطان الإنس. وقيل المراد بالغرانيق العلى: الملائكة، وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله ويعبدونها فيسقى ذكر الكل ليرد عليهم بقوله: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ (٢١) [النجم]. فلما سمعه المشركون، حملوه على الجميع، وقالوا: عظم آلهتنا ورضوا بذلك، فنسخ الله تينك الكلمتين، وأحكم آياته، وقيل:

كان النبي ﷺ يرتل القرآن، فلما ترصده الشيطان فى سكتة من السكتات، ونطق بتلك الكلمات - محاكيه نغمة النبي - ﷺ، بحيث يسمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها، قال: وهذا أحسن الوجوه. ويؤيده ما ورد عن ابن عباس من تفسير تمنى بتلا، وكذا استحسّن ابن العربى هذا التأويل وقال: معنى قوله فى أمنيته - فى تلاوته، فأخبر الله تعالى فى هذه الآية، أن سنة الله فى رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نص فى أن الشيطان زاد فى قول النبي - ﷺ، قال وقد سبق إلى ذلك الطبرى مع جلاله قدره وسعة علمه، وشدة ساعده فى النظر، فصبوب على هذا المعنى - انتهى.

هذا ما أمكن نقله من كلام صاحب المواهب اللدنية - رحمه الله تعالى، وقد وقفت بتلمسان على تأليف عجيب فى المسألة - للشيخ العلامة سيدى محمد بن العباس التلمسانى، ورأيت عند أحفاده بخطه، وقد سماه بـ "العروة الوثقى، فى تنزيه الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - عن فرية الإلحاق"، وسماه باسم آخر على سبيل التخيير، نسيته الآن لطول العهد.

رجع: وأنا أروى كتاب الشفا عن شيخنا الإمام، المؤلف الكبير الحافظ، سيدى أحمد، الشهير بابا التنبكتى - حفظه الله بحق سماعه له: عن والده من لفظه، وأجاز فيه بحق روايته له عن أمين الدين الميمونى بمكة، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصارى بسنده العالى جداً إلى عياض - رحمه الله تعالى، وأرويه بأعلى من هذا - عن مولانا العم، الإمام شيخ الإسلام، مفتى الأنام، سيدى سعيد بن أحمد المقرئ التلمسانى - رحمه الله تعالى، عن شيخه الإمام الحافظ العلامة، أبى زيد سيدى عبد الرحمن سقين العاصمى، عن الشيخين

القلقشندي، وشيخ الإسلام: زكريا، عن ابن الفرات، عن الدلاصي، عن ابن تامتيت، عن ابن الصائغ، عن عياض.

قلت: ابن تامتيت: هو أبو العباس: أحمد بن محمد بن الحسين بن علي بن تامتيت اللواتي الفاسي، عده ابن عبد الحق التلمساني، فيمن روى عن أبي الحسين يحيى بن محمد بن علي بن يوسف بن خلف بن يحيى الأنصاري السبتي، وذكر معه الشارمي وابن قطرال وأبا الخطاب بن خليل وأبا زيدة بن أبي عمران التليدي، وأبا العباس العزفي، والقفال، وابن عبد المؤمن، وأما ابن الصائغ، فكان مختصا بشيخ الشيوخ ولي الله: سيدي أبي يعزى يلنور أفاض الله علينا من أنواره، وقضى لنا بجاهه ما يؤمله العقل من أطهاره، وقد أسند عنه العزفي، وأبو يعقوب التادلي - جملة من كرامات سيدي أبي يعزى - رضى الله عنهم - أجمعين ونفعنا ببركاتهم.

وأما الدلاصي: فهو شيخ الحديث والقراءات، غفيف الدين، أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن عبد الأحد بن علي القرشي المخزومي الشافعي الدلاصي أصلا المكي دارا ووفاة - سنة واحد وعشرين وسبعمائة، ومولده في أول رجب سنة ثلاثين وستمائة.

وأروى أيضا كتاب الشفاء، عن مولانا العم المذكور، عن شيخه الإمام سيدي أبي عبد الله، التنسي، عن والده شيخ الإسلام الحافظ سيدي محمد ابن عبد الله بن عبد الجليل التنسي الأموي عن شيخه الإمام الشهير الكبير، علم الأعلام، وشيخ الإسلام، سيدي أبي عبد الله بن مرزوق عن جده خطيب الخطباء، الرئيس الشهير أبي عبد الله محمد بن مرزوق قال: رأيت

عياضا فى المنام، فناولنى كتابه الشفاء، قال: وإن لم يعتد على مثل هذا فى التحديث، فإن كثيرا من العلماء بالحديث يذكرونه للتبرك - والله أعلم.

وقال الشيخ العلامة: سيدى محمد بن سيدى الحسن ابن مخلوف لما ذكر مثل هذا عن الخطيب بن مرزوق، وأسندته إليه - أن هذا استملاح.

وبنو مرزوق هؤلاء لهم رئاسة فى العلم بتلمسان، توارثوها سلفا عن خلف، ولولا الخروج إلى الطول المفرط، لذكرت بعض مآثرهم، على أنها أشهر من نار على علم، ولهم على جدنا أحمد ولادة، فإن أم جدى أحمد المذكور، بنت الفقيه العلامة، سيدى محمد بن مرزوق، المعروف بالكفيف، وهو أحد شيوخ ابن غازى بالإجازة، وولد الكفيف المذكور، هو شيخ الإسلام أبو عبد الله بن مرزوق، شارح البردة والمختصر، وصاحب التأليف الشهيرة، وأشهر أسلافنا القاضى بفاس: سيدى أبو عبد الله المقرئ - رحمه الله - هو خال أبيه - حسبما ذكر هو ذلك فى بعض أجوبته، وهو مذكور أوائل نوازل الفكاك فى المعيار، وقد أخبرنى بهذا كله مولانا العم سيدى سعيد ابن أحمد المقرئ - رحمه الله.

وحدثنى أيضا بكتاب الشفاء، عن شيخه المفتى سيدى على بن هارون، عن شيخه الإمام سيدى محمد بن غازى، بسنده المذكور فى فهرسته، ولنا فيه أسانيد أخرى، وفيما ذكرناه كفاية - والله ولى التوفيق.

وقد قرأ كتاب الشفاء على مؤلفه من لا يحصى كثرة من الأعلام، وهو ستة أجزاء. ومن تأليف عياض - رحمه الله: كتاب مشارق الأنوار على صحيح الآثار - ستة أجزاء. ضخمة، وهو من أجل الدواوين وأنفعها.

ويقال إن القاضى أبا الفضل توفى - ولم يخرجها من مبيضاتها،
فخرجها بعده الحافظ المحدث، أبو عبد الله، محمد بن سعيد الطراز، وفى
المشارك، يقول الإمام، أبو عمرو بن الصلاح الشهرزورى، صاحب كتاب
علوم الحديث، وكان يعجب بالمشارك وكلما طالعها أنشد:

مشارك أنوار تجلت بسبته وذا عجب كون المشارك بالغرب
وقد ذيل هذا البيت جماعة منهم: القاضى المؤرخ أبو عبد الله محمد
ابن عبد الملك الكراكشى رحمه الله إذ يقول:

تنادى بأنوار المشارك نخوة بمطلعها فى الغرب يا شرق غربى
ومنهم الخطيب أبو عبد الله بن رشيد الفهرى، إذ يقول:
ومرعى خصيب فى جديب ربوعها

ألا فاعجبوا للخصب فى منزل جذب
ومنهم الشريف نور الدين أبو الحسن على بن جابر الحسينى الهاشمى،
شيخ دار الحديث المنصورية، قال ابن جابر: وأنشدنيها:

مشارك أنوار طلعت بمغرب
أنرن جميع الشرق بالطالع الغرب
بدا نوره فى الكون قد لاح هاديا

رياض عياض نزهة العين والقلب
ونظم عقد الدين فيه فأصبحت

محاسنه تجلى على العالم الندب

فلله ما أبدى عياض فأشرقت

مشارقه فى كل قطر بلا غرب

فقل لذوى علم الحديث تنوروا

مشارق أنوار تروا ما ورا الحجب

قلت: وأخبرنى مولانا العم الإمام - رضى الله عنه، إن بعضهم أجاب
ابن الصلاح بقوله:

فما فضل الأرجاء إلا رجالها وإلا فلا فضل لترب على ترب
انتهى.

وأنشدنى بمحروسة فاس لنفسه، الفقيه الأصيل الأديب الناظم، الناثر،
سيدى على بن أحمد الشامى - حفظه الله وجوده.

لقد شهدت حقا جميع المهارق

بما حاز من فضل كتاب المشارق

وإن هو منها فى العلا وشى معصم

وحلية أنوار وتاج المفارق

ونخبة أبرار وتحفة قادم

ونزهة أبصار وأنس المفارق

وأنشدنى لنفسه أيضا - حرس الله علاءه:

جزى الله عنا كل خير ومنة

عياضا بما أبدى لنا من مشارق

به أشرقت شمس الغريب بغربنا

فدانت له تعنو شمس المشارق

وله أيضا - حفظه الله :

عياض لك الخيرات أطلعت للورى

مشارق أنوار الهدى بالمغرب

فجد لى بنور من سناك يحوطنى

فأغدو وحبلى فى الدجى فوق غاربى

ومن تأليف القاضى عياض - رحمه الله - «إكمال المعلم، فى شرح

مسلم» - تسعة وعشرون جزءا. قال ابن جابر: وفيه يقول شيخنا أبو الحكم

مالك بن المرحل، وأجازنيه رحمه الله تبارك وتعالى :

من قرأ الإكمال كان كاملا فى علمه فزىن المحافلا

وكتب العلم كنوز إنها تفيد قلبا عاجلا وآجلا

وليس من كتب عياض عوض فإنه كان إماما فاضلا

ومن تواليفه - رحمه الله - «كتاب المستنبطة، فى شرح كلمات

مشكلة، وألفاظ مغلظة، مما وقع فى كتاب المدونة والمختلطة» - عشرة أجزاء،

ولم يؤلف فى فنه مثله، وقد غلب على تسميته ببلاد إفريقية وغيرها

«التنبيهات».

قال أبو عبد الله بن أحمد بن حيان، أنشدنى شيخنا الأعدل، أبو عبد

الله محمد بن على التوزرى ابن المصرى لنفسه مما كتبه - رحمة الله تعالى

عليه.

كأنى مذ وافى كتاب عياض أنزه طرفى فى مريع رياض
فأجنى به الأزهار يانعة الجنا وأكرع منه فى لذيذ (حياض
ومن تأليفه - رحمه الله: كتاب «الإلماع فى ضبط الرواية وتقييد السماع»
- سفر. وفيه يقول الشيخ، أبو عبد الله محمد بن حيان - رحمه الله. قال
ابن جابر: ونقلته من خطه:

يا طالبا علم الحديث وحمله لجميع ما يروى من الأنواع
تبين ذلك كله لعياض فى تأليفه الموصوف بالإلماع
الله يرحمه ويجزل أجره فلقد أتى فى غاية الإبداع
جمع الرواية والدراية متقنا بالضبط بالأبصار والأسماع
أنسى وأستاذى وغاية بغيتى ومذكرى فى الخلف والإجماع
ومن تأليفه رحمه الله: كتاب «الغنية» فى أسماء شيوخه، ووقفت عليه
بتلمسان، وهنالك تركت نسختى منه، ولم أقف عليه الآن بفاس، بعد طول
البحث عنه، وفى مدحه أقول:

غنية القاضي عياض	غنية عما سواها
حلة موشية بل	روضة طاب جناها
جمعت أعلام علم	قدرهم ما إن يضاهى
وحكت أخبار قوم	عنهم العدل رواها
وكفاها بابن رشد	شرفا زاد سناها
كم بها من معلوات	مبهجات من رآها
فعليه وعليهم	رحمة لا تنهاى

ومن تأليفه - رحمه الله: «ترتيب المدارك، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» - خمسة أسفار. ولم يسمعه مؤلفه، وهو غريب لم يسبق إليه.

ومن تأليفه رحمه الله: «الإعلام بحدود قواعد الإسلام». ومنها كتاب «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» سفر. وكتاب خطبه - سفر، وقال ابن خاتمة: إنه اشتمل على خمسين خطبة من خطب الجمعيات: وكتاب المعجم في شيوخ الصدفي - رحمه الله، ومنها كتاب «المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان». قال ابن خاتمة: أنه في سفرين، وقال ابن جابر الوادي أشي، وابن الخطيب: إنه لم يكمله. ورأيت في نسخة من الشفا - بخط العلامة عبد الرحمن بن القصير الغرناطي المذكور آنفا - ما نصه: قال كاتبه: نسخت هذا السفر من كتاب على ظهره مكتوب بخط مؤلفه القاضي عياض - رحمه الله - ما نصه: يقول عياض بن موسى بن عياض اليحصبي: حضر قراءة جميعه على - الفقيه النبيه، أبو محمد عبد المنعم ابن الفقيه الأجل، الأستاذ الخير أبي بكر يحيى بن خلف بن النفيس الحميري وأجزته له، وأذنت له في الحديث به عنى، وبجميع رواياتي ومسموعاتي ومجموعاتي، وكذلك أجزت جميع ذلك لأخيه عبد المولى - كلا الله جميعهم، وأنبتهم نباتا حسنا، وكذلك أذنت لأبيهما الفقيه الأجل المذكور فيما رغب فيه من حمل مجموعاتي، وأجزت له جميعها، من ذلك كتابي هذا، وكتاب ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعيان مالك، وكتاب «بغية الرائد، لما تضمن حديث أم زرع من الفوائد». وكتاب «مشارك الأنوار، على مبهم صحائح الآثار» و«كتاب المقاصد الحسان، فيما يلزم الإنسان»، وكتاب

«الإعلام، بحدود قواعد الإسلام»، وغير ذلك، وكتب فى تاريخ سبع محرم سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة - انتهى .

قال عبد الرحمن المذكور: وكتبت نسختى هذه فى العشر الوسط،
والعشر الغواير من شهر رمضان المعظم، سنة تسع وخمسين وخمسمائة،
وكتبه لنفسه بخطه عبد الرحمن بن أحمد الأزدى - نفعه الله بطلب العلم،
وختم له بخير بمنه - انتهى .

ومن تأليف القاضى أبى الفضل التى تركها فى المبيضة، كتاب «مسألة
الأهل المشترط بينهم التزاور» - جزء . كتاب «نظم البرهان» على صحة جزم
الآذان - جزء

انتهى الجزء الرابع

أهم مراجع التحقيق

- الإحاطة فى أخبار غرناطة لابن الخطيب، طبعة الخانجي، القاهرة ٢٠٠١م.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض، بيروت، ٢٠٠٠م.
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان لابن خاقان، طبعة الأردن ١٩٨٩م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرئ، بيروت ١٩٦٨م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
بين عياض والفتح بن خاقان	٥
عياض يتبارى فى موضوع الترسل	٨
رسالة كتب بها إلى الروضة الشريفة	١١
رسالة من ابن أبى الخصال إلى المقام النبوى	١٥
رسالة كتب بها عن رجل من أهل قرطبة إلى القبر الشريف	١٩
قصيدة لأبى زيد الفازارى، كتب بها إلى الحجرة الشريفة	٢٠
قصيدة لابن الغماد، يتشوق فيها إلى الجناح النبوى	٢١
رسالة كتبها ابن الخطيب عن السلطان أبى الحجاج، إلى الروضة النبوية	٢٣
رسالة كتبها ابن الخطيب عن السلطان الغنى بالله إلى المقام النبوى	٣١
رجع إلى نثر عياض	٥١
خطبة له ضمنها سور القرآن	٥١
خطبة على نهج خطبة عياض للطنجالى	٥٤
صلاة على الرسول لعياض، ضمنها أوصافه ﷺ ومعجزاته	٥٦
صلاة على الرسول لمحمد بن عمر الماللى	٦٣
صلاة لبعضهم تعدل عشرة آلاف صلاة	٦٤
الصلاة المشيشية	٦٤
صلوات أخرى	٦٦
صلاة لأبى إسحاق البلفيقى	١٠١

الصفحة

الموضوع

٦٨	أدعية له
٦٨	من كلامه
٦٨	من أذكاره
٦٩	ترجمة أبي إسحاق البليقي
٨٣	من نظم أبي إسحاق
٨٥	صلاة للشيخ عبد القادر الجيلاني
٨٩	صلوات أخرى
٨٩	صلاة للشيخ عبد العزيز المهدوي
٩٤	صلوات للشيخ نور الدين الشوني
٩٦	صلوات خمس لبعض الأكابر
١١٣	صلوات لبعض العارفين
١١٩	صيغ في الصلاة على الرسول لأبي عبد الله البكري
١٢٢	تعليق المؤلف على ذلك
١٢٢	قصيدة للبكري - وهي مما يتوسل به لقضاء الحوائج
١٢٤	ما كتب به البكري إلى قاضي مكة
١٢٦	من نظم البكري يخاطب سلطان المغرب (الغالب بالله)
١٢٦	بين البكري والسلطان أبي العباس السعدي
١٢٧	ديوان شعر للبكري وتنويه المؤلف به
١٢٧	صلاة الشيخ على بن وفا
١٢٩	رجع إلى نثر عياض
١٢٩	بعض خطب عياض

الموضوع

الصفحة

	من نثره الفصيح فى كتاب الشفا:
١٣٢	إعجاز القرآن
١٣٣	أوجه إعجاز القرآن
١٣٦	تعليق ابن القصير على ذلك
١٣٧	قصيدة لعياض ، يتحرق فيها شوقا إلى الروضة الشريفة
١٣٧	تأليف لبعض الفاسيين يتعلق بالقصيدة
١٣٩	تأليف أبى حفص الجزنائى فى الموضوع
١٤٤	رجع إلى كلام صاحب التأليف
١٥٤	تعليق الونشريسى على ذلك
١٥٤	رجع إلى كلام الجزنائى
١٥٥	نقد الفاسى له
١٥٨	تعليق الونشريسى على ذلك
١٥٨	رجع إلى كلام المؤلف (الفاسى)
١٦٠	خاتمة الجزنائى وتعليق الفاسى عليها
١٦١	استدراكات الفاسى
١٦٥	تعليق الونشريسى على ذلك
١٦٥	رجع إلى كلام الفاسى
١٦٧	حواشى الونشريسى وتعقيب الفاسى عليها
١٧٧	الحاشية الأولى
١٧٨	الحاشية الثانية
١٨١	الحاشية الثالثة
١٨٣	الحاشية الرابعة

الصفحة

الموضوع

١٨٥	الحاشية الخامسة
١٨٩	الحاشية السادسة
	رجع إلى نظم عياض:
١٩٠	من نظمه
١٩١	ما قاله فى خامات الزرع
١٩١	من شعر عياض
١٩٢	ما قاله عياض عند وداع قرطبة
١٩٣	من نظمه
١٩٦	ما قاله يخاطب الفتح بن خاقان
١٩٦	مقطعات من نظمه
١٩٧	أبيات نسبها له الشقورى، وتعقيب المؤلف على ذلك
١٩٨	معنى «أريجاً» فى لغة أهل خراسان
٢٠٠	عياض يخاطب أبا طاهر السلفى
٢٠٠	أبو طاهر يجيبه
٢٠٢	ما قاله عياض على طريق التورية
٢٠٣	ما قاله على طريق الغزل والنسيب
٢٠٤	ما كتب به ابن حجر العسقلانى إلى بدر الدين الدمامينى
٢٠٤	قصيدة نسبت لعياض فى التورية بسور القرآن
٢١١	قصيدة القلقشندى فى نفس الموضوع
٢٢٢	قصيدة لعياض يشكو فيها غربته بوادى داي
٢٢٣	نصيحته لطلاب العلم
٢٢٣	توبته النصوح

٢٢٤	استعاذته بالله
	روضة النسرین فی تألیفه:
٢٢٥	كتاب الشفا
٢٢٦	ابن الغماز يمدح الشفا
٢٢٦	أبو محمد بن هارون يمدح عياضا
٢٢٨	أبو الحسين النردى يمدح كتاب الشفا
٢٣٦	ابن مرزوق يمدح الشفا، ويستمطر قرائح الشعراء
٢٥٩	ابن الفكون ينظم رحلته فى قسمطينة إلى مراكش
٢٦٣	أبو الحسن الشامى يمدح الشفا
٢٦٣	الذين شرحوا الشفا
٢٦٣	عناية الناس بنسخه وتصحيحه
٢٦٣	تعليق ابن القصير على مواضع من الشفا
٢٦٣	حديث: تيامن ستة، وتشاءم أربعة
٢٦٤	حديث ابن الخالة فى الإسراء
٢٦٤	رؤيا الرسول لأناس من بنى فلان ينزون على المنابر
٢٦٥	حديث: فيم يجتمع الملاء الأعلى
٢٦٦	من تسموا باسم محمد قبل الإسلام
٢٦٨	حديث العمائم تيجان العرب
٢٦٨	قاموس البحر
٢٦٩	الطبع الجمهورى
٢٦٩	هو الفصل ليس بالهزل
٢٧٠	الحديث الصحيح يوجد لفظه ومعناه فى القرآن

٢٧١	أكب متعديا ولازما
٢٧١	حديث: ادع فلانا وفلانا ومن لقيت
٢٧٢	قول أبي بكر: نحن أحق لك بالسجود
٢٧٢	حديث: إلا واحدة غرسها عمر
٢٧٣	الطرطوشى من الزاهدين القوالين بالحق
٢٧٣	خبر الموتان
٢٧٤	حديث الحسنة بعشر أمثالها
٢٧٤	حديث نعم موضع الحمام
٢٧٤	بين جعفر الصادق ومالك بن أنس
٢٧٦	حديث: فآثرت حب رسول الله
٢٧٦	القصص إلى الروضة الشريفة والركوع فيها
٢٧٧	الأنبياء متفاضلون فى المعارف
٢٧٨	حديث الغرائيق
٢٨٣	سند المقرئ إلى الشفا
٢٨٦	مشارك الأنوار وما قيل فيها
٢٨٨	إكمال المعلم وما قيل فيه
٢٨٩	الإلماع وما قيل فيه
٢٨٩	الغنية وما قيل فيها
٢٩٠	بقية مؤلفات عياض